# العقيدة أولاً

# لو كانوا يعلمون

[ ٤ ]

الطّبعَة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

# العقيدة أولاً

## لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

**محمدُ ناصرِ الدين الألباني**

رحمه الله تعالى

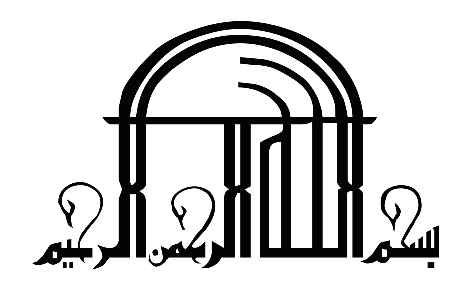
حَضَرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ
**مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ**

أعدَّها

**«أبو إسلام»**
**صالح بن طه عبد الواحد**
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
الأردن ـ عمان
ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

**المجلد الرابع**

[وصف النار، وأصحابها المجرمون]

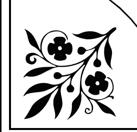

بسم الله الرحمن الرحيم

# الرموز المستخدمة في التخريج

**خ**: صحيح البخاري.
**م**: صحيح مسلم.
**د**: سنن أبي داود.
**ت**: سنن الترمذي.
**ن**: سنن النسائي.
**هـ**: سنن ابن ماجه.
**حم**: مسند أحمد.
**حب**: صحيح ابن حبان.
**خز**: صحيح ابن خزيمة.
**طب**: المعجم الكبير للطبراني.
**طس**: المعجم الأوسط للطبراني.
**طص**: المعجم الصغير للطبراني.
**ش**: مصنف ابن أبي شيبة.
**عب**: مصنف عبد الرزّاق.
**قط**: سنن الدارقطني.
**مي**: سنن الدارمي.
**ك**: المستدرك على الصحيحين.
**فع**: مسند الشافعي.
**ع**: مسند أبي يعلى.
**لس**: مسند الطيالسي.
**خد**: الأدب المفرد للبخاري.
**هب**: شعب الإيمان للبيهقي.
**هق**: السنن الكبرى للبيهقي.
**حل**: حلية الأولياء لأبي نعيم.
**(ص.ت)**: صحيح سنن الترمذي.
**(ص.د)**: صحيح سنن أبي داود.
**(ص.ن)**: صحيح سنن النسائي.
**(ص.هـ)**: صحيح سنن ابن ماجه.
**(ص.خد)**: صحيح الأدب المفرد.
**(ص.غ.هـ)**: صحيح الترغيب والترهيب.
**(ض.غ.هـ)**: ضعيف الترغيب والترهيب.
**(س.ص)**: السلسلة الصحيحة.
**(ص.ج)**: صحيح الجامع الصغير.
**(ض.ج)**: ضعيف الجامع.
**المشكاة**: مشكاة المصابيح.
**إرواء الغليل**: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
**الموسوعة الحديثية**: مسند الإمام أحمد.




# وصف النار
# وأصحابها المجرمون




١٨٥

# وصف النار

***عباد الله!***

قلنا: إن الإنسان بالعقيدة الصحيحة يسعدُ في الدنيا وفي الآخرة، وقلنا أيضاً يا عباد الله: إن العقيدة الصحيحة تقومُ على أركان ستة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وقد تكلمنا سابقاً يا عباد الله عن الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وبدأنا بالحديث عن اليوم الآخر وتكلمنا عن أحوال يوم القيامة وعن مشاهد يوم القيامة، وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر يكونون على فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فريق السعداء وفريق الأشقياء، فريق وجوههم ضاحكة مستبشرة، وفريق وجوههم سوداء عليها غبرة، يقولُ الله ﷻ: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢].

***عباد الله!*** وقد تكلمنا عن الجنة دار السلام دار السعداء، وتكلمنا عن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

ثم ها نحن يا عباد الله وابتداءً من هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نبدأ الحديث عن النار دار البوار دار الأشقياء، وعن صفات أهلها ليهلِك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بينة.

***عباد الله!*** ونحن في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنكون مع الحديث عن النار، وعن وصف النار، وعن العذاب الأليم الذي أعده الله للعصاة والمجرمين، سائلين المولى في علاه أن ينجينا وإياكم من حرها وشرها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***أمة الإسلام!*** في يوم القيامة والناس في أرض المحشر حفاةً عراةً غُرلاً، الشمس على الرؤوس، الزحام شديد، العرق غزير، وفوق هذا الغم، ومع هذا الكرب كله يؤتى يوم القيامة بجهنم، يقولُ الله ﷻ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩١]، ويقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرونها**»(١). هولٌ عظيم! وإذا جيء بجهنم من بعيدٍ، رأت أهلها، عرف المجرمون أنها ما جاءت إلا لهم قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]، أي: أيقنوا أنهم واردوها.

***عباد الله!*** إذا جيء بجهنم وبرزت الجحيم للغاوين، يقالُ للمجرمين إذا نظروا إليها يومئذٍ ـ توبيخاً وتقريعاً ـ: هذه النار يا معشر الكفرة، هذه النار يا أكلة الربا، هذه النار يا شاربي الخمر، هذه النار يا قاطعي االأرحـــام، ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).

تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦]، يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣، ٦٤]. عندها يتمنى المجرم، يتمنى العاصي يومئذ لو يفتدي من عذاب جهنم ببنيه، بصاحبته ـ أي: زوجته ـ وأخيه، وفصيلته التي تُؤْويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه، فيقال له: كلا؛ فلا فدية يومئذ. كلا إنها لظى، كلا يا آكل الربا إنها لظى، كلا يا تارك الصلاة إنها لظى، كلا يا قاطع الرحم إنها لظى، كلا يا من عصيت الله ورسوله إنها لظى، إنها نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى.

**عباد الله!** هذه جهنم التي يخوفُ الله بها عباده يا عباد فاتقون، فاتّقوه سبحانه وتعالى حقّ تُقاته، واخشوا ناره وعذابه. يا عبد الله! أما طعام أهل النار فهو الزقوم، أيها العاصي، أيها المصرُّ على محاربة الله، طعام أهل النار الزقوم، وما أدراك ما الزقوم؟! يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٦].

وأما شراب أهلها يا عباد الله فهو من الحميم والصديد، وما أدراك ما الحميم وما أدراك ما الصديد؟! يقول الله ﷻ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وأما لباسهم، فأهل النار وهم في النار يلبسون الثياب، ولكن انظر أيها العاصي أيها المجرم، يا من رضيت بالدنيا عن الآخرة ما هو لباسهم؟ إن لباسهم النار والقطران، يقول الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٥٠].

إذاً، فالزقوم طعامهم، والحميم والصديد شرابهم، والنارُ والقطران لباسهم، فهل تقدرُ على هذا العذاب يا ابن آدم يا أيها الضعيف؟ يا مَنْ رضيت بالدنيا الدَّنِيَّة عن الآخرة؟ يقول الله ﷻ: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. فهي إما جنة أبداً، وإما نارٌ أبداً، بل وفوق هذا العذاب يزيدهم الله عذاباً في نار جهنم، لأنهم حاربوا الله ورسوله، ولأنهم عصوا الله ورسوله، قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ [الكهف: ٢٩] لا مفر لهم ولا مخرج من النار، فهي عليهم مؤصدة مغلقة فلا يستطيعون الهروب، ولا يستطيعون الخروج، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء: ٥٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

***ابن آدم!*** يا أيها المسكين أتطيق هذا العذاب؟! أتتحمل هذا الضنك؟ أتقدر على هذا العذاب؟!، أظن أنك الآن تقول: لا، إذاً فأين النجاة؟ وأين المفرّ؟ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١].

***عباد الله!*** هذه هي النار وهذه بعض أوصافها، فتعالوا معي، واسمعوا إلى أهلها ماذا يقولون؟ وماذا يطلبون؟ وماذا يريدون؟ والعاقل من اتعظ بغيره. إن أهلَ النار وهم في النار يلعن بعضهم بعضاً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

إن أهل النار وهم في النار معترفين بذنوبهم مقرِّين بها، ويطلبون من الله الخروج من النار ليعملوا صالحاً، قال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١﴾ [غافر: ١١]، آلآن اعترفتم يا معشر العصاة بذنوبكم؟! آلآن وقد كنتم في الدنيا تبارزون الله في المعاصي، ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١]، ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، يقالُ لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، أهل النار يطلبون من الله أن يخفِّف عنهم من العذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧] فيأتيهم الجواب بعد ألف سنة ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ

يُخَفِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

إن الله لا يظلمُ الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، والنارُ للعصاة جزاءً وفاقاً ولا يظلمُ ربك أحداً، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢١ ـ ٣٠].

***عباد الله!*** هذه هي النار التي يخوفُ الله بها عباده، هذه هي جهنم التي من نجا منها يوم القيامة وأدخل الجنة فقد فاز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

***عباد الله!*** والله ﷻ من رحمته بعباده حذرهم من النار، حتى لا يكون للناس على الله حجة، فلقد حذرنا الله من النار وخوفنا منها ووصفها لنا لنفر منها إلى الله، لنكون من أصحاب الجنة، قال تعالى محذراً عباده المؤمنين من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

فيا تارك الصلاة، هل نَجَّيت نفسك من النار؟ ويا آكل الربا هل نجيت نفسك من النار؟ ويا أيها القاطعُ للرحم هل خلصت نفسك من النار؟ ويا أيها المبارزُ لله بالمعاصي هل خلصت نفسك من النار؟

يا معشر العصاة، هل نجيتم أنفسكم من النار! عباد الله، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يا أيها العاصي، يا من جئت لأولادك بالمفسديون في البيت، يا من وضعت (الستلايت) على ظهر البيت، هل نجيت بذلك أولادك من النار؟ إنك بفعلك هذا غاشٌّ لرعيتك وكلٌّ منّا راعٍ ومسئول عن رعيته يوم القيامة، فهل أنت بذلك نجيت أولادك من النار؟! يا من تركت أولادك بالليل والنهار لجمع الدنيا بينما تركتهم يتربون على أيدي

الخادمات، وعلى نواصي الشوارع، وفي أماكن العصاة والمجرمين، فهل نجيت أولادك من النار؟ إذا سئلت يوم القيامة عن أولادك وقد دخلوا جهنم فماذا عساك تقول لربك يوم القيامة وقد قال لك من قبل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾؟ وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى محذراً من النار ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤]. ورسولنا الكريم ﷺ حذر أمته من النار، وخوفهم من النار، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ. فقال: «**يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سَأَبُلّها بِبِلَالِهَا**»[1].

***أمة الإسلام!*** اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير، ويوم القيامة ستقفون على الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤]، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولا يظلمُ ربك أحداً.

اعملوا ما شئتم فإن الله ﷻ يحصيه عليكم ويوم القيامة ينبئكم بما عملتم، ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦]، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

**اللهم نجِّنا مِنَ النار**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٤).

١٨٦

# حال المجرمين في أرض المحشر وحالهم في النار التي أُعدَّت لهم

**عباد الله!**

وصلنا في الحديث عن العقيدة الصحيحة إلى الإيمان باليوم الآخر وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وقد تكلمنا عن الجنة وعن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وبدأنا بالحديث عن النار، وتبين لنا عباد الله أن الله أعد لأهلها عذاباً أليماً، فطعامهم فيها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم والصديد، ولباسهم فيها النار، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وهم من شدة العذاب يصرخون فيها، ويدعون على أنفسهم بالويل والثبور، ويلعن بعضهم بعضاً، ومن شدة العذاب يقول أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، ويقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، ومن شدة العذاب يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، ومن شدة العذاب يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، فيقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

**إخوة الإسلام:** أتدرون لمن أعد الله هذه النار؟ لقد أعدّها الله

للمجرمين الذين بارزوا الله بالمعاصي في هذه الدنيا وماتوا وهم مصرُّون عليها.

فالإنسان يوم القيامة إما أن يَلْقى اللهَ مؤمناً فيكون مع المؤمنين في جنات النعيم، وإما أن يلقى الله مجرماً فيكون مع المجرمين في سواء الجحيم، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٨]. ويوم القيامة يقف العبد بين يدي ربه للحساب وللجزاء ثم ينصرف، إما إلى الجنة مع المؤمنين، وإما إلى النار مع المجرمين، ولذلك يقول القائل:

***ابن آدم!***

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُريانا ... مُستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا
والنارُ تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاةِ وربُ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهلْ ترى فيهِ حَرْفاً غيرَ ما كانا؟
لما قرأتَ ولمْ تُنكرْ قراءته ... إقرار مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفَانا
نادى الجليلُ: خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

فمن أي الفريقين أنت يا عبد الله؟

المجرمون غداً في النار يلتهبون ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

***أمة الإسلام!*** وإذ تبين لنا أن النار قد أعدها الله للمجرمين فتعالوا بنا ننظر إلى أحوال المجرمين في أرض المحشر منذ أن يُنفخ في الصور إلى

أن يؤخذ بهم إلى النار، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، والعاقل من اتعظ بغيره، فانظروا من خلال الكتاب والسنة إلى أحوال المجرمين يوم القيامة.

## أولاً ـ حال المجرمين إذا نفخ في الصور:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٢، ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٧]. هذا هو مقدار الدنيا يوم القيامة: ساعة! إذا أجرمت فيها يا عبد الله، أُلقيت في جهنم إلى أبد الآباد، وإن هذا لهو الخسران المبين.

## ثانياً ـ حال المجرمين إذا وقفوا عند ربهم للحساب وللجزاء:

انظروا إليهم وقد نَكَّسُوا رؤوسهم من الذل والهوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، يقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٣، ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩].

***ابن آدم!*** سيقف المجرمون يوم القيامة أمام ربهم ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ فلا تسمعُ لهم همساً، لقد خشعت الأصوات للرحمن، ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ

رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، تأمّل يا ابن آدم كيف جئت إلى هذه الدنيا عرياناً كيوم ولدتك أمك لا تملك من الدنيا شيئاً؟ ثم امتلكت الكثير منها، وها أنت يا مسكين تخرجُ منها عريانَ كيوم ولدتك أمك، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨]، فكِّر يا ابن آدم ماذا ستأخذ معك مالاً، سلطاناً، جاهاً صحة، زوجاً، ولداً، عشيرةً؟، ـ ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، الكتاب، الذي تُسجلُ فيه الأعمال لتقرأ يا ابن آدم كتابك فهل تجد فيه غير ما كان، ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ [الكهف: ٤٩] ـ، نعم لقد سُجِّل فيه الصغيرة قبل الكبيرة. ومع كل هذا، انظروا إلى أحوالنا اليوم. فإنك إذا سألت أحدهم: لِمَ حلقت لحيتك يا ابن آدم؟ قال لك: إن إعفاءها سنة!!، لم تركت صلاة الجماعة؟ قال لك: إنها سنة!! لم سمحت لزوجتك بالتبرج؟ قال لك: حرِّية، لِمَ تدخن؟ قال لك: إن التدخين مكروه!! لم أكلت الربا؟ قال لك: كل الناس يأكلون الربا. لم تكذب؟ يقول لك: نتسلى!! أفكرت يا ابن آدم أن ذلك سجل عليك؟ اسمع ماذا يقول المجرمون: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ ـ إنهم ضجوا من الصغائر قبل الكبائر ـ ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

**ثالثاً ـ حال المجرمين في أرض المحشر إذا جيء بجهنم:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)﴾ [الكهف: ٥٣]. نعم لما جيء بجهنم ورآها المجرمون علموا أنها ما جاءت إلا لهم. فلما علموا ذلك تغيرت وجوههم، واسودت وجوههم، ولذلك فإنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم فيؤخذون بالنواصي والأقدام، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩)

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرحمن: ٣٧ ـ ٤٢]. يعرف المجرمون في أرض المحشر بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام، فيا له مِنْ ذل وهوان!! ثم يقال للمجرمين: هذه جهنم انظروا إليها، يا من كنتم تسخرون من النار، هذه هي النار يا من كنتم تسخرون ممّن يدعونكم، إلى الجنة، يا من كنتم تسخرون من الإسلام ومن المسلمين ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٣ ـ ٤٥].

إنّ الجن قالت لا نكذب بآيةٍ من آيات ربنا، وأنتم يا معشر الإنس وأنتم يا بني آدم تبارزون الله بالمعاصي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٥]، ما ظنكم برب العالمين؟ إذا أُخذ المجرم بناصيته وقدمه ليلقى في النار تمنى أن يفتدي من عذاب يومئذٍ بكل ما يملك، وهيهات هيهات، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المعارج: ١١]، يتمنى لو يقدم أولاده إلى النار لينجو هو بنفسه!! والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه لو أن رجلاً منا في الدنيا رأى ابنه يشتعل ناراً لقدم نفسه فداء لولده وكلنا يعلم ذلك، فالوالد يفدي ولده ولو بروحه، لكن يوم القيامة يفتدي الرجل من عذاب جهنم بأولاده وهذا يدل على أن العذاب يومها شديد أليم، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٤]، يقال له: كلا ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحديد: ١٥]، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨]، فلا فدية يومها أيها المجرم مهما كانت.

## رابعاً ـ حال المجرمين في النار:

أتدرون يا عباد الله كيف يذهب المجرمون إلى النار؟ يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، أي: عطاشاً يساقون إلى جهنم كالبهائم، بل البهائم أفضل منهم في الدنيا والآخرة. ثم إذا هم دخلوا النار سحبوا على

وجوههم إهانةً لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وإذا دخلوا النار ورأوا العذاب فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ يوبخهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٥، ٤٦] كلوا وتمتعوا؟! ماذا يأكلون في النار؟ إنه الزقوم، وبماذا يتمتعون؟ بلباس لهم من النار، وفراشهم الذي هو من النار، وبظلل من فوقهم ومن تحتهم من النار، ويقالُ لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات: ٤٧ ـ ٤٩]، فإذا دخلوا النار، فإن لهم عذاب دائم لا يفتر عنهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠].

***أمة الإسلام!*** قد تبين لكم أن الله أعد النار للمجرمين فيها من العذاب الأليم ما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالىٰ، والمجرم يا عباد الله هو من بارز الله بالمعاصي في هذه الدنيا، فالكافر مجرم، والمشرك مجرم، والمنافق مجرم، وآكل الربا مجرم، والزاني مجرم، وشارب الخمر مجرم، والعاق لوالديه مجرم، والقاطع للرحم مجرم، والذي يبارز الله بالمعاصي مجرم.

***واعلموا عباد الله!*** أن هناك من المجرمين من يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ومن أمثال هؤلاء الذين لا يخرجون من النار أبداً الكافر الذي كفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وكفر باليوم الآخر، وكل من كفر بـ(لا إله إلا الله)، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا

ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٤ ـ ٣٦]. فهذا الكافر لا يخرج من النار أبداً، ومن الأمثلة على هؤلاء أيضاً المشركُ الذي جعل مع الله إلهاً آخر، الذي جعل لله نداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦]، ومن الأمثلة على هؤلاء أيضاً المنافق الذي يعتقد الكفر ويظهر الإسلام، الذي يتربص بالمسلمين والإسلام الدوائر، فهذا لا يخرج من النار أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

***عباد الله!*** ومن أهل النار من يخرج من النار بعد أن يعذب فيها، وهذا العاصي الذي مات على التوحيد كصاحب الكبيرة، فأصحاب الكبائر إذا دخلوا النار، فإنهم يعذبون فيها ثم يخرجون إلى الجنة لأنهم ماتوا على التوحيد.

ولكن اعلم يا عبد الله أن غمسة واحدة في جهنم تنسي العبد كل نعيم الدنيا، يخبرنا ﷺ بذلك فيقول: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرُّ بك نعيمٌ قطّ؟** ـ أي: في دنياك ـ **فيقول: لا والله يا رب...**»[(١)]، نسي نعيم الدنيا بغمسة واحدة في جهنم، فاحذروا عباد الله النار، واعملوا صالحاً لتكونوا من أهل الجنة.

***إخوة الإسلام!*** النار أعدت للمجرمين فمن هو المجرم الأول؟ ومن هو المجرم الثاني؟ ومن هو المجرم الثالث؟ ومن هو المجرم الرابع؟ هذا الذي سنبدأ بالحديث عنه في الجمعة القادمة وما بعدها ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧)



# المجرم الأول: الكافر

في الجمعة الماضية تكلمنا عن النار وتبين لنا عباد الله أن الله عز وجل أعد النار وما فيها من العذاب الأليم للمجرمين، وتبين لنا أن من دخلها كان مجرماً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤]، ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرحمن: ٤١، ٤٢]. ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

***عباد الله!* وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الأول، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الكافر».**

وحديثنا عن هذا المجرم في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** الكافر يعترف بجريمته.

**العنصر الثاني:** الكافر والنار.

**العنصر الثالث:** لماذا أدخل الله الكافر النار؟

**العنصر الرابع:** ما هو الواجب على المسلم نحو الكافر؟

***عباد الله!*** الكافر يعترف يوم القيامة بجريمته، وذلك حين يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين، فيعاين الكافر أهوال القيامة بعينه ويتمنى في هذا اليوم أن لو كان مسلماً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢].

- في هذا الوقت يتمنى الكافر أن لو كان في هذه الدنيا حيواناً

ليصير إلى تراب يوم القيامة، كما تصير الحيوانات، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

• الكافر يعترف بجريمته العظيمة ألا وهي الكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٧]، أيها الكفار أين تلك الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ قالوا: ضلوا عنا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، والاعتراف سيد الأدلة، ويحاول الكافر يوم القيامة أن يعتذر ولكن هيهات هيهات، يقول الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [التحريم: ٧]، فلا يبقى أمامه إلا أن يعترف، فيعترف على نفسه بالكفر.

• وفي موضع آخر يخبرنا ربنا جل وعلا عن الكافر وهو يعترف بذنبه، لتعلموا عباد الله أن الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٠ ـ ١٢].

• وفي موضع ثالث أيضاً يخبرنا ربُّنا باعتراف الكافر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٦ ـ ١١].

**عباد الله! العنصر الثاني: الكافر والنار.**

أخبرنا الله ﷻ أنه أعد النار للكافرين، فقال محذراً عباده: ﴿فَٱتَّقُوا۟

ﱡٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَﱠ [البقرة: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﱡوَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًاﱠ [الإسراء: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﱡوَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ﱠ [الكهف: ١٠٠].

***عباد الله!*** الكافر في أرض المحشر يساق إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﱡوَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ﱠ [الزمر: ٧١، ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﱡقَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩ﱠ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﱡأَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ﱠ [ق: ٢٤ ـ ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﱡخُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧ﱠ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٧].

ها هو حال الكافر في النار فانظروا إليه ـ والعاقل من اتعظ بغيره ـ قال ـ تعالى ـ: ﱡإِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ﱠ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٨].

اعتبروا بالكافر يا أمة التوحيد، واسمعوا واتعظوا واعتبروا بما يقول وهو في النار، قال ـ تعالى ـ: ﱡوَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ

يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

***أمة الإسلام!*** لماذا أدخل الله الكفار النار؟

**أولاً**: لأنهم كفروا بالله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٤، ٣٥]. لقد كانوا إذا دُعُوا إلى الإسلام، أو إذا سمعوا أن الإسلام ينتشر، أو إذا سمعوا أن أهل الإسلام يتمسكون بإسلامهم رفضوا الإسلام وأهل الإسلام واتهموهم بالاتهامات الباطلة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

**ثانياً**: لأنهم كفروا بالقرآن واستهزءوا به، وسخروا منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ [سبأ: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٦ ـ ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، أي: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا عند سماعه حتى لا تنتفعوا ولا تتأثّروا به لأن كلام الله له تأثير في القلوب، فكان الكفار يوصي بعضهم بعضاً: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون

المسلمين، ولذلك يقول قادة الغرب: (إذا أردتم القضاء على الإسلام والمسلمين فانزعوا الخمار عن رأس المرأة وضعوه على المصحف، لتتبرج نساء المسلمين، ويكون بين المسلمين وبين كلام الله أمداً بعيداً، فإذا ابتعد المسلمون عن قرآنهم وتبرجت نساؤهم سيطرتم عليهم). أوقع هذا يا عباد الله؟ نعم، حتى ضاعت الأرض، وضاع الشرف والكرامة، وأصبحنا من أذل الناس على وجه الأرض، وذلك يوم أن تبرجت النساء، ويوم أن أصبحنا لا نعرف من القرآن إلا أن يُقرأ على الأموات، وقد قال الله ﷻ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، فأصبحنا نقرأ القرآن على الأموات ولا نعمل بالقرآن، فهذا حالنا وهذا واقعنا، قد استجبنا للكفار الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

**ثالثاً ـ أدخل الله الكفار النار:** لأنهم كفروا برسول الله واستهزءوا به وهموا أن يقتلوه وأخرجوه من بلده، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤]، ما من رسول بعث في أمة، أو في قرية إلا قال مترفوها ـ دائماً وأبداً في كل زمان ومكان ـ إنا بما أرسلتم به كافرون، انظروا إلى المترفين إلا من رحم ربي في هذا الزمان إنهم لا يريدون الإسلام، ولا يحبون مظهراً من مظاهر الإسلام، بل منهم من يتجرأ ويقول عن الإسلام وتعاليمه: هذه رجعية، وقال تعالى مبيناً أن الكفار كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٤].

**رابعاً ـ أدخل الله الكفار النار:** لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، وكانوا لا يتمنون خيراً للإسلام والمسلمين بل كانوا يتمنون الشر للإسلام والمسلمين في كل لحظة، والله يكشف لنا عن هذا، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢]، هذا نداء من الكفار للمسلمين في كل زمان ومكان، يا معشر المسلمين، اتبعوا سبيلنا؛ فإن عندنا التقدم وعندنا الحضارة ولنحمل نحن خطاياكم!! وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فأدخلهم الله النار لأنهم استحقوا النار، وإذا دخلوها اعترفوا عندها أن النار أولى بهم من الجنة جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

***عباد الله!*** ما هو الواجب على المسلم نحو الكفار؟ اسمعوا وعوا فهذه عقيدة؛ لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

**أولاً:** يجب على المسلم أن يتبرأ من الكفار ومن عقيدتهم الفاسدة، وفي الوقت نفسه يجب عليه أن يوالي المسلمين؛ لما هم عليه من العقيدة الصحيحة وهذا ما يسمّى بـ(الولاء والبراء)، الولاء لمن قال: (لا إله إلا الله)، والبراء، ممَّن كفر بـ(لا إله إلا الله)، وقد ضرب لنا ربنا مثلاً في كتابه بإبراهيم عليه السلام والذين معه وأمرنا أن نتأسى بهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

**ثانياً**: يجب على المسلم أن لا يوالي الكفار، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، حتى وإن كان هؤلاء الكفار آباءً أو إخواناً، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

**ثالثاً**: يجب على المسلم أن لا يتشبه بالكفار، لقوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(١)]، والتشبه بظاهر القوم يا عباد الله يورث المحبة لهم في الباطن، ولعلّ الكثير من المسلمين في هذا الزمان يتشبهون بالكفار في أشكالهم ولباسهم ولباس نسائهم وبيوتهم فاتقوا الله عباد الله.

**رابعاً**: يجب على المسلم أن لا يعيش ويقيم بين ظهراني الكفار، لقوله ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[(٢)]، والإقامة هي أخذ الجنسية والهجرة إلى بلاد الكفار للاستقرار فيها، وكم من المسلمين يهرول من كل مكان، ويدفع الرشوة ليهاجر من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار من أجل تحصيل الدنانير والدولارات!! وهناك ممن لا دين لهم مَنْ يغيِّر ديانته في جواز سفره ليتمكن من الوصول والعمل هناك، فأي ردّة بعد هذه الردة؟! وأي ضلال بعد هذا الضلال؟! لا يجوز للمسلم أن يهاجر إلى بلاد الكفار إلا إذا كان عالماً بدينه ـ حتى لا تفتنه الشبهات ـ فيذهب حتى يدعو الناس هناك للإسلام، ويجب أن يكون تقياً حتى لا تفتنه الشهوات لأن الزنا هناك والخمر والمعاصي في متناول الجميع.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/ ١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

(٢) **حسن**: د: (٢٦٤٥)، ت: (١٦٠٤)، هب: (٧/ ٣٩)، هق: (٨/ ١٣١)، [«ص.ج» (١٤٦١)].

وإذا كان هناك ضرورة يحتاج إليها المسلمون كتعلم الطب، وبعض العلوم التي لا توجد في بلاد المسلمين، فيذهب هناك ليتعلم ثم يعود مرة أخرى إلى بلاد المسلمين، أما أن يهاجر وأن يقيم هناك فلا، وليسمع الرسول ﷺ وهو يقول: «**أنا بريء مِنْ كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[١].

**خامساً**: يجب على المسلم ألا يتخذ بطانة من الكفار، لم؟ لأنهم خونة لا يحبون الإسلام ولا المسلمين، يقول الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

**سادساً**: يجب على المسلم ألَّا يطيع الكفار أبداً، لأنهم لا يأمروننا إلا بما هو شرٌّ ودمار لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

**سابعاً**: يجب على المسلم ألَّا يركن إلى الكفار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

**اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً**

* * *

(١) **حسن**: تقدم تخريجه ص٢٦.

١٨٨

# المجرم الثاني ـ المشرك

***عباد الله!*** قلنا في الجمع الماضية إن الله ﷻ أعد النار وما فيها من العذاب الأليم لتعذيب المجرمين وأن من دخلها كان مجرماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨١].

***عباد الله!*** **في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدث عن المجرم الثاني، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المشرك».**

فتعالوا بنا يا عباد الله لنتعرف على هذا المجرم من خلال الكتاب والسنة؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

***عباد الله!*** المشرك من شر الناس، وهو من شر البرية، كما قال رب العـزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

● إن المشرك قد اقترف أعظم الذنوب، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[1].

● المشرك يا عباد الله قد ارتكب أكبر الكبائر، يقول ﷺ لأصحابه

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٥)، م: (٨٦).

يوماً: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» (ثلاثاً)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله...**»[(١)].

• المشرك يا عباد الله نجس فلا يجوز له أن يقرب المسجد الحرام. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

• المشرك يا عباد الله حلال الدم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

• المشرك يا عباد الله لا يجد ثواباً لعمله يوم القيامة ولو بنى في كل يوم مسجداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

• المشرك يا عباد الله لا يغفر له يوم القيامة أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٢)].

• المشرك يا عباد الله حرم الله عليه الجنة وحكم عليه بالخلود في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٢) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٧٢)، مي: (٢٧٨٨)، طس: (٤/ ٣١٥)، [«ص.ج» (٤٣٣٨)].

**عباد الله!** المشرك مجرم، والشرك جريمة نكراء إذا دبت في الأمة فرّقتها وجعلتها شيعاً وأحزاباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

● الشرك يا عباد الله إذا دب في الأمة منعها من أن يمكَّن لها في الأرض ومنعها من العزة والسيادة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. ويفهم من ذلك أن الأمة إذا تركت عبادة الله واقترفت جريمة الشرك فلن يمكنوا في الأرض، ولن تكون لهم السيادة والعزة، ولذلك نقول للذين ينادون بدولة الإسلام: أصلحوا العقيدة أولاً ليمكّن لنا في الأرض، كما قال بعض الدعاة المعاصرين: (أقيموا دولة الله في قلوبكم ـ أي: بالعقيدة الصحيحة، والعمل الصالح ـ تقم على أرضكم).

● الشرك جريمة نكراء إذا اقترفتها الأمة نزلت إلى أسفل درجات الذل والهوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. فالأمة إذا اقترفت جريمة الشرك ووقعت فيها هانت على الله ونزلت إلى أسفل درجات الذل والهوان والانحطاط. من أجل ذلك يا أمة الإسلام جاء الإسلام يحذر من الشرك تحذيراً شديداً، ففي كتاب ربنا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

• ورسولنا ﷺ حذَّر أمته من الشرك، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (أوصاني خليلي أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطِّعت أو حُرِّقت)(١)، ويقول ﷺ: «**من لقي الله** ـ أي: يوم القيامة ـ **لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»(٢).

***عباد الله!*** إياكم والشرك؛ فمن اقترف الشرك فهو مجرم، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. إياكم والشرك فإنه جريمة ووبال على الأمة، وعلى الفرد، فكونوا من الشرك على حذر.

واعلموا أن رسولنا ﷺ جاء يدعو أمته والناس أجمعين إلى توحيد الله، وحفاظاً على جناب التوحيد فقد أغلق الرسول ﷺ كلّ الأبواب التي تؤدي إلى الشرك، فأغلق ﷺ الباب أمام الناس حتى لا يغلو في الأنبياء كما فعلت الأمم قبلنا، فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٣)، أي: لا تفعلوا كما فعلت النصارى في عيسى ابن مريم فقالوا عنه: هو الله، وقالوا عنه: ابن الله، وقالوا عنه: ثالث ثلاثة، ومع ذلك وللأسف الشديد فقد غالى كثير من المسلمين برسول الله ﷺ حتى إنهم يدعونه من دون الله ويستغيثون به من دون الله، والله عز وجل حرم عليهم ذلك والرسول ﷺ بريء ممن يفعل ذلك، فالدعاء لا يكون إلا لله، والنذر لا يكون إلا لله، والخوف لا يكون إلا من الله، والتوكل لا يكون إلا على الله عز وجل.

كذلك أغلق الرسول ﷺ الباب أمام أمته حتى لا يقعوا في الغلو في الصالحين وفي الأولياء وفي المقبورين.

فقال ﷺ وهو في أنفاسه الأخيرة: («**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذّر مثل ما صنعوا)(٤)؛ فحرَّم

(١) **حسن لغيره**: هـ: (٤٠٣٤)، خد: (١٨)، هب: (١١/٥)، [«ص.غ.هـ» (٥٦٧)].
(٢) **صحيح**: م: (٩٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٦١).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٥)، م: (٥٣١).

الرسول ﷺ بناء المساجد على القبور، ونهى الرسول ﷺ وحرم الصلاة عند القبور، كل ذلك سداً لجريمة الشرك وحفاظاً على جناب التوحيد، ومع ذلك فقد خالفت الأمة أمر رسولها، فبنوا المساجد على القبور، وصلوا إلى القبور، وطافوا بالقبور، ودعوا أصحاب القبور من دون الله ﷻ، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، أي: من المشركين.

• ونهى رسول الله ﷺ أيضاً سدّاً للذريعة عن الذهاب إلى السحرة والكهان، فقال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**»(١). ومع ذلك ـ وللأسف الشديد ـ الكثير من المسلمين يهرول إلى السحرة، وإلى العرافين، وإلى الكهنة ويصدقهم بما يقولون.

• وحفاظاً على جناب التوحيد وسداً لذريعة الشرك أيضاً، فقد حرم الرسول ﷺ الصور والتماثيل ونهى عن الصور إلا للضرورة القصوى لأن مَنْ عَظَّمَ الصورة، وَعَظَّمَ التماثيل فسيعبدها يوماً ما، وذلك إذا قلَّ العلم وكثر الجهل كما صنع الشيطان في قوم نوح. فإن سبب الشرك فيهم أنهم صنعوا لعلمائهم تماثيل لما ماتوا فجاء الشيطان وأوحى إليهم فعبدوهم من دون الله.

• ورسول الله ﷺ نهى أن تحلف بغير الله، فإياك أن تحلف بأبيك، أو بشرفك أو بفلان من الناس، فالحلف عبادة ولا يكون إلا لله، وإياك أن تقول: ما شاء الله وفلان، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أجعلتني مع الله عدلاً؟** (وفي لفظ: **ندّاً**) **لا، بل ما شاء الله وحده**»(٢)، إياك أن تقع في ألفاظ الشرك وإن كنت لا تريد ذلك ولا تقصد، فالإسلام توحيد ظاهراً وباطناً.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، ع: (٩/ ٢٨٠)، بز: (٥/ ٣١٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٣٤٧)، خد: (٧٨٣)، طب: (١٢/ ٢٤٤)، ش: (٥/ ٣٤٠)، هق: (٣/ ٢١٧)، [«س.ص» (١٣٩)].

***أمة الإسلام!*** هذا هو الشرك منه الأكبر وصاحبه مخلّدٌ في النار، ومنه الأصغر وصاحبه على خطرٍ عظيم، ولكنه لا يخلّد في النار، وهو مثل: الرّياء، فاحذروا من الشرك صغيره وكبيره.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



١٨٩

# المجرم الثالث ـ «المكذب باليوم الآخر»

***عباد الله!***

• تبين لنا عباد الله من خلال آيات القرآن الكريم أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاء وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

• وتبين لنا عباد الله أن مَنْ دخل النار كان في هذه الدنيا من المجرمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

**عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثالث،- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المكذب بيوم القيامة».**

إنه المكذب بالساعة، إنه المكذب الذي أنكر البعث والنشور والحساب والجزاء، إنه المكذّب بيوم الدِّين.

***عباد الله!*** الذي يكذب بالساعة، وينكر القيامة، مجرم لا يخرج من النار أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٨].

***عباد الله!*** تعالوا واسمعوا إلى هؤلاء المجرمين الذين يكذبون بيوم الدين الذين يكذبون بالساعة، الذين يكذبون بالقيامة، ماذا كانوا يقولون؟

وماذا كانوا يعتقدون وهم في هذه الدنيا؟ قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨]، وقال تعالى عنهم أنهم كانوا يقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٣]، وقال تعالى عنهم: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾ [التغابن: ٧]، ـ أي: اعتقدوا ـ وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ [سبأ: ٣].

فلما قالوا ذلك واعتقدوه، أي: لمّا أنكروا الساعة والقيامة والحساب والجزاء، دفعهم ذلك إلى أن كذبوا بالقرآن الكريم وبرسول الله ﷺ، ودفعهم ذلك أيضاً إلى الإقبال على المعاصي والذنوب لأنهم كذبوا بالحساب والجزاء، والله ﷻ يخبرنا في كتابه بذلك ويكشف لنا عن السبب الذي دفعهم إلى ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ٤ ـ ١١]. وهكذا يكشف لنا ربنا عن سرّهم لم فعلوا ذلك؟ ولماذا قالوا عن القرآن ما قالوا؟ ولماذا قالوا عن رسول الله ﷺ ما قالوا؟ السبب ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ . . .﴾ إلى أن قال رب

العزة: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: ١ ـ ٩] أي: بيوم الدين، بيوم الحساب والجزاء، فالذي دفعك يا ابن آدم إلى المعاصي وغرك بالله الغرور أنك كنت تكذب بيوم الدين.

***عباد الله!*** تعالوا بنا للنظر إلى هؤلاء الذين كذبوا بالساعة وبالقيامة من لحظة خروجهم من القبور يوم القيامة إلى أن يدخلوا النار، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

***عباد الله!*** إذا خرج هؤلاء من قبورهم فاسمعوا ماذا يقولون: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٤].

وقال تعالى في موضع آخر عنهم: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ يقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ [الصافات: ١٥ ـ ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

***عباد الله!*** إذا خرج هؤلاء من قبورهم، فإنهم يحشرون إلى ربهم على وجوههم ولا يمشون على أرجلهم، فإن قال قائل: كيف يمشون يوم القيامة على وجوههم؟ نقول له: الذي أمشاهم في الدنيا على أرجلهم قادر على أن يمشيهم يوم القيامة على وجوههم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ

فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧، ٩٨]، نعم، لقد حشروا على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، والسبب أنهم كانوا يقولون: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

• ثم إذا وقفوا للحساب والجزاء فاسمع ما يقول الله ﷻ عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣٠، ٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢١ ـ ٢٣].

• ثم إذا دخلوا النار اعترفوا بجريمتهم ولم يخرجوا منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾...﴾ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١١ ـ ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد: ٥] ـ أي: إذا أردت أن تتعجب فتعجب من قول هؤلاء الذين قالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ ـ أي: بعد الموت ـ ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ـ أي: هل سيكون بعد ذلك بعث ونشور وجزاء؟!.

***عباد الله!*** إن من كذب بالساعة، من كذّب بالقيامة مجرم سفيهٌ لا عقل له، لم؟

**أولاً**: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه عن الساعة وعن القيامة وعن البعث وأنه لا ريب في ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩]، يفهم من هذا أن القلة هي المؤمنة والكثرة هي الكافرة الفاسقة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ إلى أن قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

**ثانياً**: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن الساعة قريبة جداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، ولعلّ في هذه الآية وصفٌ لأحوالنا اليوم، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ـ غداً الحساب ومع ذلك ـ ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: ربا، تبرج، ضحك، طبل، رقص، ترك للصلاة مع أن الحساب غداً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وأنت إذا جاءك الموت انتقلت من الدنيا إلى دار الحساب.

**ثالثاً**: لأن الله أقسم بنفسه ـ سبحانه وتعالى ـ على وقوع القيامة على أن ذلك لا ريب فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾ [النساء: ٨٧].

**رابعاً**: ولأن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يقسم للمكذبين بالبعث على أنه كائن لا ريب فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ [يونس: ٥٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧].

**خامساً**: لأن الذي بدأ الخلق هو الله، وهو سبحانه وتعالى يعيده مرة أخرى، والإعادة أهون من الخلق ومن البدءِ. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

فنقول للمكذب بالبعث: من الذي خلقك؟ إن قال: خالقي هو الله، نقول له: أيعجز ربنا جل وعلا أن يعيدك مرة ثانية وهو الذي أنشأك في المرة الأولى؟! بل قد أخبرنا الله في كتابه أنه أحيا في هذه الدنيا بعضاً من الموتى بعدما ماتوا في الدنيا ليعلم الجميع بذلك أنهم بعد موتهم سيبعثون من قبورهم للحساب والجزاء كما بُعث هؤلاء، ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١].

**نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يسترنا يوم القيامة**



١٩٠

# المجرم الرابع ـ المنافق

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين الذين أعد الله لهم جهنم وتوعّدهم بأن لا يخرجوا منها أبداً. **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم الرابع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المنافق»**.

***أمة الإسلام!*** المنافق مجرم في حق ربه، مجرم في حق نفسه، مجرم في حق الإسلام والمسلمين. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦].

***عباد الله!*** إن المنافق مجرم من أهل النار لا يخرج منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء: ١٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥].

***أمة الإسلام!*** إن النفاق مرض خبيث لا يرى بالعين، فهو يَكْمُنُ في القلوب، ويخفى على الناس وربما أنه يخفى على صاحبه، فترى أحدهم

يمتلئ نفاقاً ويظن في نفسه أنه من المصلحين وهو في الحقيقة من أفسد الناس، والبلايا إنما نزلت بالإسلام والمسلمين من جرّاء النفاق وأهله.

***عباد الله!*** **النفاق نوعان**: أكبر، وأصغر.

فالنفاق الأكبر يوجب لصاحبه الخلود في النار، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار لا يخرج منها أبداً، وهذا المنافق هو من أظهر الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ولكنه اعتقد في قلبه خلاف ذلك، ومن الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر.

***عباد الله!*** المنافقون شرٌ ووبالٌ على الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، وهم أشد ضرراً على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى، ولذلك فالله ﷻ في كتابه فضح المنافقين، وكشف أسرارهم، ووصفهم ظاهراً وباطناً لعباده المؤمنين ليكونوا منهم على حذر، فالله ﷻ بدأ كتابه بذكر طوائف الناس: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، واقرءوا سورة البقرة من أولها، فالمؤمنون الذين آمنوا باطناً وظاهراً ذكر الله فيهم أربع آيات عرّفنا من خلالها على صفاتهم.

- والكافرون الذين كفروا باطناً وظاهراً ذكر الله فيهم آيتين عرّفنا من خلالها على صفاتهم.

- وأمّا المنافقون الذين أسلموا ظاهراً وكفروا باطناً ـ من الصعوبة أن نعرفهم، فإن لنا الظاهر والسرائر يتولاها رب السرائر ـ فهؤلاء ولخطرهم على الإسلام والمسلمين ذكر الله فيهم ثلاث عشرة آية، وذكرهم في سورة النساء، وفي سورة آل عمران، وما من سورة خلت من ذكر المنافقين، بل وفضَحَهُم الله ـ عزّ وجلّ ـ في سورة براءة حتى سميت بالفاضحة، لأن الله فضح فيها المنافقين، وكشف أسرارهم، كما وأنزل سورة كاملة فيهم وهي «سورة المنافقون»، حتى كاد القرآن أن ينزل جميعاً في وصف المنافقين والتحذير منهم لخطرهم، فتعالوا بنا يا أمّة الإسلام لنتعرف على هذا المجرم وهو المنافق من خلال الكتاب والسنة لتكونوا من المنافقين على حذر.

***عباد الله!***

**أولاً**: المنافق من أكذب الناس، وهذه صفة لازمة له يخبرك بها رب العزة، يقول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١]. وفي موضع آخر قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١١]. ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث**» ـ منها ـ «**وإذا حدَّث كذب**»(١).

**ثانياً**: المنافق له وجهان ولسانان، وجه يبتسم به للمؤمنين، ووجه يبتسم به للكافرين، لسانٌ يكلم به المؤمنين، ولسانٌ يتكلم به مع أعداء الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]. ويقول ﷺ: «**تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»(٢)، وقال ﷺ: «**من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار**»(٣).

**ثالثاً**: المنافقون أحسن الناس أجساماً وأعسلهم لساناً وألطفهم بياناً وأخبثهم قلوباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٠٤)، م: (٢٥٢٦).
(٣) **صحيح لغيره**: طس (٨/ ٣٦٥)، حل: (٢/ ١٦٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٠)].

**رابعاً**: المنافق متذبذب بين الكفر والإيمان، فهو في ريب متردد، قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

**خامساً**: المنافق يتربص بالمؤمنين الدوائر، يتمنى المصائب للمؤمنين في كل لحظة، إذا نزلت بالمؤمنين مصيبة فرح واستبشر، وإذا نزل بالمؤمنين نصر من عند الله غمه ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤١].

**سادساً**: المنافقون يشبه بعضهم بعضاً، فهم جنس خبيث، إذا أمروا أمروا بالمنكر، وإذا نهوا نهوا عن المعروف، ولذلك أقول: إذا جلس أهل الإيمان والدعاة وطلاب العلم وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تركوا المجال للمنافقين ليأمروا الناس بالمنكر وينهونهم عن المعروف. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ ـ أي: بعضُهُم يشبه بعض ـ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

**سابعاً**: المنافقون إذا دعوا إلى الكتاب والسنة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه تراهم يصدون عن ذلك صدوداً ويرفضون ذلك بكل قوة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١].

**ثامناً**: المنافق إذا قام للعبادة قام كسلانَ مرائياً، وإذا جاء إلى العبادة جاء كسلانَ مرائياً، يقول الله ﷻ في وصف المنافقين إذا خرجوا من بيوتهم إلى الصلاة: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤]، وإذا جاءوا إلى المسجد فأُقيمت الصلاة قاموا إلى الصلاة وهم كسالى يراءون الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

**تاسعاً**: المنافقون من أجبن الناس في أرض المعركة، وإذا اشتدت الأزمة وتداعى الكفار على المسلمين من كل مكان في هذه اللحظة الحرجة يتخلى المنافقون.

وقد أخبرنا الله ﷻ عنهم في كتابه، فقال تعالى في يوم الأحزاب وما لقي المؤمنون فيه من شدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

في هذه اللحظة الحرجة التي زُلزل المؤمنون فيها زلزالاً شديداً اسمع ماذا يقول المنافقون وماذا يطلبون: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]. قالوا: يا رسول الله نريد أن نرجع إلى بيوتنا إنها عورة، ففضحهم الله ﷻ وقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾، ولا عذر لهم إلا أنهم يريدون الفرار من المعركة لينتصر الكفار على المسلمين، قاتلهم الله. انظر إلى المؤمنين الصادقين في أرض المعركة فهم على العكس من ذلك تماماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]. إذن المنافق جبان في أرض المعركة، خائن، فإياك أن تركن إليه، وإياك أن تنخدع بابتسامته وبكلامه واعلم أن المنافقين قد كثروا في زماننا هذا، فاحذرهم.

**عاشراً**: المنافق من شيمه وأخلاقه أنه يطلب العزة من أعداء الإسلام والمؤمن الصادق يطلب العزة من الله وحده، فمن كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ

يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

***عباد الله!*** **أعد الله للمنافقين عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، فمن العذاب الذي أعده الله للمنافقين في هذه الدنيا:**

**أولاً**: أنه سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يجاهدهم، ويغلظ عليهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]. وجهاد المنافقين يكون بالحجة والبرهان، وجهاد الكفار يكون بالسلاح.

**ثانياً**: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يصلى على أحد منهم مات أبداً أو أن يقوم على قبره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

**ثالثاً**: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يستغفر لهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠].

**أما يوم القيامة:**

فالله ﷻ يفضح المنافقين في أرض المحشر، وذلك حين تظهر العلامة التي بين المؤمنين وبين ربهم فيخرون لربهم سجداً فإذا سجد المؤمنون وأراد المنافقون أن يسجدوا مع المؤمنين كما كانوا يسجدون في الدنيا معهم مُنِعُوا من السجود وتصلّبت ظهورهم فلا يستطيعون السجود يوم القيامة وترهقهم ذلّة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

**وهناك على الصراط.**

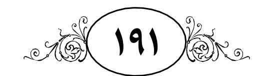
إذا أخذ المؤمنون في السير على الصراط، وما أدراك ما الصراط؟! هو متن على جسر جهنم أدق من الشعر، وأحد من السيف، يسير عليه الناس بنور أعمالهم، فإذا سار المؤمنون وسار معهم المنافقون كما كانوا يفعلون في الدنيا، فإذا بدءوا في السير على الصراط، فهناك تهب ريح النفاق لتطفىء أنوار المنافقين فيقفون حيارى على الصراط، ويأخذون بالنداء على المؤمنين: ألسنا معكم لم تركتمونا على الصراط في هذه الظلمات؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥].

***عباد الله!*** المنافق مجرم، المنافق من أهل النار، المنافق نفاقاً قلبياً الذي يعتقد الكفر ويظهر الإسلام فهو في الدرك الأسفل من النار، المنافقون أشد ضرراً على الإسلام والمسلمين، فضحهم الله ﷻ في كتابه، ووصفهم لنا ظاهراً وباطناً لنكون منهم على حذر.

***أمة الإسلام!*** تعلموا دينكم، وكونوا على علم بصفات المنافقين حتى لا تنخدعوا بهم وبأقوالهم، وحتى لا تكونوا من ضحايا المنافقين.

**اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁



# المجرم الخامس ـ المرائي

***عباد الله!*** في الجمعة الماضية تبين لنا أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وتبين لنا عباد الله أن مَنْ كان مجرماً دخل النار، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤]، وتبين لنا أيضاً أن من المجرمين من يدخل النار ويعذب فيها ولا يخرج منها أبداً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦]. ومن المجرمين يا عباد الله من يعذب في النار ولكن لا يُخلّد فيها كأصحاب الكبائر.

***عباد الله!*** **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الخامس، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المرائي»**

***أمة الإسلام!*** المرائي مَنْ يبتغي بعمله الدنيا.

- المرائي مَنْ يبتغي بعمله غير الله.
- المرائي الذي ينشط بالعبادة أمام الناس ويكسل عنها إذا كان وحده.
- المرائي في قلبه مرض.
- المرائي الذي يُظهر للناس خلاف ما في قلبه، كما قال القائل في وصف المرائين:

هم في الظواهرِ زهادٌ أولوا ورعٍ    وفي البواطنِ إخوانُ الشياطينِ

يُحرِّمون الذي حلَّ الإلهُ لهم ويستبيحونَ أموالَ المساكينِ
يا بئسَ ما فعلوا يا بئسَ ما تركوا وهم يُعدُّون فينا بالملايين

فانظروا يا عباد الله، هم في الظواهر زهاد أولو ورع، وفي البواطن إخوان الشياطين، يحرمون ما أحل الله ولكنهم بينهم وبين أنفسهم يستحلون أموال المساكين، فيا بئس ما فعلوا، ويا بئس ما تركوا، وهم يعدون فينا بالملايين.

***عباد الله!*** المرائي مجرم من أهل النار، بل هو أول من تسعرُ به جهنم، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرَّفهُ نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعَلمه، وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلَّمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وَسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه ثم أُلقي في النار**»(١).

***عباد الله!*** انظروا إلى المرائين إنهم أرادوا بأعمالهم هذه الدنيا الفانية ولم يريدوا بأعمالهم وجه الله والدار الآخرة. والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أخوف ما**

(١) صحيح: م: (١٩٠٥).

**أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»؟[(١)]، وهيهات هيهات أن يجدوا جزاءً يوم القيامة إلا عند الله.

***عباد الله!*** انظروا إلى هؤلاء المرائين الذين أتى ذكرهم في الحديث السابق:

● فالمرائي الأول كان قد قدّم روحه في أرض المعركة ولكن بنية خبيثة، بنية فاسدة أراد بموته فقط أن يقال عنه بعد موته: جريء، وأن يكتب عنه في الصُّحف والمجلات، وأن يكتب عنه التاريخ، فهو ما أراد بموته وجه الله وأن يُعلي كلمة الله ﷻ، وقد سُئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٢)].

● انظروا عباد الله إلى المرائي الثاني: فإنه تعلم العلم، علم الكتاب والسنة وعلَّمه، وقرأ القرآن، ولو أنه أراد بهذا العلم وجه الله لارتفع وعلا في الدنيا والآخرة، ولفاز في الدنيا والآخرة، ولكنه طلب العلم، وتعلم، وقرأ القرآن بنية خبيثة فاسدة أراد بذلك أن يُشار إليه بالبنان وأن يتصدر المجالس، ليقال عنه: عالم، ليقال عنه: قارئ، والله ﷻ ضرب لمثل هذا ولأمثاله مثلاً في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، فلم يكن له همّ إلا الدنيا، فهو يلهث خلفها، يبيع دينه بعرض من الدنيا، ورسولنا الكريم ﷺ

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٤٢٨)، طب: (٤/٢٥٣)، هب: (٥/٣٣٣)، [«ص.غ.هـ» (٣٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٧٠٢٠)، م: (١٩٠٤).

يقول: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»(١)، أي: لم يجد ريحها يوم القيامة. وقال ﷺ: «**لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنارُ النارُ**»(٢)، وقال ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم**»(٣).

يا طالب العلم! اسأل نفسك لم تتعلم؟ وكيف تتعلم؟ فإن كنت تتعلم لوجه الله فستنتفع بهذا العلم في الدنيا والآخرة، وإنْ كنت تتعلم للدنيا الفانية: لتصرف أنظار الناس إليك، لتتصدّر بذلك المجالس، ليشار إليك بالبنان، فالويل لك أيها الطالب!! فالويل لك أيها المسلم إنْ فعلت ذلك!

• وانظروا إلى المرائي الثالث: فإنه بَدَلَ أن ينفق المال في مرضاة الله، أنفقه ليقال عنه: كريم، ليقال عنه: جواد، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

***عباد الله!*** يوم القيامة إذا جمع الله الأولين والآخرين، وخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً لرب العالمين، ووقفوا عند الله للحساب والجزاء فيفضح الله المرائين ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، يوم يخرج ما في الصدور، يوم الفضيحة الكبرى يقول الله للمرائين في هذا الموقف

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٦٤)، هـ: (٢٥٢)، حم: (٢/ ٣٣٨)، حب: (٧٨)، ك: (١/ ١٦٠)، ع: (١١/ ٢٦٠)، هب: (٢/ ٢٨٢)، ش: (٥/ ٢٨٥)، [«ص.ج» (٦١٥٩)].
(٢) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٥٤)، حب: (٧٧)، هب: (٢/ ٢٨٢) [«ص.غ.هـ» (١٠٧)].
(٣) **صحيح**: هـ: (٢٦٠)، مي: (٣٧٤)، طس: (٦/ ٣٢)، [«ص.ج» (٦١٥٨)].

الشديد: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم هل تجدون عندهم جزاء؟ قال ﷺ: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»(١)، وقال ﷺ: «**من سَمَّعَ الناس بعمله سمَّع الله به مسامع خلقه، وصغَّره وحقَّره**»(٢).

***عباد الله!*** كونوا من الرياء على حذر؛ فهو مرض خطير جداً، لا يُرى بالعين ولا يمس بالأنامل، ولا يسمع بالأذان، إنما يكمن في القلب، ويخفى حتى على صاحبه.

***عباد الله!*** كونوا من الرياء على حذر؛ فهو مرض خطير جداً، والله ﷻ ـ لخطورة الرياء ـ حذر عباده منه، في القرآن الكريم، والرسول ﷺ ـ لخطورة الرياء ـ حذر أمته منه يقول الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧]، فبين الله ـ عزّ وجلّ ـ لعباده أنه أعد للمرائين الويل والعذاب الأليم.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فبين الله لعباده أن الرياء يحبط الأعمال.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧]. فبين الله لعباده أن الرياء من شيم الظلمة والجبابرة والمتكبرين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، فبين الله لعباده أن الرياء من شيم المنافقين، والرسول ﷺ يقول:

---

(١) **صحيح لغيره:** طب: (١١٩/٢٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٨)].

(٢) **صحيح:** حم: (٢٢٣/٢)، طس: (١٧٢/٥)، هب: (٣٣١/٥)، [«ص.غ.هـ» (٢٥)].

«**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجال؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»(١).

فاعتبروا يا عباد الله، فهذا يقوم يصلي ويزين صلاته، ويخشعَ فيها، لأنه يعلم بأن هناك رجلاً ينظر إليه، ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**»، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**»(٢). وقال ﷺ محذراً من الرياء: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»(٣)، أي: أن المرائي الذي يريد بأعماله الدنيا فقط يُفْسِدُ دينه كإفساد الذئبان الجائعان إذا أرسلا في غنم، وقال ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرِّفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**»(٤)، وقال ﷺ: «**إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»(٥).

***عباد الله!*** إنّ المرائي مجرم في حق ربه، وذلك لأن الله ﷻ خلقه لعبادته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأمره الله ﷻ أن يخلص في العبادة له وحده سبحانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٠٤)، [«ص.غ.هـ» (٣٠)].
(٢) **حسن**: خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣١)].
(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٧٦)، حم: (٣/ ٤٥٦)، مي: (٢٧٣٠)، حب: (٣٢٢٨)، ش: (٧/ ٨٤)، هب: (٧/ ٢٦٧)، [«ص.ج» (٥٦٢٠)].
(٤) **صحيح**: حم: (٥/ ١٣٤)، حب: (٤٠٥)، ك: (٤/ ٣٤٦)، هب: (٧/ ٢٨٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٣)].
(٥) **صحيح**: ن: (٣١٧٨)، هق: (٣/ ٣٤٥) [«ص.ج» (٢٣٨٨)].

ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١٤]، ومع ذلك عمل المرائي، وابتغى بعمله غير الله، فهو بذلك مجرم.

• المرائي مجرم في حق نفسه، لأنه ابتغى بأعماله غير الله فجاء يوم القيامة فلم يجد لأعماله ثواباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، حيث أضاع نفسه وأهلكها.

• المرائي مجرم في حق الأُمّة، لأن الإخلاص سبب لنصر الأمة، والرياء سبب لهزيمة الأمة، فإذا كثر المراءون في هذه الأمة تسببوا في هزيمة الأمة، وأظن يا عباد الله أن الأمة نزلت إلى أسفل مستوى بسبب كثرة المرائين فيها.

***عباد الله!*** نقول للمرائي: أيها المرائي، اتقِ الله، إذ كيف تبتغي بعملك غير الله؟! والله ﷻ أمرك بالإخلاص فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [التوبة: ٣١].

• أيها المرائي، كيف تبتغي بأعمالك غير الله؟! والرسول ﷺ يقول لك: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

• أيها المرائي، اتقِ الله، واعلم أنك خارج من هذه الدنيا، وداخل إلى القبر، وانظر إلى الذي يدخل معك في قبرك، ويكون معك يوم القيامة في أرض المحشر، وعلى الصراط، وفي الجنة، يقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (١٩٠٧).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

• أيها المرائي، تذكر أنك راجع إلى الله وواقف بين يدي الجبار يوم القيامة أيها المرائي:

مَثِّلْ وقوفكَ يَومَ العَرْضِ عُريانا مُستوحشاً قَلِقَ الإحشاءِ حَيْرانا
والنارُ تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ على العصاة وَربُ العرشِ غضبانا
اقرأْ كتابكَ يا عبدي على مَهَلٍ فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تُنْكرْ قراءتَه إقرارَ من عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليلُ خذوهُ يا ملائكتي وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون في دار الخلد سكانا

***أمة الإسلام!*** كونوا من الرياء على حذر، واحذروا مجالس المرائين، الرياء مرض خطير يخفى على صاحبه، فعليكم بمصاحبة الأخيار، وعليكم بالإخلاص، فالإخلاص هو سر النجاح، واعلم يا عبد الله أنك راجع إلى الله فاحرص على الحسنات واعمل لله فهو الغني وأنت الفقير وهو الذي يثيبك يوم القيامة على أعمالك.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

١٩٢

# المجرم السادس ـ المرابي

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم السادس، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المرابي»؟**

***أمة الإسلام!*** **أتعرفون المرابي؟**

- إنه مَنْ يأكل الربا.
- إنه من يتعامل بالربا.
- إنه من يعمل في المؤسسات الربوية.
- إنه من يُقرض ماله للناس بالفائدة.
- إنه من يضع أمواله في المؤسسات الربوية ليرابي بها.
- إنه من يبيع ويشتري بالربا.

***عباد الله!*** المرابي مجرم، يُبعث يوم القيامة من قبره كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

***أمة الإسلام!*** المرابي مجرم توعده الله ﷻ بنار حامية، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢].

***عباد الله!*** المرابي مجرم، ومصيره إلى الدمار، مصيره إلى الهلاك، مصيره إلى قلة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وأظنكم يا أمة الإسلام قد نظرتم إلى الذين أكلوا الربا وتبين لكم كيف محق الله أموالهم، فمنهم مَنْ أصابه الفقر، ومنهم مَنْ أنفق هذا المال على نفسِه بسبب الأمراض الفتاكة التي نزلت به. ومنهم مَنْ كانت نهايته السجن ومن يذهب منكم إلى السجون فليسأل كم في السجن من المرابين؟!.

● هذا مصيرهم لأن الله تعالى توعدهم بأن يمحق الربا من أيديهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩]. ويقول ﷺ: «**ما أحدٌ أكثر من الربا إلّا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[١]، أي: الربا وإن كثر، وإن علا وملأ البيوت، وملأ الجيوب، ووصلت الأرصدة في البنوك إلى ما لا يعلمه إلا الله فإنّ مصيره ما يخبرنا الرسول ﷺ به «**عاقبة أمره إلى قلة**» وقد رأينا ذلك، رأينا تجاراً كان يُشارُ لهم بالبنان وكانوا يلعبون بالملايين حتى افتتن الناس بهم، وظنوا أنهم يجمعون هذا المال من الحلال، وإذا بنا نراهم إما احتالوا وفروا إلى بلاد الكفر، وإما أنهم سكنوا المستشفيات، وإما أنهم أصيبوا بجلطة فماتوا وحُملوا إلى القبور، وإما أنهم يعيشون في السجون، فاعتبروا يا أولي الألباب.

***عباد الله!*** المرابي مجرم عرَّض نفسه بأكل الربا للعنة الله، وكل من اقترب من الربا فهو ملعون، فالذي يضع ماله في المؤسسات الربوية ويأخذ عليه الفائدة ملعون، والذي يقترض بالرّبا ملعون، والذي يكتب عقد الربا ملعون، والذي يكفل المقترض من البنوك ويشهد على العقد ملعون وهم سواء، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا**

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧٩)، ك: (٤/ ٣٥٣)، هب: (٤/ ٣٩٢)، [«ص.ج» (٥٥١٨)].

**وموكله، وكاتبه، وشاهديه وقال: هم سواء**»[1]، أي: في الإثم، فأنت معهم سواء يا من تكفل مَنْ يأخذ الربا، ويا من ساعدت مَنْ اقترض من مؤسسات الربا، ويا من تعمل في مؤسسات الربا، ويا من وضعت أموالك في بيوت تُباع بالربا، ويا مَنْ وضعت أموالك في مؤسسات الربا، ويا مَنْ تعيش على الربا، أنت ملعون على لسان رسول الله ﷺ، فاعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

***أمة الإسلام!*** المرابي مجرم وظالم أعلن الله عليه الحرب، وعلى كل من يتعاملون بالربا. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨١].

***عباد الله!*** ومن خلال الآيات التي قرأتها آنفاً نجد أن الله عزّ وجلّ حذّرنا وهددنا بعدة أُمور:

**فالتهديد الأول**: حذّر ربنا جل وعلا المرابين في هذه الآيات بهذه التهديدات فاسمع وعِ وافهم واعتبر أيها المسلم؛ ينادي ربنا جل وعلا المسلمين باسم الإيمان، بأحب الأسماء إلى قلوبهم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ثم يختم ربنا الآية بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ليشعرنا بذلك أن الربا، وأكل الربا، والتعامل بالربا، لا يليق بالمؤمنين أبداً، ولا ينبغي أن يكون بين المؤمنين، ولا ينبغي أن يكون في مجتمعات المؤمنين، لأن المؤمن يعلم بأن الرزق على الله، لأن المؤمن يعلم أن من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ولأن المؤمن يعلم بأن المؤمنين إخوة، ويعلم أن المؤمنين كالبنيان، ويعلم بأن المؤمنين

(١) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

كالجسد الواحد، ويعلم بأن الرزق على الله، وهو يطارده كما يطارده الأجل فلا ينبغي ولا يجوز أبداً للمؤمنين أن يتعاملوا بالربا، لأن التعامل بالربا من شيم اليهود ومن أخلاقهم، فاليهود هم الذين أغرقوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها في الربا، أما تنظرون إلى البنك الدولي الذي يقرض البلاد والدول الفقيرة؟ انظروا إلى الأموال التي فيه لِمَنْ هي؟ وانظروا إلى القائمين عليها إنهم من تجار اليهود، فهم من يقومون بتأسيس وتنشيط معاملات الربا في كل الدنيا قديماً وحديثاً، فلذلك يقول الله ﷻ في وصف اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

**التهديد الثاني**: يؤخذ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فإنه دليل على أن الذي يتعاطى الربا لا يتقي الله، ولا يخاف من الله، ومن لا يتقي الله ولا يخاف من الله، قد عرض نفسه لغضب الله.

**التهديد الثالث**: يأمر ربنا جل وعلا بترك الربا: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾، أي: اتركوا ما بقي من الربا، وهذا أمر، والأمر يفيد الوجوب، فدل على أن الذي يتعاطى الربا قد عصى أمر الله.

**التهديد الرابع**: أن الله ﷻ أعلن الحرب على من لم يترك التعامل بالربا ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾، أي: لم تتركوا الربا ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يا من تأكلون الربا أتقدرون على حرب الله؟ إنها حرب على أعصابكم، حرب على سعادتكم في هذه الحياة، حرب على صحتكم، حرب على الأولاد، حرب على أموالكم.

**التهديد الخامس**: سَمى ربنا جل وعلا آكل الربا ظالماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

**التهديد السادس**: أنذر سبحانه المرابين يوم القيامة فقال لهم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ

﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

***عباد الله!*** المرابي مجرم، لأنه بأكله للربا اقترف جريمة أشد من فاحشة الزنا في المحارم. نعم إن جريمته هذه أشدّ عند الله من جريمة الذي يزني بأمه أو أخته أو عمته أو خالته، مع أن الزنا حرام ـ كما تعلمون ـ وفاحشة عظيمة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، والزنا بالمحارم: بالأم أو الأخت أو العمة أشد فاحشة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢]، والذي يأكل الربا إثمه أشد من الذي يزني بمحارمه، يقول ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية**»[(١)]. درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من أكلت الألوف والملايين؟ درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من بنيت بيتك بالربا؟ درهم ربا!! فماذا تقول لربك يا من ربيت أولادك على الربا؟ ويقول ﷺ: «**الربا ثلاث وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»[(٢)]، أبعد ذلك تُصِّر على أكل الربا؟ أفي قلبك إيمان أيها المسلم، الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها، أهونها وأخفها كالذي ينكح أمه، فما بالكم بمن دخل في الربا مِنْ جميع أبوابه؟! فيا آكل الربا، ماذا عساك تقول لربك يوم القيامة؟!

***عباد الله!*** المرابي مجرم يمتص دماء الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولذلك رآهُ النبي ﷺ في المنام وهو يسبح في نهر من دم، انظروا إلى المؤسسات الربوية كيف فعلت بالناس، لقد قضت على الناس، وهذا عقاب من الله للناس، لأنه حذرهم أن يقترضوا من المؤسسات الربوية، ومع ذلك أخذوا الربا وبنوا البيوت، فامتصّ المرابون دماء الفقراء، وقد

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، طس: (٣/ ١٢٤)، هب: (٤/ ٣٩٣)، [«ص.غ.هـ» (١٨٥٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص.غ.هـ» (١٨٥١)].

أخبر النبي ﷺ أصحابه عمّا رآه في منامه، فكان مما قال لهم: «**فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شطّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فليقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلّما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً**، قال: **قلت لهما: ما هذان؟**...» ثم أخبرا ﷺ فقالا له: «**فإنه آكل الربا**»(١).

***عباد الله!*** المرابي مجرم في حق ربه، مجرم في حق نفسه وأولاده، مجرم في حق الناس، مجرم في حق مجتمعه.

● مجرم في حق ربه، لأن الله أمره أن يترك الربا، ونهاه عن أكل الربا فلم يستجب لأمره ولا لنهيه، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

● المرابي مجرم في حق نفسه وأولاده، لأنه أكل الحرام، وأطعم أولاده الحرام، ويقول ﷺ: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢)، فماذا عساه يقول لربه يوم القيامة إذا سُئل عن أولاده وعن نفسه لِمَ أكلت الحرام؟ والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

● المرابي مجرم في حق الناس، لأنه يمتص دماءهم بأخذه لأموالهم.

● المرابي مجرم في حق مجتمعه، لأن الربا إذا انتشر في مجتمع كان مصيره إلى الذل والصغار، يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة** ـ وهي نوع من أنواع الربا ـ **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** ـ أي: رضيتم بالدنيا ـ **وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** ـ أي: عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٣). وأكْل الربا سبب لنزول العذاب من الله، يقول ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠).

(٢) **صحيح**: هب: (٥/٥٦)، حل: (١/٣١)، [«ص.ج» (٤٥١٩)].

(٣) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«س.ص» (١١)].

«**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

***عباد الله!*** أيستطيع كل منكم الآن أن يجيب على هذا السؤال، لماذا هذا الضنك، ولماذا هذا الكرب والبلاء والذل الذي أصاب الناس في كل مكان؟ ما السبب؟ السبب لأنهم أكلوا الربا، وتعاملوا بالربا، واستحلوا الربا، والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

***عباد الله!*** نقول للذين يأكلون الربا أو الذين تسوّل لهم أنفسهم أن يأخذوا من الربا أو أن يعملوا في مؤسسات الربا، أو أن يضعوا أموالهم في المؤسسات الربوية ليعيشوا بالفائدة، نقول لهم: هذا ربا، والربا حرام ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فالربا حرام، والربا من الموبقات، يقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ ـ فذكر منها ـ: «**وأَكْل الربا**»(٢).

فالربا حرام، حرّمه الله في كتابه، وحرمه رسول الله ﷺ في سنته، فمن استحل الربا وأكله على أنه حلال، فتعامل بالربا، واستحل هذه المعاملة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام إن مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

أمّا من استحل الربا، وزعم أنه حلال، وبنى ذلك على ما يسمع من أعداء الإسلام الذين يكتبون ويقررون أن الربا كان حراماً في الجاهلية، وكان حراماً في العهد الأول للإسلام، أما الآن فالمعاملات والتجارة بين الناس لا يمكن أبداً أن تكون إلا عن طريق الربا ويُستحِلُّون الربا بذلك، فنقول له: الربا حرام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

• والعلاج والجواب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. واعلم يا آكل الربا أن الرزق على الله، واعلم أن الرزق يطاردك كما يطاردك الأجل، فإذا علمت وأيقنت أنك لن

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٢) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

تموت إلا إذا انتهى الأجل، فاعلم واللهِ أنك لن تموت كذلك إلا أن تتحصل على الرزق الذي كتبه الله لك، فإن علمتم يا عباد الله ذلك فأجملوا في الطلب، واطلبوا رزق الله بطاعة الله، وابتعدوا عن معصية الله.

● واعلم أيها المرابي أن الموت يأتي بغتة، وأنك ستندم عند الموت، وتتمنى أن تعود إلى الدنيا لتتوب من الربا فيقال لك عندها: كلا.

● واعلم أيها المرابي أنك راجع إلى الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فاعلم أنك راجع إلى الله، وواقف بين يدي الله، ولن تزول قدمك حتى تسأل عن أربع منها: عن مالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟.

● أيها المرابي، أعِدَّ لهذا السؤال جواباً من أين اكتسبت المال؟ وأين أنفقته؟ وانظروا إلى الذين يتعاملون بالربا ويأكلون الحرام، لترونهم يجمعون المال من الحرام وينفقونه في معصية الله، في شراء (الستالايت)، في السفر إلى بلاد الكفر لإنفاق هذا المال على البغايا، وشرب الخمر، والدخان.

● أيها المرابي، اعلم أنك واقف بين يدي الله لتُسْأل عن الرعية التي استرعاك الله إياها، قال ﷺ: «**ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**، ـ وذكر ـ **والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته**»[1]، فما ذنب الأطفال الصغار الذين تطعمهم الربا وتربيهم لجهنم؟!

فيا أيها المرابي، اتقِ الله في نفسك، وفي مالك، وفي زوجتك وأولادك، فأنت خارج من الدنيا وتارك لهذا المال خلفك.

**اللهم تب علينا من الربا وباعد بيننا وبينه**

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: خ: (٦٧١٩)، م: (١٨٢٩).

١٩٣

# المجرم السابع ـ المصر على المعاصي

***عباد الله!***

تبين لنا من حديثنا الماضي أن الله ﷻ أعد النار لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦].

***عباد الله!*** وتبين لنا أن من كان في هذه الدنيا مجرماً دخل النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

**_عباد الله!_ وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم السابع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المصر على المعاصي».**

***أمة الإسلام!*** أتعرفون المصرّ على المعاصي؟ إنه الذي يأكل الربا ويصر على أكل الربا، إنه الذي يزني ويصر على الزنا، إنه الذي ترك الصلاة ويُصر على ترك الصلاة، إنها المتبرجة وتصر على التبرج، إنه من يبارز الله بالمعاصي بالليل والنهار ولا يفكر بالتوبة والرجوع إلىٰ الله.

***عباد الله!***

• المصرّ على المعصية ظالم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، أي: ومن أصر على المعصية بعد أن عرف أنها حرام، وأن الواجب عليه أن يتوب منها، ولم يتب فأولئك هم الظالمون.

• المصرّ على المعصية ملعون، قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟

وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

• المصرّ على المعاصي إذا تاب على فراش الموت أغلقت في وجهه أبواب التوبة، وردت توبته عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨]، أي: ليس للذين يصرون على المعاصي حتى الموت توبة.

• المصرّ على المعاصي مصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠]. وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

• المصر على المعاصي يأبى أن يرجع إلىٰ الله، المصرُ على المعصية قرر أن يستمر على مبارزة الله بالمعاصي حتى يلقىٰ الله، فالويل لك أيها المصر على المعاصي!!

***عباد الله!*** اعلموا أن الإصرار على المعاصي سبب للهلاك والدمار على مستوى الفرد والأسرة، وعلى مستوى الشعوب والأمم، فالفرد إذا أصر على معصية الله فالهلاك، الهلاك، والأسرة إذا أصرت على معصية

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

الله فالهلاك الهلاك والشعب والأمة إذا أصروا على معصية الله فالهلاك الهلاك. والعاقل من اعتبر بغيره، والله ﷻ يخبرنا عن الأمم الذين مضوا قبلنا وأنهم لما أصرّوا على المعاصي أهلكهم الله وأبادهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٦ ـ ٤٠]. وقد حذرنا ربنا في كتابه من أن نسلك سبيل هؤلاء، وأن نصر على المعصية، وأن نبارز الله بالمعاصي، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤]. يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا أيها القاطع للرحم، يا تارك الصلاة، يا أيتها المتبرجة، يا أيها المفسد في الأرض إن ربك لبالمرصاد. ثم قال تعالى محذراً: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٨].

***أمة الإسلام!*** كذلك نفعل بالمجرمين المصرين على المعصية، وعلى الكفر والشرك، ثم يقول ربنا جل وعلا موبخاً ومحذراً: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: ٤٥]. واللهِ لقد سكنا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لنا كيف فعل ربنا بهم وضرب لنا الأمثال كما سمعتم، ولكن هل دفعنا ذلك إلى التوبة والرجوع إلى الله؟! ولذلك بعد أن قص

علينا ربنا جل وعلا في كتابه كيف انتقم من المصرين على المعاصي قال محذراً إيّانا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، ثم قال تعالى محذراً أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥]. نعم، يأتي العذاب من أسفل ومن أعلى كما نرى: براكين وزلازل، وأمراض، كل هذا بسبب المعاصي والإصرار على المعاصي.

***عباد الله!*** كم حذرنا من وسائل الفساد إلا أنها ازدادت في بيوت المسلمين وبلادهم! فإنّا لله وإنا إليه راجعون، كم حذّرنا من التبرج لكنه ازداد في شوارع المسلمين!! كم حذّرنا من الربا لكن الكثيرين أقبلوا على الربا، ما الذي أصابنا يا عباد الله؟ هل نؤجّل التوبة إلى أن ينزل بنا العذاب؟! وعندها لن ينفع الندم، ولن تنفع التوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ﴾ [غافر: ٨٥].

***عباد الله!*** الإصرار على المعاصي سبب للهلاك والدمار، الإصرار على المعاصي سبب لزوال النعم على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب، إذا أصر الناس على معصية الله زالت النعم من بين أيديهم، واعتبروا بمن قص الله عليكم خبرهم في القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]. انظر للذي أصابهم: حلَّ بهم بعد الشبع جوع، وبعد الأمن خوف، جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

***ابن آدم!***

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَهَا فإنَّ المعاصي تُزِيلُ النِّعَمْ
وحافظْ عليها بشكرِ الإلهِ فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

***عباد الله!*** المعاصي سبب لانتشار الفساد في البر والبحر؛ فإذا أصر الناس على معصية الله ظهر الفساد في البر والبحر، كما نرى ذلك بأُم أعيننا ولا يختلف في ذلك اثنان، فالأسماك تموت في البحر بسبب معاصينا، والطيور تموت في أوكارها بسبب معاصينا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

***عباد الله!*** فساد في الأخلاق وفساد في السلوك قد انتشر، وفساد في النساء، وفساد في الأولاد قد انتشر، فساد في البيع والشراء والمعاملات، السبب: المعاصي والإصرار عليها، يقول ﷺ مذكراً ومحذراً: «**يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:**

**١ ـ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.**

**٢ ـ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم.**

**٣ ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.**

**٤ ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوّهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.**

**٥ ـ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ، ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[1].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، هب: (٣/ ١٩٦)، حل: (٨/ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

***عباد الله!*** إن الكثير من الفواحش اليوم قد ظهرت: زنا، لواط، تبرج، فالزاني يزني ولا حياء، واللواط انتشر، وهو أن يأتي الرجل رجلاً مثله شهوةً، ثم ها هي المتبرجة تسير في الشوارع بلا حياء وتعلن التبرج بين النساء! فلمّا ظهرت الفاحشة بيننا فشا فينا الطاعون، والأمراض الخطيرة، وفشت فينا الأوجاع، والأمراض التي لم تكن مضت في أسلافنا الذين مضوا، هل كان أسلافنا الذين مضوا يسمعون عن الإيدز؟ لقد انتشر اليوم ـ وللأسف الشديد ـ في بلاد المسلمين فهل وقعت الفاحشة وانتشرت الأمراض؟ الجواب: نعم، فاللهم سَلِّم سَلِّم.

**الثانية ـ ولم ينقصوا المكيال.....:**

أي: الغش في البيع والشراء، والعقاب: «أخذوا بالسنين»، بالفقر والضيق في المعيشة، وقلة الأموال، وإذا جلست في مجالس المسلمين اليوم في كل مكان تجدهم يشتكون الفقر، حتى الغني يشتكي الفقر قبل الفقير! فالضنك والعذاب والفقر مرتبط بمعصية الله، والحياة الطيبة مرتبطة بطاعة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. انظر، فهكذا ربط الله بين الحياة الطيبة وبين الأعمال الصالحة، وربط سبحانه وتعالى كذلك بين المعاصي وحياة الضنك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

**الثالثة ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء:**

واليوم الأغنياء الذين يملكون نصاب الزكاة كثير، والذين يخرجون الزكاة ويتقون الله منهم قليل، فالأكثرية منعت الزكاة، ولمّا منعوا الزكاة مُنعوا المطر، والمطر الذي نزل من السماء أنزله الله من أجل البهائم التي لم تقترف المعاصي، ولعلّكم تسمعون عن بعض البلاد الإسلامية التي لم ينزل عليها المطر هذا العام ولا مرة واحدة جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

**الرابعة ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم:**

وقد نقضنا العهد مع الله، ومع رسوله ـ إلا من رحم ربي ـ فكان العقاب من الله أن سلط علينا الكفرة ـ الذين كانوا لا يَجْرؤون أن يتكلموا إذا تكلم أهل الإسلام ـ فأخذوا بعض ما كان في أيدي المسلمين من الخيرات، فهم اليوم يأخذون خيرات المسلمين، ويتحكمون في المسلمين، إذا شاءوا أن يحاصروا بلداً ما حاصروها، وإذا شاءوا أن يقاتلوا بلداً ما قاتلوها، ونحن نسمع وكأننا لا نسمع!!

**الخامسة ـ ولم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ إلا جعل الله بأسهم بينهم:**

ها نحن اليوم وقد ابتعدنا عما أنزل الله، وتحاكمنا إلى القوانين الوضعية، ورضينا بها وتركنا حكم الله فجعل الله بأسنا بيننا على مستوى الأفراد والجماعات الإسلامية والشعوب والأمم، أصبحنا أشداء لكن على بعضنا على بعض! والواجب على المسلمين أن يكونوا رحماء فيما بينهم أشداء على الكفار، لكن العكس موجود بيننا اليوم فنحن أشداء بعضنا على بعض، رحماء على الكفار إلَّا منْ رحم ربي!.

***عباد الله!*** الإصرار على المعاصي جريمة، والمصر على المعصية مجرم، ونقول للمصرين على المعاصي حتى الآن: ما الذي يمنعكم من الرجوع إلى الله؟ ما الذي يمنعكم من التوبة؟ ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً قد حل بكم، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟!

• أيها المصر على المعصية ماذا تنتظر؟ تنتظر أن ينزل عليك العذاب من الله بغتة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن

رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٤، ٥٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

• أيها المصر على المعصية، يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا أيتها المتبرجة، ماذا تنتظرون؟ أتنتظرون أن ينزل عليكم ملك الموت ليقول أحدكم عندها: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

• أتنتظر أن تحمل على الأعناق إلى القبور حتى إذا ما وُضِعْتَ في الحفرة وحدك فسُئلت عن ربك، وعن دينك، وعن الرجل الذي بُعث فيكم، قلت: ها ها لا أدري!؟.

• أتنتظر يوم أن تخرج من القبر تعض على أصابع الندم، وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي!؟.

• أتنتظر أن تكون من أهل النار فتقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر: ٣٧]!؟.

• أيها المصر على المعصية، أنصحك أن تفكر قبل أن تندم، إلى متى هذا الإصرار على المعصية؟! إلى متى هذه الذنوب؟! أما يكفي ما اقترفت؟!

• واعلم أيها المصر على المعصية لعلك أن تتوب:

ـ اعلم أن الله يغفر الذنوب جميعاً.

ـ واعلم أيها المصر على المعاصي أن الله يفرح بتوبة العبد إذا تاب إليه.

واعلم أيها المصر على المعاصي أن الله يبدل سيئات التائب إلى حسنات.

**اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً**

١٩٤

# المجرم الثامن ـ المبتدع في دين الله

***عباد الله!*** النار أعدها الله لتعذيب المجرمين جزاءً وفاقاً.

لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثامن، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المبتدع في دين الله»**.

المبتدع في دين الله هو الذي ابتدع أو اخترع طريقة في العبادة، أو اخترع وابتدع عبادة يقصد بها التقرب إلى الله ﷻ، ولم يقم على صحتها دليل من الكتاب والسنة.

والبدع قد انتشرت وعمت في بلاد المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

***عباد الله!*** إن البدع التي انتشرت في هذه الدنيا منها ما هو بدعة حسنة، ومنها ما هو بدعة قبيحة، أما الابتداع في الدين فكلّه ضلال، هذه البدعة وصاحبها في النار، كما قال ﷺ: **«وكل بدعة ضلالة»**(١)، **«وكل ضلالة في النار»**(٢).

***عباد الله!*** من ابتدع في الدين بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة.

---

(١) **صحيح**: م: (٨٦٧).

(٢) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، طب: (٩/ ٩٧)، حل: (٣/ ١٨٩)، [«ص،ج» (١٣٥٣)].

١ ـ المبتدع في دين الله عمله مردود عليه، يقول ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١). وخاصة أولئك الذين يحسِّنون البدع وينشرونها بين الناس ويدافعون عنها. يقول الله ﷻ عن هؤلاء: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

٢ ـ المبتدع في دين الله حجبت عنه التوبة حتى يدع بدعته، ولذلك فإننا نخشى على أصحاب البدع من سوء الخاتمة، يقول ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(٢)، ولهذا فإنك ترى المبتدع في دين الله مصرّ على بدعته حتى يموت.

فقد رأينا كثيراً من المبتدعة ماتوا على بدعهم لأنهم ظنوا أنهم يُحْسِنون صنعاً، وظنوا أنهم يتقربون ببدعتهم تلك إلى الله، ولذلك حببت البدعة إلى الشيطان أكثر من المعصية أتدرون لماذا؟ لأن الإنسان إذا عصى الله عرف أنه قد عصى الله فتاب من معصيته إلى الله فتاب الله عليه، أما المبتدع فإنه لا يرى من نفسه أنّه قد عصى الله، ولذلك تراه يصرّ على بدعته وينشرها بين الناس، ويدافع عنها بكل ما يملك من قوة فيحرم بذلك من التوبة من بدعته فيختم له بسوء الخاتمة.

٣ ـ المبتدع في دين الله ملعون، يقول ﷺ: «**من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين**»(٣).

٤ ـ المبتدع في دين الله محروم يوم القيامة من أن يرد حوض النبي ﷺ، محروم يوم القيامة من أن يشرب من يد رسول الله ﷺ شربة هنيئة، يقول ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب، أصحابي؟ يقول: لا**

---

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨)، خ: (٢٥٥٠).

(٢) **صحيح**: طس: (٤/ ٢٨١)، هب: (٧/ ٥٩)، [«ص.غ.هـ» (٥٤)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٧٧١)، م: (١٣٧٠).

**تدري ما أحدثوا بعدك**»(١)، وفي رواية: «**فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك**، فأقول: **سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي**»(٢).

٥ ـ المبتدع في دين الله عليه إثمه وإثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة، يقول ﷺ: «.. **ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(٣)، ويقول رب العزة: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل: ٢٥].

٦ ـ المبتدع في دين الله لا يزداد ببدعته من الله إلا بعداً، المبتدع في دين الله يظن أنه يتقرب ببدعته إلى الله وهو لا يزداد ببدعته إلا بعداً، والعاقل من اتعظ بغيره، فها هم الخوارج ابتدعوا في دين الله، ابتدعوا في العقيدة وكفّروا المسلمين وأخرجوهم من ملة الإسلام بارتكاب الكبيرة، فهؤلاء يقول ﷺ فيهم: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم**» ـ نعم، فأنت تتعجّب من اجتهادهم في العبادة ولكن انظر إلى النهاية يقول ﷺ: ـ «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(٤). فما زادتهم عبادتهم الكثيرة من الله إلا بعداً، ولذلك يقول رب العزة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ١ ـ ٤]، عاملة ناصبة في الدنيا ومع ذلك فإنها تصلى ناراً حامية يوم القيامة.

٧ ـ المبتدع في دين الله يسودّ الله وجهه يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٦٤٣)، م: (٢٢٩١).

(٣) **صحيح**: م: (١٠١٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٧١)، م: (١٠٦٤).

(تبيض وجوه أهل السنة ـ أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم ـ، وتسود وجوه أهل البدعة)[١].

٨ ـ المبتدع مع بدعته في نار جهنم، كان ﷺ إذا خطب الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله** ﷻ**، وأحسن الهدي هدي محمد** ﷺ**، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[٢].

***أمة الإسلام!*** الإسلام دين كامل ونعمة تامة لا يحتاج إلى زيادة من أحد أياً كان.

• وقد أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن الإسلام دين كامل، ونعمة تامة وأمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾... [المائدة: ٣]. فيا أهل الأهواء والبدع هذا ديننا كامل بنص القرآن لا يحتاج إلى بدعة من أحد، فنعمة الإسلام تامة لا تحتاج إلى زيادة، فارضوا بما رضي الله لكم، واقبلوا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من الكتاب والسنة، واتبعوا ولا تبتدعوا فديننا كامل ولا حجّة لنا حتى نبتدع أو أن نسلك سبلاً توصل إلى غضب الله والنار، وعليكم بسبيل الله كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

***أمة الإسلام!*** ورسولنا ﷺ قبل أن يخرج من هذه الدنيا أخبرنا أن الإسلام دين كامل، ونعمة تامة، وأنه ﷺ ما خرج من هذه الدنيا إلا وقد

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٠).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٧١ هامش (٢).

دلنا على كل خير، وحذرنا من كل شر، يقول ﷺ: «**ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه**»[١]، وقال ﷺ: «**ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تبارك وتعالى إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله تعالى ويقربكم إلى النار إلا ونهيتكم عنه**»[٢]، وقال ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[٣].

فيا أيها المبتدع، إنك تهلك نفسك ببدعتك فاتق الله ﷻ وتب مما أنت مصرّ عليه، فلقد حذّر النبي ﷺ من البدع ومن محدثات الأمور، فقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٤]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٥].

ويقول العرباض بن سارية رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٦]، أي: إياكم والبدع.

***عباد الله!*** والصحابة رضي الله عنهم كانوا يضربون على أيدي المبتدعة بيد من حديد، وينكرون أعمالهم التي يتقربون بها إلى الله ولم يفعلها

---

(١) **إسناد مرسل حسن**: فع: (١١٥٣)، هق: (٧/ ٧٦)، [«س. ص» (٤/ ٤١٧)].

(٢) انظر: كتاب «حجة النبي ﷺ» للشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) **صحيح**: هـ: (٤٣)، حم: (٤/ ١٢٦)، ك: (١/ ١٧٥)، طب: (١٨/ ٢٤٧)، [«ص. ج» (٤٣٦٩)].

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٧١.

(٥) **صحيح**: م: (١٧١٨).

(٦) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

رسول الله ﷺ، أي: ينكرون على الذين ابتدعوا واخترعوا طريقة وكيفية للعبادة ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[(١)].

وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[(٢)].

***عباد الله!*** انظروا إلى هذا الموقف الذي أنكر الصحابة فيه بدعة قد نراها نحن في نظرنا بسيطة، فلقد حدث أن اجتمع أُناس في المسجد لذكر الله يتقربون إلى الله، ولكن بكيفية ما أنزل الله بها من سلطان، فجاء أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال له: (يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال أبو موسى: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقةٍ رجلٌ وفي أيديهم حصىً فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال ابن مسعود: فماذا قلت لهم؟ قال أبو موسى: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، قال ابن مسعود: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ـ ابن مسعود ـ ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مُفْتتحو باب ضلالةٍ؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما

---

(١) **صحيح**: مي: (٢٠٥)، طب: (٩/ ١٥٤)، هب: (٢/ ٤٠٧)، [«مجمع الزوائد» (١/ ٤٣٤)].
(٢) البيهقي في «المدخل إلى السنن» (١٩١).

أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن قوماً يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم».

وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم! ثم تولى عنهم. في النهاية يقول بعض الصحابة: فرأينا عامّة أولئك الخلق ـ الذين جلسوا يبتدعون في دين الله ـ يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج)(١).

البدع طريق سيء أسود نهايته موصلة إلى النار، وهي سبب للفرقة والضلال المبين فكونوا من البدع على حذر.

قال الامام مالك: (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً)(٢).

البدعة في الدين جريمة منكرة، والمبتدع في دين الله مجرم، فكونوا من البدع على حذر، وكونوا من المبتدعين على حذر، وإياكم أن تجالسوهم أو تسمعوا لهم.

اعلموا أن العمل لا يقبل عند الله ﷻ يوم القيامة إلا إذا توفر فيه شرطان:

**الشرط الأول**: الإخلاص في هذا العمل، أي: أن تبتغي بعملك، وجه الله والدار الآخرة، فإن أخلصت في العمل ابتعدت عن الشرك والرياء.

**الشرط الثاني**: موافقة السنة، بأن تؤدِي عملك الذي تتقرب به إلى الله على الكيفية التي فعلها النبي ﷺ، وإن فعلت ذلك ابتعدت عن البدعة.

***أمة الإسلام!*** اعلموا أن الذي ساعد على انتشار البدعة في الأمة الإسلامية ما يلي، لتكونوا على حذر:

---

(١) **صحيح**: مي: (٢٠٤)، [«س.ص» (٢٠٠٥)].

(٢) [«الاعتصام للإمام الشاطبي» (٢/ ٦١)].

١ ـ الجهل العام بدين الإسلام، والجهل الخاص بسنة رسول الله ﷺ وبعلم مصطلح الحديث. فكثير من المسلمين بجهلهم لا يميزون بين الحديث الضعيف والصحيح، ولا بين السنة والبدعة، فإن أردت أن تنجو من هذا فعليك بالعلم الشرعي وعليك بدراسة السنة النبوية، وعليك بكتاب الله، وعليك بأهل السنة جالسهم وتعلم على أيديهم، لتكون محباً للسنة أو لتكون ناشراً لها ومدافعاً عنها، وإن فعلت ذلك فاعلم أنك ستكون بين الناس غريب والرسول ﷺ يقول: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»[(١)]، فلا تستوحش من الغربة، وعليك بالسنة وإن كنت وحدك اعمل بها وعلمها الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ ـ قلة العلماء، واتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يسألونهم فيفتونهم بغير علم فضلوا وأضلوا، قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يَترُك عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**»[(٢)]، فوالله إن كثيراً من الناس يتقربون إلى الله بالبدع والخرافات لأنهم ما سألوا العلماء ولا تعلموا ولا جالسوا أهل العلم كما أمرهم الله ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولكنهم سألوا أهل الأهواء والبدع فأفتوهم بغير علم، فطافوا حول القبور وظنوا أنهم يتقربون بذلك إلى الله، وابتدعوا بدعاً في الصلاة وظنوا أنهم يتقربون بها إلى الله، واحتفلوا بمولد رسول الله وبالإسراء والمعراج وبكل مناسبة، يقلدون في ذلك اليهود والنصارى وظنوا أنهم يتقربون إلى الله. فهل سمعتم في يوم ما أو قرأتم في كتاب ما أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي أو أحداً من أئمة المسلمين ـ كالإمام أحمد أو الشافعي مثلاً ـ أنهم احتفلوا يوماً بمولد رسول الله؟ أو احتفلوا بالإسراء والمعراج؟ لا والله ما فعلوا ذلك، لِمَ؟ لأنهم كانوا يحتفلون

(١) **صحيح**: م: (١٤٥).

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٠)، م: (٢٦٧٣).

برسول الله ﷺ في كل ثانية ومع كل نفس يخرج منهم، وهكذا يجب أن يكون المسلم، ولكننا إذا قلنا ذلك قالوا: أنتم لا تحبون رسول الله! السبب لأنهم سألوا أهل الأهواء والبدع، ولو أنهم فكروا بعقولهم واتبعوا كتاب الله، وسنة رسول الله ما صنعوا ذلك، ولكن ها نحن قد حذرناهم، وها نحن قد بينا لهم، فيا رب العالمين اشهد، اللهم قد بلغنا، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغنا، اللهم فاشهد.

٣ ـ التقليد الأعمى للآباء ولأدعياء العلم، فكثير من الناس يبتدعون في دين الله ويتمسكون بما هم عليه من البدع إما تقليداً أعمى للآباء، وإما تقليداً أعمى للمشايخ الذين لا يفقهون شيئاً من دين الله، الذين ادَّعوا العلم، والعلمُ منهم بريء، فهذا التقليد الأعمى للغير حذر منه الإسلام مِنْ خلال القرآن والسنة.

ولكن على المسلم إذا عبد الله أن يسأل نفسه، لِمَ؟ ليكون الجواب: لله، وهذا هو الإخلاص، ويسأل نفسه، كيف؟ ليكون جوابه على سنة رسول الله، وهذه هي الموافقة للسنة.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



١٩٥

# المجرم التاسع ـ الظالم

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار. **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم التاسع، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الظالم».**

● الظالم: الذي ظلم نفسه بالكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الظالم: الذي ظلم نفسه بالشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الظالم: الذي ظلم نفسه بالمعاصي ـ ما دون الشرك والكفر ـ قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢].

الظالم: الذي ظلم الناس باعتدائه على أموالهم أو أعراضهم أو دمائهم.

***عباد الله!*** الكافر بالله ظالم، والمشرك بالله ظالم، وهذا النوع من الظلم لا يغفره الله أبداً إن مات صاحبه عليه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا النوع من الظلَّمة الذين ماتوا على الكفر والشرك لا يخرجون من النار أبداً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦]. فبظلمهم هذا

خلدوا في النار ولا يخرجوا منها أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧].

***عباد الله!*** أما الذي ظلم نفسه بالمعاصي دون الشرك والكفر فهذا قد عرَّض نفسه لغضب الله وسخطه وهو تحت المشيئة إن شاء الله عزّ وجلّ غفر له وإن شاء عذبه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وأما الظالم الذي اعتدى على الناس، الذي اعتدى على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، فظلمه هذا لا يغفره الله يوم القيامة أبداً حتى يُسَامح المظلوم مَنْ ظلمه، فيوم القيامة إذا خرج الناس من قبورهم، أوقف الظالم والمظلوم أمام الجبار وهناك ترد المظالم إلى أصحابها، يقول ﷺ: «**لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء** ـ أي: التي لا قرن لها ـ **من الشاة القرناء**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**من اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**وإن قضيب من أراك**»[(٢)]، أي: عوداً من سواك، فما بالنا بمن أكل أموال الناس واعتدى على أعراضهم؟ فما بالنا بمن اعتدى على دماء الأبرياء؟ يقول ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عِرضِه أو من شيءٍ فليتحللهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).
(٢) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٧).
(٤) **صحيح**: خ: (٦٧)، م: (١٦٧٩).

***عباد الله!*** من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إنما هي الحسنات، يأخذ المظلوم، من حسناتك أيها الظالم حتى يرضى، فإن لم يَبْقَ معك حسنات أخذ المظلوم من سيئاته فوضعها عليك وحمَّلها لك وهناك قد خاب من حمل ظلماً.

● أيها الظالم! اتقِ دعوة المظلوم؛ فإن المظلوم إذا رفع يديه ودعا عليك في جوف الليل استجاب الله له، يقول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

أيها الظالم! إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فتذكر قدرة الله عليك.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بمالك، فتذكر ماذا فعل الله بقارون.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بمنصبك، فتذكر ماذا فعل الله بفرعون وهامان.

أيها الظالم! إذا أردت أن تظلم الناس بقوتك، فتذكر ماذا فعل الله بعاد.

***ابن آدم!***

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدِراً ... فالظلمُ يرجِعُ عُقْباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنم

أيها الظالم! اعلم أن الله لا يحب الظَّلَمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

أيها الظالم! اعلم أنك ملعون، قال رب العزة: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

أيها الظالم! اعلم أنك بظلمك عرضت نفسك للهلاك والدمار، قال

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، أما نظرتم إلى كثير من القرى والبلدان، وإلى الشعوب والدول التي دمرها الله، وأهلكها لأنهم ظلموا، ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، وظلموا أنفسهم بالمعاصي واعتداء القوي منهم على الضعيف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، فليحذر الظالم ولا يغترّ بأنه كلما ظلم ازداد مالاً ومنصباً وصحة، ولا يظننّ أَن الله يحبه، وليعلم أن هذا استدراج من الله للظالمين، يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾»[1] [هود: ١٠٢]، أما نظرتم كيف أخذ الله القرى وهي ظالمة؟ فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

***عباد الله!*** ولعلنا نسمع العجب، فهذا رجل ينصب على الناس بالآلف بل بملايين الدنانير ثم يهرب إلى الخارج، أنسي أن الله له بالمرصاد؟!

وهذا ظالم يعتدي على الناس بمنصبه، وجاهه، وسلطانه، أنسي هذا المسكين أن الله له بالمرصاد؟! ثم وإن امتلك الناس بماله وقوته أنسي أنه لا يستطيع أن يمتلك ألسنة المظلومين التي تلهج بالدعاء عليه في جوف الليل؟!

أيها الظالم! اعلم أن الله توّعد الظلمة بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

الظالم في الدنيا عرض نفسه بظلمه للهلاك، فكم من ظالم قصم الله ظهره؟!

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

الظالم إذا نام في فراش الموت نزلت عليه الملائكة بالعذاب الأليم قبل أن تخرج روحه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ويوم القيامة: إذا خرج الظلمة من قبورهم نادى منادٍ: أن قد خاب من حمل ظلماً، عندها يعض الظالم على يديه في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧].

***عباد الله!*** هدد الله الظلمة في كتابه وحذّرهم من الظلم، فنقول للذين يظلمون الناس ليلاً نهاراً: إنَّ الله لا يغفل عما تعملون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٦].

***عباد الله!*** الظلم جريمة، والظالم مجرم، فاحذروا عباد الله أن تكونوا من الظالمين، وأن تتورطوا في الظلم، وأن تعتدوا على أموال الناس أو أعراضهم أو دمائهم.

***ابن آدم:*** القَ الله يوم القيامة مظلوماً، وإياك أن تلقَ الله ظالماً، فالله ﷻ ينتقم منك يوم القيامة ويأخذ للمظلوم حقه منك؛ فالله حرم الظلم فهو حرام إلى يوم القيامة، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

**«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً، فلا تظالموا..»**(١)، ويقول ﷺ: **«اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**(٢).

احذر يا ابن آدم أن تظلم أولادك، فكثير من الآباء ظالم لأولاده؛ لأنه لا يعلِّمهم دين لله، لأنه يأتيهم بمال حرام، لأنه قد جار في الوصية فأعطى للأولاد وحرم الإناث، أو أعطى للكبار وحرم الصغار، أو أعطى أولاد الزوجة الجديدة وحرم أولاد القديمة، وكل هذا جور وظلم.

احذر أن تكون ظالماً لجيرانك.

احذر أن تكون ظالماً لِمنْ تحت يدك من الموظفين.

احذر أن تكون ظالماً للناس غاشًّا لهم في البيع والشراء.

احذر أن تكون ظالماً كافراً بالله ﷻ.

***أيها الإخوة:*** وبعدما سمعنا ما هو موقفنا نحو الظالم والمظلوم؟ يقول ﷺ: **«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»**، فقال رجل: يا رسول الله أنصُرُه إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصُرُه؟ قال: **«تحجزهُ أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نَصْرُه»**(٣).

فيا عبد الله! إذا وجدت ظالماً يريد أن يظلم فامنعه عن ظلمه بكل ما تملك من قوة واجعل همّك أن تمنع هذا الظالم من أن يتورط في الظلم، وذلك بالكلمة، بالنصيحة، بالقوة، المهم حجزه عن ظلمه، وإن وجدت مظلوماً وأيقنت أنه قد ظُلم فيجب عليك أن تقف بجواره، وأن ترفع عنه الظلم إما بمالك، وإما بجاهك، وإما بمنصبك، فيوم القيامة تجد لنفسك ثواباً عظيماً عند الله بذلك، ولعلّ كثيراً من الناس إن رأى ظالماً

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢).

أعانه على ظلمه، وإن رأى مظلوماً قَضَىٰ عليه، فما الذي أصابنا؟! الواجب علينا إن وجدنا ظالماً أن نمنعه من الظلم، وإن وجدنا مظلوماً أن نرفع عنه الظلم.

***أمة الإسلام!*** الظلم ظلمات يوم القيامة، فكونوا من الظلم على حذر وإياك يا عبد الله أن تظلم إنساناً في الدنيا.

**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم**

**أن ينجينا وإياكم من الظلم**



١٩٦

# المجرم العاشر ـ شارب الخمر

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم العاشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «شارب الخمر»**.

شارب الخمر مجرم في حق نفسه، شارب الخمر مجرم في حق أهله ومن حوله، شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه.

***عباد الله!*** شارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه إذا شرب الخمر، فإنه بذلك:

***أولاً:*** يكون قد عرض نفسه للعنة الله، يقول ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها**»(١). فانظروا عباد الله شارب الخمر ملعون هو ومن اقترب من الخمر، فالله عزّ وجلّ لعن الخمر وشاربها ومن يسقيها، ومن يبيعها ومن يشتريها ملعون، ومن عصرها ملعون، ومن عُصرت له ملعون، ومن حملها ملعون، ومن حملت إليه ملعون، ومن أكل ثمنها ملعون، فشارب الخمر مجرم لأنه بشربه للخمر عرض نفسه لسخط الله فهو ملعون.

**ثانياً**: لا تقبل صلاة شاربها أربعين يوماً، يقول ﷺ: «**الخمر أمُ الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية**»(٢).

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٤)، حم: (٢/ ٩٧)، ك: (٢/ ٣٧)، طس: (٨/ ١٦)، طص: (٢/ ٤٥)، ع: (٩/ ٤٣١)، هق: (٥/ ٣٢٧)، [«ص.ج» (٥٠٩١)].

(٢) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طس: (٤/ ٨١)، [«ص.ج» (٣٣٤٤)].

**ثالثاً:** لأنه بشربه للخمر لن يدخل الجنة مع الداخلين، يقول ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن خمر**»(١).

**رابعاً:** شارب الخمر في الدينا يشرب في النار يوم القيامة من طينة الخبال، يقول ﷺ: «**إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرقُ أهل النار أو عصارة أهل النار**»(٢).

**خامساً:** شارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه إذا شرب الخمر ذهب عنه نور الإيمان، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»(٣)، وقال ﷺ: «**من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلعُ الإنسان القيمص من رأسه**»(٤).

فشارب الخمر مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لسخط الله، ولغضب الله ولعذاب الله وهو قد تعدّى حدود الله، وهو قد من يتعدَ حدود الله فقد ظلم نفسه، شارب الخمر تعدى على نعمة العقل فأذهبها بشربه للخمر فنزل بنفسه إلى منزلة الحيوان بل أضل.

***عباد الله!*** شارب الخمر مجرم في حق أهله ومن حوله، لأنه إذا شرب الخمر غاب عقله فزنا بأمه وأخته وعمته وخالته، يقول ﷺ: «**الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع** ـ أي زنا ـ **على أمه وخالته وعمته**»(٥).

---

(١) **صحيح لغيره:** هب: (٧/ ٤٢١)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٧١)].

(٢) **صحيح:** م: (٢٠٠٢).

(٣) **صحيح:** خ: (٢٣٤٣)، م: (٥٧).

(٤) **ضعيف:** ك: (١/ ٧٣)، [«ض.ج» (٥٦١٠)].

(٥) **حسن:** قط: (٤/ ٢٤٧)، طب: (١١/ ١٦٤)، طس: (٣/ ٢٧٦)، [«ص.ج» (٣٣٤٥)].

ولعلنا نسمع بذلك يا عباد الله، فهذا رجلٌ شرب الخمر فزنا بابنته! وهذا شرب الخمر فزنا بعمّته! وهذا شرب الخمر فزنا بخالته! وهذا شرب الخمر فزنا بزوجة أخيه! فهذا شرب الخمر فزنا بأخت زوجته!

فشارب الخمر حيوان مفترس لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً، فهو يضر بأهله وبمن حوله، والأُسر التي ابتليت برجل يشرب الخمر يعلمون ما أقول، فلو أنني أُخبركم بما يأتينا عبر الهاتف من الأسئلة لدهشتم، ووالله إن هناك نساءٌ يتمنين لأزواجهن الموت، لأنه يأتي آخر الليل مخموراً لا يميز بين زوجته وابنته، وإحداهنّ لا تنام طوال الليل تخاف على بناتها من أبيهن الذي يعود سكران إلى البيت! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

***عباد الله!*** شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه أيضاً لأنه إذا شرب الخمر زنا بأقرب الناس إليه، ولأنه إذا امتلك سلاحاً وهو مخمور قتل أعز أصدقائه، وقتل أقرباءه، وأظن أننا جميعاً نسمع ونقرأ عَمَّن كان سكران فقتل زوجته، أو كان سكران فقتل أولاده، أو كان سكران فقتل أصدقائه وأعز الناس إليه!!

• شارب الخمر إذا ركب سيارته أضرَّ بمن حوله من المسلمين، ولقد جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: (كان رجلٌ فيمن كان قبلكم متعبداً زاهداً، فعلقت به امرأة بغي، فأرسلت إليه جاريةً لها تدعوه للشهادة فتبعها حتى انتهت إلى بيتٍ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته حتى وجد نفسه أمام امرأة وضيئة ـ أي: حسناء جميلة ـ فقالت المرأة له إنها ما دعته إلى شهادة، وإنما دعته إلى إحدى ثلاث: أن يقع عليها، أو يقتل غلاماً عندها، أو يشرب الخمر، وفكر الراهب فظن أن أقل الثلاثة جرماً الخمر فقال: اسقيني فسقته، فقال زيدوني، فزادته، فقال: زيدوني فزادته حتى عملت فيه الخمر فقام الراهب السكران، فقتل الغلام، ووقع على المرأة، فقال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوا الخمر، إنها أم الخبائث، وإنها لا تجتمع هي

والإيمان في قلب إلا أخرج أحدهما الآخر)[(١)].

***عباد الله!*** الخمر هي أم الفواحش، وهي أم الخبائث، وهي مفتاح كل شر، فشارب الخمر يضر بنفسه وأهله ومجتمعه، ولذلك قال طبيب ألماني: (اغلقوا لي نصف الخمارات أضمن لكم إغلاق نصف المستشفيات ونصف السجون)، وصدق والله، اذهبوا إلى المستشفيات واسألوا كم فيها من المرضى بسبب الدخان والخمر؟ واذهبوا إلى السجون واسألوا كم فيها من المسجونين الذين ارتكبوا الجرائم بسبب الخمر فأدخلوا السجن؟ لتعلموا أن شارب الخمر مجرم في حق مجتمعه.

من أجل ذلك يا أمة الإسلام جاء الإسلام يحرم الخمر تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة، فالخمر حرام حرمها الله في كتابه، وحرمها رسول الله ﷺ في سنته، وأجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على تحريمها.

• فمن الأدلة في كتاب الله على تحريم الخمر، قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وفي هذه الآية حرم الله الخمر من وجوه ثمانية:

**الوجه الأول:** وصفها بأنها رجس، فهي حرام.

**الوجه الثاني:** وصفها بأنها من عمل الشيطان، فهي حرام.

**الوجه الثالث:** قال سبحانه: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، وهذا أمر، والأمر يفيد الوجوب.

**الوجه الرابع:** قال سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فعلّق الفلاح في الدنيا والآخرة بترك الخمر.

---

(١) **صحيح موقوف:** ن: (٥٦٦٦)، حب: (٥٣٤٨)، عب: (٢٣٦/٩)، وقد تقدم تخريجه في خطبة: «الخمر أم الفواحش...».

**الوجه الخامس**: وصفها بأنها توقع العداوة والبغضاء، فهي حرام.

**الوجه السادس**: وصفها بأنها تصد عن ذكر الله، فهي حرام.

**الوجه السابع**: وصفها بأنها تصد عن الصلاة، فهي حرام.

**الوجه الثامن**: قال سبحانه: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾؟ وهذا استفهام للردع والزجر.

ولما قال رب العزة: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾، قال الصحابة جميعاً: انتهينا ربنا.

• وفي سنة رسول الله، كذلك جاء تحريم الخمر، قال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»(١)، وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»(٢)، وقال ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»(٣)، فمن سكر بالخمر، أو بالحبوب، أو بالحشيش أو بأي نوع من أنواع المسكر فهو خمر وهو حرام.

ويقول ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر** ـ أي: الزنا ـ **والحرير، والخمر، والمعازف**»(٤)، فهذا دليل على تحريم الخمر وقال ﷺ: «**يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»(٥)، يظنون أنهم بتغير الاسم يُمكن لهم أن يستحلوا الخمر! ولكنهم ومهما أطلقوا عليها من أسماءٍ فهي خمر وهي حرام.

***عباد الله!*** أجمعت الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً على تحريم الخمر، ومن استحله ـ أي: شربه مستحلاً له معتقداً حِلّه ـ، فهو خارج عن ملة

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).

(٢) **صحيح**: د: (٣٦٨١)، ت: (١٨٦٥)، ن: (٥٦٠٧)، هـ: (٣٣٩٣)، حم: (٢/ ١٦٧)، ك: (٣/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٥٥٣٠)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٣٩)، م: (٢٠٠١).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٢٦٨).

(٥) **صحيح**: ن: (٥٦٥٨)، لس: (٥٨٦)، [«ص.ج» (٨٠٩٢)].

الإسلام إذا مات وهو مستحلٌ لشرب الخمر، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في قبور المسلمين.

***عباد الله!*** شرب الخمر جريمة نكراء، وشارب الخمر مجرم في حق نفسه، وفي حق أولاده، وفي حقّ مجتمعه؛ لأن الخمر هي أم الفواحش، وهي أم الخبائث، وهي من أكبر الكبائر، وهي مفتاح لكل شر، فيجب على المسلمين أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أولادهم ونسائهم، وأن يبتعدوا عن الخمر وعن شرب الخمر استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]. ولقوله ﷺ: «**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»[(١)]، فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن الخمر وعن شارب الخمر، وللأسف الشديد ترى بعضاً ممن يصلون يشربون الخمر، وللأسف الشديد ترى بعضاً ممّن يصلون إذا جاءه ضيف من بلاد الكفر قدم له الخمر مع الطعام، وترى بعضاً ممّن يصلون إذا أقام عرساً لابنه أو لابنته قام بتوزيع الخمر لأن من المدعوين من يرضى عنه إذا سقاه الخمر.

***أمة الإسلام!*** أما سمعتم وقرأتم عن الخمر، وماذا فعلت في المجتمعات؟! أما يكفيكم أن من اقترب منها فهو ملعون، وأن من عرض نفسه للعنة الله خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين؟!.

ولا بد من الانهاء والقضاء على جريمة الخمر ليعود للمجتمع أمنه، فليتق الله أولياء الأمور، وليتقِ الله الذين يؤجرون محلاتهم التجارية للخمارات، وليتقِ الله الذين يوقعون بالموافقة على ترخيص الخمارات، وليتقِ الله الموظف الذي يحمل الخمر من مكان إلى آخر، وليتقِ الله الذي يجمع الزجاجات الفارغة ويقوم ببيعها للخمارات.

وها هم الصحابة رضي الله عنهم كان منهم من يشرب الخمر ولا يستغني عنه

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥٨)، م: (١٣٣٧).

حتى صار كالطعام والشراب وذلك قبل تحريم الخمر، ولكن انظروا ماذا فعلوا عندما حرمت الخمر، لما نزلت الآية التي حرم الله فيها الخمر تحريماً أبدياً فقالوا جميعاً: انتهينا ربنا.

• وقد جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه أنه لما سمع هذه الآية ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾؟ قال: (انتهينا انتهينا)(١).

• ويقول أنس بن مالك: (كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيّ بن كعب شراباً من فضيخ وهو تمر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس قُمْ إلى هذه الجِرار فاكسرها، قال أنس: فقمت إلى مهراسٍ لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت)(٢)، والله! ما قالوا حتى ننتظر ونسمع، ما قالوا: حتى نفرغ، ما قالوا: حتى نجتهد على أنفسنا.

• وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ عن أيتام ورثوا خمراً فقال ﷺ: «أهرِقْها»، قال: أفلا أجعلها خلّاً؟ قال ﷺ: «لا»(٣).

• وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يسأله عن الخمر، فنهاه، فقال الرجل: إني أصنعها للدواء، فقال ﷺ: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**»(٤).

***فيا أمة التوحيد!*** متى نعود لديننا؟ متى نستيقظ من غفلتنا؟ متى نبتعد عن الذين يشربون الخمر؟ اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أولادكم، فالولد يبدأ بشرب الدخان، ثم يبدأ بأخذ الحبوب، ثم يدمن الخمر، وعندها تعض على أصابع الندم، وللأسف الشديد، فإن هناك حتى من

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٠)، ت: (٣٠٤٩)، ن: (٥٥٤٠)، حم: (١/ ٥٣)، ك: (٤/ ١٥٩)، طس: (٢/ ١٢٥)، [«ص.ت» (٢٤٤٢)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٢٦)، م: (١٩٨٠).
(٣) **صحيح**: د: (٣٦٧٥)، حم: (٣/ ١١٩)، ع: (٧/ ١٠٥)، هق: (٦/ ٣٧)، [«مشكاة المصابيح» (٣٦٤٩)].
(٤) **صحيح**: م: (١٩٨٤).

النساء من تشرب الدخان وتشرب الخمر، بل وهناك من الأسر من يضعون الخمر على مائدة الطعام، فيتناول الخمر مع الطعام كلّ من الرجل والمرأة والأولاد، فيسكر الكل ويتحول البيت إلى حديقة حيوانات لا يحلون حلالاً، ولا يحرمون حراماً، فهل يليق هذا بأمة الإسلام؟!

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❊ ❊ ❊

١٩٧

# المجرم الحادي عشر ـ تارك الصلاة

***عباد الله!*** الناس يوم القيامة فريقان: مجرم، ومؤمن، فالمجرم إلى النار، والمؤمن إلى الجنة، المجرمون غداً في النار يلتهبون، والمؤمنون في دار الخلد يسكنون، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

المجرمون يوم القيامة إذا رأوا النار علموا وأيقنوا أنها ما جاءت إلا لهم، وما أعدت إلا لهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدّث عن المجرم الحادي عشر، أتدرون من هو يا أمة الإسلام؟ إنه «تارك الصلاة»**.

تارك الصلاة مجرم يعترف بجرمه وهو في نار جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

***عباد الله!*** تارك الصلاة جحوداً لها وإنكاراً لفرضيتها كافر خارج عن ملة الإسلام، يحل دمه وماله وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

- ومن ترك الصلاة تكاسلاً وتهاوناً مع الإقرار بها، ومع الإيمان بفرضيتها فهو على خطر عظيم ولكنه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، وإن شاء

غفر له، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنّة**»(١).

***أمة الإسلام!*** إذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان وجدنا أن كثيراً منهم ترك الصلاة وضيعها وأظن أن كثيراً ممن يصلون معنا قد ترك أحدهم زوجته في البيت لا تصلي، وترك ابنه لا يعرف الصلاة ولا المساجد.

ولذلك نقول من باب النصيحة، هذه رسالة نوجهها إلى كل تاركٍ للصلاة، فنقول وبالله التوفيق:

• يا تارك الصلاة! النار النار احذر النار! فالله ﷻ يقول مهدداً: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]. ويا تارك الصلاة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣٠].

• يا تارك الصلاة! العذاب العذاب! فلقد قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]، هؤلاء الذين تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات ماذا أعددت لهم يا ربنا؟ فسوف يلقون غيّاً، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥].

• يا من تركت الصلاة متعمداً، لقد برئت منك الذمة!! أي: لا عهد لك عند الله، يقول ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت وحُرِّقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً برئت منه الذمة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٢٠)، ن: (٤٦١)، مي: (١٥٧٧)، عب: (٣/ ٥)، ش: (٢/ ٩١)، [«ص.ج» (٣٢٤٣)].

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠٣٤)، خد: (١٨)، [«ص.ج» (٧٣٣٩)].

• يا تارك الصلاة، أنسيت أن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة؟!، يقول ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[(٢)]، ونقول كما قلنا آنفاً: من تركها منكراً وجاحداً لفرضيتها فقد كفر كفراً أكبر وسيخلّد في نار جهنم لا يخرج منها أبداً. وأمّا من تركها متكاسلاً متهاوناً وهو مقرٌ بها فنقول: هذا كفر دون كفر، وهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، ولكنه على خطر عظيم.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن من ترك صلاة واحدة كان كمن خسر ماله وأهله؟! فانظروا عباد الله إلى حسرة هذا الرجل، وإلى خسارة هذا الرجل الذي رجع إلى بيته فوجد النار قد أحرقت ماله وأولاده وزوجته كم يتألّم وكم يتحسّر؟! وكم تكون مقدار خسارته؟! فمن ترك صلاة واحدة كان كمن خسر أهله وماله، يقول ﷺ: «**من فاتته العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله**»[(٣)]، فما بالنا بمن ترك كل الصلوات وضيعها؟! فما بالنا بمن لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة؟! لقد خسر أولئك خسارة ما بعدها خسارة، وسيعلم أحدهم نبأ ذلك بعد حين، وسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن أول شيء ستُسْأَلُ عنه يوم القيامة من عملك هو الصلاة؟! يقول ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[(٤)]، أتدرون لِمَ ينجح إذا صلحت الصلاة؟! لأنه سيرث الجنة،

---

(١) **صحيح**: م: (٨٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٦٢١)، ن: (٤٦٣)، هـ: (١٠٧٩)، حم: (٥/٣٤٦)، حب: (١٤٥٤)، ك: (١/٤٨)، قط: (٢/٥٢)، ش: (٦/١٦٧)، [«ص. ج» (٤١٤٣)]

(٣) **صحيح**: خ: (٥٢٧)، م: (٦٢٦).

(٤) **صحيح لغيره**: ت: (٤١٣)، ن: (٤٦٥)، ش: (٧/٢٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٥٤٠)].

وهل تدرون لم الخسران إذا فسدت الصلاة؟ لأنه سيؤخذ به إلى النار.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الذي أمرك بالصلاة هو الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]. أيأمرك الله يا ابن آدم بالمحافظة على الصلاة وأنت تبارزه بتضييع الصلاة؟!.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام؟! يقول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة...**»(١).

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة عمود الدين؟! يقول ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**»(٢).

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة صلة بينك وبين الله، وأن من ترك الصلاة فقد قطع الصلة بينه وبين ربه؟! يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، قال الله: مجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إليَّ عبدي ـ فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»(٣).

***يا أمة الإسلام!*** لم يبقَ لنا من ديننا إلا الصلاة ويوم أن تركنا

---

(١) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦).

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٢٦١٦)، حم: (٥/ ٢٣١)، عب: (١١/ ١٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٦)].

(٣) **صحيح**: م: (٣٩٥).

الصلاة، انقطعت الصلة بيننا وبين الله، فأهملنا الله وأذلنا وسلط علينا القردة والخنازير، وجعل كلمة الذين كفروا هي المسموعة، وأنتم يا أمة الإسلام لا أحدٌ يسمع لكم!

وفوق هذا تشبهنا بالكفار، وأكلنا الربا، وانتشر التبرج في نسائنا، فأصبح لباسهن كلباس الكافرات، وبيوتنا أصبحت كبيوت الكفار، ثم بعد ذلك تطلبون العزة والنصر من الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن رسول الله ﷺ كان طوال حياته يعلم أصحابه الصلاة، ويقول لهم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١) كان ﷺ يهتم بأمر الصلاة، وبشأن الصلاة طوال حياته حتى في أنفاسه الأخيرة وروحه تخرج إلى بارئها، كان ﷺ يقول لأمته: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»(٢)، فهل يوصي كلّ منَّا أولاده بالصلاة؟ هل يسأل كل منا إذا دخل بيته عن الصلاة، أم أننا نسأل عن المال والدنيا فقط؟!.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة نور؟! نور في الوجه، ونور في القلب، ونور في القبر، ونور يوم القيامة على الصراط، يقول ﷺ: «**والصلاة نور**»(٣)، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤). بشر الذين يأتون للمساجد في ظلمات الليل للعشاء وللفجر بالنور التام يوم القيامة، ويقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٢).
(٢) **صحيح**: هـ: (١٦٢٥)، حم: (٦/ ٣١١)، طب: (٢٣/ ٣٧٩)، ع: (١٢/ ٤١٤)، [«س. ص» (٨٦٨)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٤) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٩)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، طب: (٦/ ١٤٧)، [«ص. ج» (٢٨٢٣)].

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة تمحو الخطايا والذنوب وترفعك درجات عند الله؟! يقول ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١)، وقال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٢).

***عباد الله!*** الصلاة، الصلاة، فهي سببٌ للحصول على الرزق، وسبب للنصر على الأعداء، وسبب للحياة الطيبة، وسبب لدخول الجنة، فيا تارك الصلاة: أنسيت أن الله أمرك بالصلاة، لأن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ولأن الصلاة تطهر صاحبها من الأخلاق الدنيئة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]؛ فانظروا عباد الله كيف استثنى الله ﷻ الذين يحافظون على الصلاة من الاتّصاف بهذه الأخلاق السيئة الدنيئة؛ وذلك لأنهم استجابوا لأمر الله فصلوا صلاة مقبولة عند الله ﷻ، فنقوا أنفسهم بذلك من الأخلاق السيئة، وابتعدوا عن الفحشاء والمنكر.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن من ترك الصلاة استحوذ عليه الشيطان؟! وانظروا إلى تاركي الصلاة لترون أنهم قد انضموا إلى حزب الشيطان فأنساهم ذكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]. والصلاة ذكر لله ومن ترك الصلاة، ترك ذكر الله فاستحوذ عليه الشيطان وضمه إلى حزبه،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥١).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. ويقول ﷺ: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان...**»[(١)].

نعم، إنهم إن تركوا صلاة الجماعة استحوذ عليهم الشيطان، وإن تركوا الصلاة بالكلية استحوذ عليهم الشيطان.

***فيا أمة الإسلام!*** هذه البيوت التي لا تقام فيها الصلاة ما ظنكم بها؟ البيوت التي امتلأت بالمفسديون والصور، البيوت التي امتلأت الثلاجات فيها بالخمر، البيوت التي لا تسمع فيها إلا من يسبون الدين والرب، هذه البيوت أصبحت مأوى الشياطين فهي تخرّج للمجتمع شياطين، أُسرٌ فاسدة تُخرِّج الفساد للمجتمع ولا خير فيها! فاتقوا الله في بيوتكم، واحرصوا على دخول الملائكة في بيوتكم بالمحافظة على الصلاة، فصلوا الفريضة في المسجد وصلوا النافلة في بيوتكم، ولا تجعلوا بيوتكم كالقبور، فإن الملائكة إذا دخلت البيت كانت السعادة والطمأنينة فيه، وإذا دخل الشيطان البيت، فلن يعرف أهله طعم السعادة. ولذلك نقول للذين يشتكون الضنك والحياة السيئة في بيوتهم مع أولادهم ونسائهم: الصلاة الصلاة.

● يا تارك الصلاة! نقول لك أخيراً: أنسيت الموت؟! وما أدراك ما الموت؟! أنسيت أنه سيأتيك بغتة؟! نعم ستأتي الساعة التي تنام فيها يا تارك الصلاة على فراش الموت، وتقول عندها: ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً، لعلي أصلي ركعتين لله، فيقال لك: كلا. أنسيت القبر والميزان؟! أنسيت الوقوف بين يدي الله؟! إياك أن تنسى، وإن نسيت فها قد ذكرناك والذكرى تنفع المؤمنين، فاتقوا الله معشر المسلمين في الصلاة وأدوها في بيوت الله، واحذروا أن تتخلفوا عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي فالمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي مرتكب لكبيرة من

---

(١) **حسن**: د: (٥٤٧)، ن: (٨٤٧)، حم: (٥/ ١٩٦)، خز: (١٤٨٦)، حب: (٢١٠١)، ك: (١/ ٣٣٠)، [«ص.ج» (٥٧٠١)].

كبائر الذنوب وهو عاصٍ لله ولرسوله، لأن المساجد بنيت لإقامة الصلاة ولذكر الله ولو صلى كل منا في بيته فمن سيعمر المساجد التي تشتكي إلى الله ـ وخاصة في صلاة الفجر ـ مِنْ قلة المصلين. يا مَنْ تنام متأخراً وتستيقظ مع طلوع الشمس اتقِ الله واعلم أنه كما لا يجوز أن تصلي الصلاة قبل وقتها، فكذلك لا يجوز لك أن تصليها بعد وقتها إلا من عذر شرعي كالنسيان والنوم، والذي يسهر على شاشات المفسديون وفي مجالس الغيبة والنميمة طوال الليل ثم ينام متأخراً ويستيقظ والشمس طالعة فهذا عاصٍ لله لأنه لم يأخذ بالأسباب الشرعية التي بها يستيقظ وقت صلاة الفجر، وصلاة الفجر عزيزة لا يصليها إلا من امتلأ قلبه بالإيمان، ولذلك كانت صلاة الفجر ثقيلةً على المنافقين.

**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم**

**أن يجعلنا وإياكم من المحافظين على الصلاة**



١٩٨

# المجرم الثاني عشر ـ من آذىٰ الناس بلسانه

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار.

**في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدث عن المجرم الثاني عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي يؤذي الناس بلسانه.**

- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي **يأكل لحوم الأبرياء**.
- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي يسهر على لحوم الأبرياء

وهذا مجرم من أصحاب النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧]. وهذا هو الشاهد، فالمجرم في نار جهنم يعترف بلسانه أن من الأسباب التي كانت سبباً لدخوله النار أنه كان إذا جلس في مجلس خاض فيه مع الخائضين بالباطل وأكل معهم لحوم الأبرياء. وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «**هي في النار**»، قال: يا رسول الله إن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تتصدّق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها! قال ﷺ: «**هي في الجنة**»(١)، والصلاة والصيام والصدقة هنا المقصود بها التطوع وليست الفريضة. فليحذر الذين يصلون ويصومون وإذا جلس

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٤٠)، حب: (٥٧٦٤)، ك: (٤/ ١٨٤)، خد: (١١٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٦٠)].

أحدهم في مجلس غيبة ساهم مع الجالسين بعد أن يقول: (اللهم لا تجعلها غيبة) ثم يبدأ في أكل لحوم الأبرياء، وكأنه عندما قال: (اللهم لا تجعلها غيبة) استحل بذلك أن يأكل لحوم الأبرياء!!

• ويقول معاذ رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم! وإنه ليسيرٌ على من يسره الله تعالى عليه**»، وبعد أن أخبره ودله على أبواب الخير قال ﷺ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**كُف عليك هذا**»، وأشار إلى لسانه، قلتُ: يا نبيّ الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟**»[(١)].

والشاهد أن ما يكب الناس في النار على وجوههم هو اللسان ويقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**لما عرج بي ربّي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»[(٣)].

***عباد الله!*** إذاً الذي يخوض بلسانه في الباطل، والذي يؤذي الناس بلسانه، والذي يأكل لحوم الأبرياء مجرم من أصحاب النار.

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، طب: (٢٠/ ١٣٠)، [ص.غ.هـ» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

(٣) **صحيح**: د: (٤٨٧٨)، حم: (٣/ ٢٢٤)، [«ص.ج» (٥٢١٣)].

• ولذلك نقول ناصحين منذرين: هذه رسالة نوجهها تحذيراً للذين يسهرون على لحوم الأبرياء، للذين يغتابون المسلمين، للذين لا تحلوا مجالسهم إلا بالغيبة نقول لهم:

**أولاً**: اعلموا أن الغيبة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً، يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: اتقوا الله فكما أنكم تكرهون أكل لحوم الأموات فاتقوا الله ولا تأكلوا لحوم الأبرياء شرعاً، لأنه لا يعقل أبداً أن يأكل الرجل لحم الميت، فكذلك لا يليق بالمسلم أن يأكل لحم أخيه بالغيبة فاتقوا الله، ويقول ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»(١).

***إخوة الإسلام!*** على كل منا أن يتقي الله في مجلسه فإنَّ الكثير من المجالس في هذه الأيام لا تحلو إلا بالغيبة، وإذا نحن جالسنا أهلها، فإننا نشاركهم، ونستمع لهم، ونعينهم ونهز لهم الرؤوس، فإننا وإياهم في الإثم سواء، فليتقِ الله كل منا في سمعه ونفسه ولسانه.

**ثانياً**: نقول لهؤلاء: أتدرون ما الغيبة؟ إن كانوا لا يدرون فنقول لهم: الرسول ﷺ يخبركم بمعنى الغيبة قال ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**ذكرُك أخاك بما يكرهُ**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(٢). والبهتان هو: الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، ت: (٢٠٣٢)، حم: (٤/ ٤٢٠)، حب: (٥٧٦٣)، طب: (١١/ ١٨٦)، ع: (٣/ ٢٣٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٩).

**ثالثاً:** نقول لهؤلاء: لقد حذر الرسول ﷺ من الغيبة تحذيراً شديداً فاسمعوا يا من تأكلون لحوم الناس، يقول ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»(١)، ويقول ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب**»(٢)، ويقول ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»(٣)، وتقول عائشة رضي الله عنها: قلت للنبيّ ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(٤) أي: لو مزجت بماء البحر لغيرت طعمه، وهذه كلمة واحدة! قالت: قصيرة! وما قالت: زانية! ما قالت: عاهرة! ما قالت: سارقة! ما قالت مثل ما تقول نساؤنا في هذا الزمان، ولكن قالت: قصيرة. ولكن هذا من ذكرك أخاك بما يكره، فعن عمرو بن شعيب أنهم ذكروا رجلاً عند رسول الله ﷺ فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحلَ له! فقال النبيُّ ﷺ: «**اغتبتموه**»، فقالوا: يا رسول الله حدثنا بما فيه، قال: «**حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه**»(٥)، وعَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت العرب يخدم بعضهم بعضاً في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجلٌ يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم يهيِّئ لهما طعاماً، فقال أحدهما لصاحبه: «إنَّ هذا ليُوَائِمُ نوم بيتكم» ـ أي ـ عابوه بكثرة النوم ـ فأيقظاه، فقالا: ائتِ رسول الله ﷺ فقل له: «إنَّ أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، وهما يستأدمانك» ـ أي: يطلبان شيئاً يؤكل من الخبز مثلاً ـ فقال ﷺ: «**أقرهما السلام، وأخبرهما أنهما قد ائتدما**»، ففزعا، فجاءا إلى

---

(١) **صحيح**: طس: (١٥٨/٧)، [«ص.ج» (٣٥٣٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٤)، م: (١٦٧٩).

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

(٤) **صحيح**: د: (٤٨٧٥)، ت: (٢٥٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٤)].

(٥) **حسن لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٦)].

النبي ﷺ فقالا: «يا رسول الله، بعثنا إليك نستأدمك فقلت: «قد ائتدما»، فبأيِّ شيء ائتدمنا؟»، قال ﷺ: «**بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين أنيابكما**» ـ يعني: لحم الذي استغاباه ـ، وفي رواية: «**ثناياكما**»، قالا: فاستغفر لنا، قال: «**هو فليستغفر لكما**»)[١].

• ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فقام رجل، فوقع فيه رجلٌ من بعده، فقال النبي ﷺ: «**تخلل**»، فقال: وممَّ أتخلل؟ ما أكلتُ لحماً، قال ﷺ: «**إنك أكلت لحم أخيك**»[٢].

• ويقول جابر رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فهبت ريحٌ منتنةٌ فقال الرسول ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»[٣]، ولذلك جاء الإسلام يأمر بإمساك اللسان، وبحبسه عن لحوم الناس، وعن إيذائهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾ [النساء: ١١٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]. ويقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٤]، ويقول ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»[٥]، ويقول ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[٦]، وقال رجل: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٦٩٧)، [«س.ص» (٢٦٠٨)].

(٢) **صحيح لغيره**: طب: (١٠/ ١٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٧)].

(٣) **حسن لغيره**: حم: (٣/ ٣٥١)، خد: (٧٣٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٤٠)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

(٥) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/ ٣٩٨)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٦) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

«**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»(١).

• وقال رجل: يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به، قال ﷺ: «**قل ربيَ الله ثم استقم**»، قلتُ: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ «**فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا**»(٢).

• وقال رجل: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(٣).

***فيا إخوة الإسلام!*** ألا تأخذون بهذه الوصية، «**أمسك عليك لسانك**»، أي: لا تتكلم إلا بالخير، «**وليسعك بيتك**»، أي: انشغل بعبادة ربك، «**وابك على خطيئتك**»، أي: انشغل بعيوبك عن عيوب الناس.

***عباد الله!*** وهذه رسالة نوجهها إلى الذين يجلسون في مجالس الغيبة ولا يقعون في الغيبة، ولكنهم يستمعون لها ويقرونها ويوافقون مَنْ جالسوهم عليها، ونود من خلال هذه الرسالة أن نبيّن لهم ماذا يجب عليهم؟

**أولاً**: اعلموا بأن السمع نعمة من الله، ولقد أعطاك الله هذه النعمة لتستمع بها إلى ما يرضي الله، والذي يستمع إلى الغيبة يخشى عليه أن يفقده الله ﷻ نعمة السمع، ثم إن الله ﷻ سيسأله يوم القيامة عن هذه النعمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

**ثانياً**: الذي يستمع إلى الغيبة مشترك مع المتكلم بها في الجريمة، وهما في الإثم سواء، والدليل: حديث أنس السابق وفيه «**قد ائتدما**»

---

(١) **صحيح**: خ: (١١)، م: (٤٢).

(٢) **حسن صحيح**: هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/ ٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، طب: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧١)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

وقوله، «**بين أنيابكما**»(١)، مع أنَّ القائل كان أحدهما، لكن الآخر سكت وأقر ولم ينكر عليه.

**ثالثاً**: يجب على الجالس والسامع للغيبة أن يدافع عن أخيه ويقول للمغتاب: اتقِ الله إن هذه غيبة وإن هذا حرام، ولا يحل لك أن تأكل لحم أخيك والدليل على ذلك ما ورد في قصة كعب بن مالك؛ ففي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الطويل في قصة توبته قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: («**ما فعل كعب بن مالك؟**»، قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ)(٢)، فادخرها كعب لمعاذ حتى الموت، فمن منا مثل معاذ يا عباد الله إذا جلس في مجلس تؤكل فيه لحوم الناس، قال للمغتاب: اتقِ الله بئس ما قلت ما علمنا عليه إلا خيراً. ويقول ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(٣)، ويقول ﷺ: «**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**»(٤).

**رابعاً**: يجب على الجالس في مجلس الغيبة إذا نصحَ المغتاب ولم ينتصح أن يقوم من المجلس فوراً، استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى واصفاً عباده المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]، والله يُخْشى عليك

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص١٠١.

(٢) **صحيح**: خ: (٤١٥٦)، م: (٢٧٦٩).

(٣) **صحيح**: ت: (١٩٣١)، حم: (٦/ ٤٥٠)، هب: (٦/ ١١١)، [«ص.ج» (٦٢٦٢)].

(٤) **حسن**: طب: (١٨/ ١٥٤)، هب: (٦/ ١١١)، هق: (٨/ ١٦٨)، [«ص.ج» (٦٥٧٤)].

يا عبد الله أن تجلس في مجلس الغيبة هذا فيطلع الله ﷻ على من فيه بنقمة فتصيبك معهم، فليتقِ الله كلّ من يجلسون في مجالس الغيبة، وعلى كل منا أن يمسك لسانه عن الغيبة؛ فبذلك ننجو، وإلا إذا استمرّ على أكل لحوم الأبرياء بلسانه فهو مجرم من أصحاب النار.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



١٩٩

# المجرم الثالث عشر ـ النمام

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثالث عشر، أتدرون من هو يا عباد الله! إنه «النمّام»**.

أتعرفون النمام؟ إنه مَنْ يقوم بنقل الكلام بين الناس ليفسد بينهم، وليفرق بينهم، وليلقي العداوة والبغضاء بينهم، وهذا العمل الخبيث وهذه الفعلة الخبيثة التي يقوم بها النمام تسمّى: «النميمة».

**والنميمة**: خلق ذميم، ومرض فتاك، باعث للفتن، زارع للحقد والحسد، مفرق للجماعات، ومفرق بين الأحبة.

**والنميمة**: هي السهم القَاتل، وهي الداء العضال، وهي في أفواه الجهال أحلى من الزلال.

***عباد الله!*** النمام مجرم بنص القرآن:

١ ـ لأنه يخوض بلسانه مع الخائضين، ولأنه يؤذي بلسانه الناس، ويفرق بلسانه بين الأحبة، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٥]. والنمام أحد هؤلاء؛ لأنه يخوض في المجلس مع الخائضين، ويقوم بنقل ما دار في هذا المجلس إلى مجلسٍ آخر ليفرق بين الأحبة.

٢ ـ النمام: من شر الناس، لأنه يفرق بين الأحبة، فكم من فُرْقة بين المرء وزوجه وكان السبب ورائها النمام، وكم مِنْ فرقة بين الأخ

وأخيه، وكم مِنْ فرقةٍ بين الجار وجاره، وكم مِنْ فرقة بين الولد وأبيه سببها النمام الذي ألقى بفعلته الخبيثة بين الناس العداوة والبغضاء، قاتلهم الله أنى يؤفكون! يقول ﷺ: «**شرار عباد الله المشّاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**»[(١)]. أعرفتم من هم شر الناس؟ المشاءون بالنميمة، أي الذين ينقلون الكلام بين الناس، المفرقون بعملهم هذا بين الأحبة، والله ﷻ يقول: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]، والنمام قد تشبّه بهؤلاء وفعل فعلهم فهو من شر الدواب.

٣ ـ النمام له لسانان ووجهان، يخبر بذلك الرسول ﷺ فيقول: «**تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من كان ذا لسانين** ـ أي: في الدنيا ـ **جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار**»[(٣)].

٤ ـ النمام يقوم بعمل من أعمال المنافقين، فيلقى هؤلاء بوجه، ويجلس مع هؤلاء بوجه، ويلقىٰ هؤلاء بوجه آخر، تراه يبتسم لك ليأخذ منك الكلام، ثم يبتسم للآخر لينقل له الكلام مدعياً أنه ناصح أمين، وإذا تكلم فلسانه أحلى من العسل وكل هذا من أفعال المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

٥ ـ النمام: خائن للأمانة، لأنكم تعلمون جميعاً أنَّ المجالس

---

(١) **حسن لغيره**: حم: (٤/ ٢٢٧)، هب: (٧/ ٤٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٢٤)].
(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٠٤)، م: (٢٥٢٦).
(٣) **صحيح لغيره**: طس: (٨/ ٣٦٥)، ع: (٥/ ١٥٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٠)].

أمانة، فإذا قام النمام بنقل هذا الكلام من مجلس إلى آخر فقد خان أمانة المجلس، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]، والله ﷻ أخبر في كتابه أنه لا يحب الخائنين، وأنه لا يهدي كيد الخائنين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

***عباد الله!*** والخيانة من أخلاق المنافقين، فالنمام متشبِّهٌ بالمنافقين يقول ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(١). صفات ذميمة في المنافقين اتصف بها النمام.

٦ ـ النمام كذاب، لأن الذي يفسد بين الناس، وينقل الكلام من مجلس إلى آخر يريد بذلك أن يفرق بين الأحبة، فإنه سيزيد في الكلام، ويكذب في نقل الكلام ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨]، ويقول ﷺ: «**فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٢).

٧ ـ النمام من المفسدين في الأرض. لأنه يقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويفسد بين الناس، ويفرق بين الأحبة، والله ﷻ أمر بالإصلاح بين الناس ونهى عن الفساد في الأرض، لكن النمام سعى في الأرض فساداً، وخالف أمر الله وفعل ما نهاه الله عنه، فالله ﷻ قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأمر بالإصلاح بين الناس، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١]. فهذا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

أمر والأمر للوجوب، والله ﷻ يحض على الإصلاح بين الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]، فانظروا عباد الله، النمام ـ قاتله الله ـ يقوم بالإفساد بين الناس كما وصفه الله ﷻ ووصف أمثاله في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥]، والنمام نقض العهد الذي بينه وبين الله وقطع الصلات بين المحبين، وسعى في الأرض فساداً.

٨ ـ النمام وقع في جريمة النميمة، وفي جريمة الغيبة، وفي جريمة التجسس. نعم، الذي يقوم بنقل الكلام بين الناس من مجلس إلى آخر، ومن شخص إلى آخر ليفسد بينهم وقع في النميمة وهي جريمة شنعاء، ووقع في الغيبة وهي جريمة نكراء، ووقع في التجسس الذي يؤدي إلى كل البلايا وإلى الفرقة والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول ﷺ: **«ولا تجسّسوا»**(١)، ويقول ﷺ: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته»**(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٤٥)، م: (٢٥٦٣).

(٢) **حسن صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، طب: (١١/ ١٨٦)، ع: (٣/ ٢٣٧)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٤٠)].

***عباد الله!*** أعرفتم حقيقة النمامين؟ إذن كونوا منهم ومن النميمة على حذر.

**وهنا سؤال مهمٌّ يحتاج إلى جواب، وهو:**

**كيف نتعامل مع النمام؟ كيف نتصرّف مع هذا الشخص الخبيث الذي يقوم بنقل الكلام من مجلس إلى آخر؟**

**المطلوب منك يا أخي ما يلي:**

**أولاً**: أن لا تصدقه فيما يقول؛ لأن من نمَّ لك نمَّ عليك، وهذا النمام فاسق، والفاسق مردود الشهادة، والله ﷻ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

**ثانياً**: أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ**﴾ [المائدة: ٢]، والرسول ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**»[(١)]. فقل لهذا النمام: اتقِ الله في لسانك، قل له: أكثر ما يكب الناس في النار على وجوههم حصائد ألسنتهم. قل له: أيها النمام أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.

**ثالثاً**: يجب عليك أن تبغضه في الله، وأن تعلمه أنك تبغضه في الله، لأنه عند الله بغيض، وهل هناك أبغض ممن يسعى في الأرض فساداً وممن يفرق بين الأحبة ويفسد بين الناس.

**رابعاً**: عليك أن تظن بأخيك الذي نقل لك عنه الكلام خيراً، وأن لا تظن به سوءاً لأن الله ﷻ نهاك عن سوء الظن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ [النور: ١٢].

**خامساً**: إياك أن تتجسس على أخيك الذي نُقل عنه الكلام، لأنك

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).

إذا تجسست وقعت في معصية الله لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، والرسول ﷺ قال: «**ولا تجسسوا**»(١).

**سادساً**: إياك إياك أن تقوم بنقل هذا الكلام الذي نقله لك النمام إلى مجلس آخر فتكون نماماً مثله.

***عباد الله!*** النمام مجرم يفرق بين الأحبة، يمشي بين الناس بالنميمة فكونوا منه على حذر، وتعاملوا معه كما سمعتم لا تصدقوه وانصحوه، وأبغضوه في الله، وأحسنوا الظن بمن نقل عنه الكلام ولا يدفعكم ما نُقل لكم إلى التجسس، وإياكم أن تقوموا بنقل الكلام فتكونوا نمامين، فالنميمة مرض خبيث، وجريمة نكراء يقوم بها أحط الناس وأسفلهم وأشرهم، وقد جاء الإسلام وحرم النميمة فهي حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً، وهي حرام إلى يوم القيامة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣]. ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمّام**»(٢)، وفي رواية أخرى: «**لا يدخل الجنة قتات**»(٣)، أي نمام، ومر ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»(٤).

فيا أيها النمام، العذاب في القبر ينتظرك، يا من تفسد بين الناس، العذاب في القبر ينتظرك، والفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تنتظرك، والله ﷻ يسوِّد وجهك يوم القيامة، وهناك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم، فماذا تقول لربك أيها النمام إذا ما وقفت بين يديه على الميزان وقال لك: أفسدت بين الناس، وفرقت بين الأحبة؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٤٥)، م: (٢٥٦٣).
(٢) **صحيح**: م: (١٠٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٠٩)، م: (١٠٥).
(٤) **صحيح**: خ: (٢١٥)، م: (٢٩٢).

فكم من زوجة طلقت من وراء النمامين، وكم من إنسان قتل من وراء النمامين، وكم من إنسان سجن من وراء النمامين؟ فالنمام شر ووبال على الأمة.

(رُوِي أن رجل رأى غلاماً يباع وينادى عليه، ليس به عيب إلا أنه نمام فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أياماً ثم قال هذا الغلام لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على فعل ما أوصاها به الغلام إذا ما نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال له سيدي، إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة، وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام)[١].

أعلمتم مقدار الشر الذي يوقعه النمام؟! إذن فلا تصدقوه، ولا تجالسوه، قاتل الله النمامين، لا كثَّرَ الله من أمثالهم في الأمة.

**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم**

**أن يكفينا وإياكم شر النميمة، وأن ينجينا وإياكم من شر النمَّامين**

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «الكبائر» للإمام الذهبي (ص١٦٠).

٢٠٠

# المجرم الرابع عشر ـ الكذاب

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الرابع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الكذاب».**

الكذاب مجرم بنص القرآن، لأنه يخوض بلسانه مع الخائضين، ويؤذي بلسانه المسلمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧)﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧].

***عباد الله!*** **اعلموا:**

**أولاً:** أن الكذب سبب لدخول النار، وهل أعد الله النار إلا للكذابين؟! قال ـ تعالى ـ: **﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٢٨)﴾** [الأنعام: ٢٧، ٢٨]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ (١٠)﴾** [البقرة: ٨ ـ ١٠]، وقال ﷺ: **«وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّىٰ الكذب، حتى يكتب**

**عند الله كذاباً»**(١).

**ثانياً**: الكذب من صفات المنافقين ومِنْ أخلاقهم ولا يليق أبداً بالمؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١]. ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث، [وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم]: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان**»(٢).

**ثالثاً**: الكذب يعرض صاحبه للعنة الله؛ لأن الكذاب ملعون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النور: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

**رابعاً**: الكذب يمنع صاحبه من الهداية والتوفيق، لأن الكذب يهدي صاحبه إلى الفجور، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

***عباد الله!*** **الكذب أنواع:**

**كذب على الله، وكذب على رسول الله، وكذب على الناس.**

**فمن الكذب على الله** ﷻ: أن تقول على الله بغير علم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٥٩، ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

***عباد الله!*** لقد قرن الله ﷻ القول عليه بغير علم في كتابه بالشرك:

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف: ٣٣].

**عباد الله! ومن الكذب على الله الإلحاد في أسمائه وصفاته.**

فمن عطل صفات الله فقد كذب على الله، ومن وصف الله بصفات البشر فقد كذب على الله، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

**عباد الله! ومن الكذب على الله** ﷻ أن يقول أحدهم: اتخذ الله ولداً! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

**عباد الله! ومن الكذب على الله** ﷻ أن يقول أحدهم: إن الله فقير، ويقول: يد الله مغلولة كما قالت اليهود قاتلهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. وتوعد الله الذين يكذبون عليه بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ [الزمر: ٦٠]. أيها الكاذب على الله، سيسوِّد الله ﷻ وجهك في الدنيا والآخرة! يا من كذبتم على الله فأحللتم ما حرم الله، وحرَّمتم ما أحل الله! يا من بدَّلتم دين الله! يا من قلتم: هذا من الإسلام

وهو ليس من الإسلام في شيء! يا من قلتم: هذا ليس من الإسلام وهو من الإسلام! اتّقوا الله وانتهوا عمّا تقولون وإلا سيسوّد الله ﷻ وجوهكم في الدنيا والآخرة.

***أمة الإسلام!*** **ومن أنواع الكذب: الكذب على رسول الله ﷺ، ومن الكذب على رسول الله:**

١ ـ الكذب في تبليغ الدين، فإن من الناس مَنْ يحدث عن رسول الله ﷺ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا كذب على رسول الله، يقول ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١)، ويقول ﷺ: «**من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»(٢).

٢ ـ أن يقول الإنسان إن في الإسلام بدعة حسنة، والرسول ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»(٣).

٣ ـ ومن الكذب على رسول الله: الكذبُ في ادّعاء المحبة والاتباع، فمن الناس من يدعي محبة رسول الله وهو لا يتمسك بسنته ﷺ، ولا يسلك منهجه وسبيله، ولا يدعو إلى سنته ﷺ، ومع ذلك فإنك تراه يدعي محبة رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، والرسول ﷺ يقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٤).

٤ ـ ومن الكذب على رسول الله ﷺ: قول الذين يقولون: إن من احتفل بمولده ﷺ فهو المحبّ له، ومن لم يحتفل بمولده ﷺ فهو

---

(١) **صحيح**: خ: (١١٠)، م: (٣).
(٢) **صحيح**: مقدمة صحيح مسلم باب (وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين...).
(٣) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، [«ص.ج» (١٣٥٣)].
(٤) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

المبغض!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، فالمحب الحقيقي لرسول الله ﷺ هو المتبع لسنته، وهو السالك لسبيله، وهو السائر على منهجه، فها هم صحابة رسول الله ﷺ وهم أحب الناس لرسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أحب إلى أحدهم من نفسه وماله والناس أجمعين، ومع ذلك لم يحتفلوا بمولده ﷺ يوماً في السنة، إنما كانوا يحتفلون بمولده ﷺ مع كل نَفَسٍ يخرج منهم، حتى قدموا الأموال والأرواح فداءً لدينه ولسنته.

ولعل من أقوى ما نستدلّ به على ما ذكرنا آنفاً ـ من أن دليل المحبّة الحقيقية هو الاتّباع ـ أُولئك القوم الذين ذُكِر في القرآن أنهم ادعوا المحبة فكذبهم الله، حيث قالت اليهود يوماً: إبراهيم ﷺ منا، وقالت النصارى يوماً: إبراهيم ﷺ منا، فكذَّبهم الله في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨]. إذاً أصدق الناس بمحبّة إبراهيم عليه السلام هم أولى الناس به وهم الذين اتبعوه على عقيدة التوحيد! واتبعوه وسلكوا منهجه فنالوا رضا الله عز وجل والجنّة وبناءً على هذا نقول: إن أولى الناس بمحمد ﷺ للذين اتبعوه، وسلكوا سبيله، وتمسكوا بسنته، ولم يبتدعوا في دين الله.

**_عباد الله!_ ومن أنواع الكذب: الكذب على الناس.**

وهناك الكثير من الناس ممّن يكذب في حديثه، في تجارته، في شهادته، مع أن الكذب جريمة، يقول ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما سمع**»(١)، فإياك إياك أن تحدث الناس بكل ما تسمع ولكن حدثهم بما صح مما سمعت. والكذب في البيع والشراء، وكذلك واقع في الأمة، حتى أصبح الكذاب هو التاجر وهو صاحب الأموال، وهو الذي يشار إليه بالبنان لأنه إذا باع كذب، وإذا اشترى كذب، وإذا دفع كذب، وإذا وعد

---

(١) **صحيح**: م: (٥).

كذب، والرسول ﷺ يقول: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(١). أعرفتم يا أمة الإسلام لم نزع الله البركة من أيدي التجار ـ إلا من رحم ربي؟ السبب: الكذب في البيع والشراء، والكذب في الدفع والأخذ، والكذب في الوعود.

● ومن الكذب أيضاً، الكذب في الشهادة، فشاهد الزور ـ الذي بدينار واحد تستطيع أن تتحصل عليه ـ كذاب. لأن الله ﷻ قال: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

● ووصف سبحانه وتعالى عباده الصالحين المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]. ويقول ﷺ منكراً ومشدداً ومحذراً من شهادة الزور: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان مُتكئاً فقال: «ألا وقول الزور**»، فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكت(٢).

***أمة الإسلام!*** الكذب جريمة، وطريق إلى النار، فاتقوا الله ﷻ واحفظوا ألسنتكم وكونوا مع الصادقين.

الكذب جريمة لأنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والكذاب لا يزال يكذب ويتحرى الكذب في حديثه، وفي بيعه، وفي شهادته، حتى صار الكذب يجري منه مجرى الدم، فالكذّاب مجرم لأنه يتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً. يقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٣). فاتقوا الله في ألسنتكم وكفوها إلا من قول الخير، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

واستجابة لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١)، واستجابة لقوله ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»(٢). وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»(٣)، وقال رجل: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: «**قل: ربي الله، ثم استقم**»، قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**»(٤)، وقال رجل: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(٥)، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «**كف عليك هذا**» ـ وأشار إلى لسانه ـ قال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(٦).

فاتقوا الله في ألسنتكم، وفي مجالسكم، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، واتقوا الله وعليكم بالصدق فإن فيه النجاة في الدنيا والآخرة،

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/٣٩٨)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (١١)، م: (٤٢).

(٤) **حسن صحيح**: ت: (٢٤١٠)، هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/ ٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، ك: (٤/ ٣٤٩)، طب: (٧/ ٦٩)، هب: (٤/ ٢٣٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

(٥) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم (٥/ ٢٥٩)، طب (١٧/ ٢٧٠)، هب: (١/ ٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

(٦) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، طب: (٢٠/ ١٣٠)، هب: (٣/ ٣٨)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

استجيبوا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]. واستجيبوا لقوله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل ليكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١).

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

* * *

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).



## المجرم الخامس عشر ـ المصور

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الخامس عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المصور»**.

***عباد الله!*** المصور ـ أتعرفونه؟! إنه من يقوم بصناعة الصور والتماثيل لذوات الأرواح سواء نحتها بيده أو صنعها باستخدام آلة التصوير أو رسمها بيده، والإسلام حرم الصور والتماثيل.

***عباد الله!*** المصور مجرم. وهذه رسالة نوجهها إلى المصورين؛ تحذيراً وتذكيراً.

**فنقول لكل واحد منهم:**

**أولاً**: أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧]. يقول عكرمة في تفسير هذه الآية: «هم الذين يصنعون الصور»(١)، هؤلاء قد لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً. ويقول ﷺ: «**لعن الله الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا ومُوكِلهُ، ولعن المصور**»(٢).

**ثانياً**: أيها المصور، أنت عند الله ظالم، يقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرّةً، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»(٣).

---

(١) ش: (٥/٢٠٨)، حل: (٣/٣٣٨)، وكذلك انظر تفسير ابن كثير (٣/٦٨٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٢١٢٣)، (٥٦٠١).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٩)، م: (٢١١١).

**ثالثاً**: أيها المصور يوم القيامة وأنت في أرض المحشر إذ خرج الناس حفاة عراة غرلاً، وجيء يومئذٍ بجهنم أتدري ما يفعل بك يومها أيها المصور؟! اسمع ما يقول رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وُكلت بثلاثةٍ: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»(١)، فأين المفر؟! وأين المهرب أيها المصور يوم القيامة وهذا العنق يبحث عنك في أرض المحشر من بين الناس ليأخذك.

**رابعاً**: أيها المصور: ثم هناك في النار ستجد العذاب الأليم ينتظرك، يقول ﷺ: «**إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»(٢)، فليحذر من يحمل الكاميرا طوال يومه وليله يصور ويلتقط الصور للذكرى، في الأعراس وغيرها، ويملأ بيته بالصور والتماثيل يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(٣)، وقال ﷺ: «**يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهِئون بخلق الله تعالى**»(٤).
(وجاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن الصور فقال له: أدن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا، حتى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يُجعل له بكل صورةٍ صورها نفساً فتعذبه في جهنم**»)(٥). وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: «من صوَّر صورةً في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ»(٦). أيها المصور! اعمل ما شئت، إن الله بما تعمل بصير.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/٣٣٦)، هب: (٥/١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٠٦)، م: (٢١٠٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٦١٠)، م: (٢١٠٧).
(٥) **صحيح**: م: (٢١١٠).
(٦) **صحيح**: خ: (٢١١٢)، م: (٢١١٠).

**خامساً**: أيها المصور: أنت عند الله من شر الناس إن لم تتب؛ تقول عائشة ﵂: لما اشتكى النبي ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها «مارية»، وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «**أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ خلق الله**»(١).

***عباد الله!*** التصوير جريمة والمصور مجرم، ولذلك جاء الإسلام فأعلن الحرب على الصور والمصورين.

**والدليل على ذلك:**

تقول عائشة ﵂: «حشوت للنبي ﷺ وسادةً فيها تماثيل كأنها نمرقةٌ، فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه، فقلت: ما لنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**ما بال هذه الوسادة؟**»، قالت: وسادةٌ جعلتها لك لتطضجع عليها. قال ﷺ: «**أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورةٌ، وأن من صنع الصورة يُعذبُ يوم القيامة، يقول: أحيوا ما خلقتم**»(٢)، وفي رواية: «**أن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة**»(٣)، وزاد الشافعي: قالت عائشة ﵂: «فما دخل حتى أخرجتها»(٤).

**دليل آخر:**

عن أبي الهيَّاج الأسدي قال: قال لي عليٌ ﵁: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدَع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)(٥)، حرب على الصور والمصورين!

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٧٦)، م: (٥٢٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٥٢).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٨٨٦).
(٤) **صحيح**: [«غاية المرام» (ص٩٦)]
(٥) **صحيح**: م: (٩٦٩).

**وهنا سؤال مهم، وهو:**

**لماذا حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح؟ أو ما هي العلة التي من أجلها كان تحريم الصور والتماثيل لذوات الأرواح؟**

**أولاً:** لأن الصور والتماثيل فيها مضاهاة لخلق الله ـ أي مشابهة لخلق الله.

**والدليل على ذلك:**

يقول ﷺ: «**أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى**»[١]، ويقول ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يُعذبون ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٢]، ويقول ﷺ: «**قال الله ﷻ: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»[٣]. إذن العلة: المضاهاة لخلق الله، أي: المشابهة لصنع الله.

**ثانياً:** حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح، لأنها مظهر من مظاهر الوثنية، وطريق يوصل إلى عبادة الأصنام، فما دخلت الوثنية إلى الأمم الغابرة إلا عن طريق الصور والتماثيل، وقد جاءت الأدلة تبين أن الأصنام التي عبدها قوم نوح، والتي ذكرت لنا في القرآن كانت في الأصل أسماء لرجالٍ صالحين من قوم نوح فلما ماتوا جميعاً حزن قومهم عليهم حزناً شديداً فصنعوا لهم الصور والتماثيل تذكيراً بهم وبأعمالهم، فلما طال الأمد، وانتشر الجهل، وقل العلم، عبدوهم من دون الله ويظهر لنا ذلك من قوله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٠)، م: (٢١٠٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٧١١٨)، م: (٢١٠٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٩)، م: (٢١١١).
(٤) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).

**ثالثاً**: حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح، لأنها تمنع الملائكة من دخول البيت يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١). فالذين ملئوا بيوتهم بالصور والتماثيل، فليعلموا أن الملائكةَ لا تدخل بيوتهم، والبيت الذي لا تدخله الملائكة بيت قد امتلأ بالشياطين فأهله في ضياع، وأهله قد مستهم الشياطين، فالعذاب من داخل هذا البيت على أهله، والسبب ـ الذي ربما يعتبرونه بسيطاً في أعينهم ـ هو عدم دخول الملائكة البيت، فالرسول ﷺ يقول: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فقال: إني كنت أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلتُ عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان على الباب تماثيلُ، وكان في البيت قِرامُ سترٍ فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمُر برأس التمثال الذي في البيت فليُقطعُ فيصير كهيئة الشجرة، ومُر بالستر فليقطع فيجعل وسادتين منبوذتين توطئان، ومُر بالكلب فليخرج**»(٢)، «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلبٌ**»(٣)، وهذا هو العلاج أن تقوم بقطع رأس التمثال فلا يعود بعد ذلك سبباً مانعاً من دخول الملائكة، فيصير كهيئة الشجرة، وأما الستر فيقطع لتتغير معالم الصورة.

***عباد الله!*** التصوير جريمة نكراء، لأنها مضاهاة لخلق الله، ومشابهة لصنع الله، وهو مظهر من مظاهر الوثنية، وطريق يوصل إلى عبادة الأصنام.

• والمصور مجرم، لأنه بهذا العمل الخبيث عرض نفسه لسخط الله، وعرض نفسه للعنة الله، وعرض نفسه للعذاب الأليم يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).
(٢) **صحيح**: د: (٤١٥٨)، ت: (٢٨٠٦)، حم: (٢/ ٣٠٥)، هب: (٥/ ١٨٩)، [«ص.ج» (٦٨)].
(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٥٥).

**ولعلّ بعض الناس يسأل:**

**ما الذي يحل صنعه أو استعماله من هذه الصور ولا يحرم؟**

**أولاً**: الصور والتماثيل لما ليس له روح كالأشجار والأنهار والجبال والمناظر الطبيعية.

**والدليل على ذلك:**

حديث ابن عباس رضي الله عنه حين سأله الرجل عن حكم التصوير، فبيّن ابن عباس له أن التصوير حرام، ثم قال للرجل ناصحاً: (إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له)[١]. وهذا حلالٌ وفيه الحل للمصورين الذين يقولون: نحن نعيش من وراء هذه المهنة، نقول: إن كنت لا بد فاعلاً فعليك بتصوير الأشجار والأنهار والجبال والمناظر الطبيعية فهذا عمل مباح لا حرمة فيه.

ونقول للذين علقوا الصور في بيوتهم وملئوا جدران البيوت بالصور، هذا هو العلاج: انزعوا تلك الصور التي هي لما فيه روح وضعوا مكانها منظراً طبيعياً بذلك ترضوا ربكم، وتبتعدوا عن سخطه، وتسمحوا للملائكة أن تدخل بيوتكم، وبهذه العودة والتوبة إلى الله تخرج الشياطين من البيت وتدخل الملائكة.

**ثانياً**: من الصور المباحة والتي لا تحرم:

١ ـ لعب البنات البسيطة المتواضعة التي تصنع من القماش والقطن حيث تتدرب عليها الجارية الصغيرة، كيف تربي أولادها عندما تكبر، فلقد سمح الشرع للبنات بهذه اللعب.

٢ ـ وكذلك الصور التي فيها فائدة متحققة للأمة الإسلامية، والتي تحتاج إليها الأمة كالتصوير في الطب وفي الجغرافيا، والتصوير للمجرمين أو الذين يضرون بالناس لمطاردتهم والتحذير منهم، فلا بأس بتصوير

---

(١) **صحيح**: م: (٢١١٠).

المجرم، ونشر صورته لتحذير الناس منه، فهذا شرعاً لا حرمة على المصوَّر فيه ولا حرمة على المصوِّر نفسه.

٣ ـ وكذلك التصوير للمعاملات الرسمية كالجوازات والهوية، والشهادات وغير ذلك مما فيه مصلحة فلا بأس في ذلك، لأنها ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، بل هناك أدلة شرعية تسمح بذلك وهي النصوص التي جاءت وسمح فيها رسول الله ﷺ لعائشة أن تلعب بهذه الصور والتماثيل.

***فيا إخوة الإسلام:*** إذا احتجنا إلى الصورة للضرورة فلا بأس في ذلك، ولكن يا إخوة الإسلام التصوير في ليلة العرس، ما هي الفائدة فيه؟ أجيبوا يا من ملأتم البيوت بهذه الصور أقول: والله لا فائدة في ذلك إنما هي الفضيحة والرياء لأن المصوِّر، يصور من يرقصون مع النساء، ويصور الرجال وهم يأكلون الطعام، ويصور السيارات وما فيها من نساء متبرجات ويصور الناس وهم يمشون في الشوارع، فما هي الفائدة من ذلك؟ إن ذلك تضييع للأموال والوقت ومعصية لله ﷻ، فاتقوا الله عباد الله.

التقاط الصور في الجامعة للشاب مع صاحبته، وحبيبته، مع زميلته في الجامعة ثم يحتفظ كل منهما بهذه الصور، فما هي الفائدة من ذلك؟

أيتها الفتاة تخيلي أنك قد تزوجت رجلاً صديقاً لهذا الشاب الذي التُقِطت صورتك معه فرأى زوجك يوماً صورتك مع هذا الشاب، تخيّلي ماذا يصنع؟ وماذا يقول؟ وماذا يزين له الشيطان؟ يقول له: إنكِ كنتِ في يومٍ ما تحبين هذا الشاب فيؤدي ذلك إلى طلاقك.

إذاً فهذه الصور التي توجد في بيوتنا لا ضرورة لها، ولا فائدة فيها، على المسلم العاقل أن يتقرب إلى الله بتمزيقها، وأيضاً الصور التي علقت على الجدران لذوات الأرواح عليه أن يقوم باستبدالها بالمناظر الطبيعية، وكذلك الأصنام التي ملأت البيوت عليه أن يقوم بتكسيرها، أي: عليه أن يقطع رأسها ليسمح للملائكة أن تدخل بيته ليشعر بطعم السعادة، ولعلكم

بعد هذا قد عرفتم يا عباد الله لماذا الكثيرُ من الرجال والنساء والأطفال يشتكون من مسِّ الشياطين؟! السبب: أنهم ينامون في بيوت لا تدخلها الملائكة، وتملأها الشياطين.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

٢٠٢

# المجرم السادس عشر ـ الساحر

***عباد الله!*** النار أعدها الله ﷻ للمجرمين جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم السادس عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الساحر»**

***أمة الإسلام!*** **أتعرفونه؟**

الساحر: الذي يدَّعي علم الغيب.

الساحر: الذي يعمل الحجب.

الساحر: الذي يفرق بين المرء وزوجه.

الساحر: الذي يكذب على الناس، ويدعي أنه يشفي المرضى بدون إجراء العمليات الجراحية، وكل ذلك كذب وافتراء، ودجل وشعوذة.

فتعالوا بنا عباد الله لنتعرف على هذا المجرم، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

١ ـ الساحر مجرم بنص القرآن، قال تعالى عن سحرة فرعون بعد أن آمنوا: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠]. وبعد أن هددهم فرعون بالقتل والتصليب على جذوع النخل قالوا له: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٥].

فقول السحرة هذا بعد أن آمنوا، دليلٌ على أن من لقي الله ﷻ ساحراً كافراً ـ لم يؤمن ولم يتب قبل أن يموت ـ لقي الله مجرماً يوم القيامة.

٢ ـ الساحر شيطانٌ من شياطين الإنس، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣ ـ الساحر يتعامل ويتعاون مع شياطين الجن.

***أمة الإسلام!*** اعلموا أن هناك تعاوناً بين شياطين الإنس وشياطين الجن، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]. فهناك تعامل بين شياطين الإنس والجن، وقد علمتم أن السحرة من شياطين الإنس.

***عباد الله!*** عقد التعامل، عقد الاستخدام، عقد التعاون الذي يتم بين شيطان الإنس وشيطان الجن يكون على النحو التالي:

**الطرف الأول**: شيطان الجن.

**الطرف الثاني**: شيطان الإنس وهو «الساحر»؛ إذ يتعهد الطرف الأول (وهو شيطان الجن) أن يتعاون مع الطرف الثاني (وهو شيطان الإنس الساحر)، وأن يقدم الخدمات التي يطلبها الطرف الثاني (وهو الساحر) ولكن مقابل أن يقوم الطرف الثاني (وهو الساحر) بالمعاصي والشركيات والكفريات التالية:

**أولاً**: أن ينتعل الساحر كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ في قدميه ويدخل به بيت الخلاء.

**ثانياً**: أن يقوم الطرف الثاني وهو الساحر بكتابة القرآن الكريم بالشيء النجس كالعذرة والبول ودم الحيض.

**ثالثاً**: أن يقوم الساحر أو الساحرة بوضع شيءٍ من كلام الله في الأماكن النجسة كمكان قضاء الحاجة، ومحلِّ دمِ الحيض عند المرأة، وغير ذلك إرضاء للطرف الأول وهو شيطان الجن.

**رابعاً**: أن يقوم الساحر (وهو شيطان الإنس) بوضع القرآن الكريم في بيت الخلاء ثم يبول عليه.

**خامساً**: يطلب الطرف الأول من الطرف الثاني (الساحر) أن يرتكب فاحشة الزنا بأُمه أو أخته أو خالته أو ابنته.

**سادساً**: أن يقوم الساحر بذبح ذبيحة للشيطان، دون أن يذكر عليها اسم الله، بل ربما ذكر عليها اسم الشيطان.

**سابعاً**: قد يقوم الساحر أحياناً بفعل الفاحشة بالمرأة التي تأتي إليه، لأن الشيطان لا يذهب إلى إحضار السحر إلا بعد أن يطلب من الساحر أن يفعل الفاحشة بالمرأة التي أتت إليه، ولذلك ترى كثيراً من النساء إذا ذهبت إلى الساحر أدخلها غرفة مظلمة، أتدرون ما هذه الغرفة المظلمة؟! إنها غرفة العمليات التي يتم فيها التعامل بين الطرف الأول والطرف الثاني، فإن طلب الساحر من الجني أن يحضر له السحر الذي صُنع لهذه المرأة تمرد الشيطان عليه، وقال له: هذا السحر لا يمكن فَكُّه إلا بعد أن تفعل الفاحشة بهذه المرأة.

***أمة الإسلام!*** أما قرأتم هذه الآية، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

أفاكٍ: أي: أنه يتفنن في الكذب وهو الساحر، وأظن أن هذه مهنته.

أثيم: أي: أنه يتفنن في معصية الله كما سمعتم من خلال صور التعامل بين الطرفين.

***أعرفت يا ابن آدم!*** إذا ذهبت إلى الساحر، وأخبرك باسمك، واسم زوجتك، وأين تسكن، وما هو المرض الذي تشتكيه، أعرفت من أين علم ذلك؟ من غرفة العمليات السوداء المظلمة، حيث أخبره بذلك قرينك من

الجنّ قبل أن تذهب إليه! نعم، فإن الجني الذي يتعامل مع الساحر يأخذ هذه المعلومات من الجني الذي معك ثم يقدمها للساحر، فإذا ما دخلت أنت على الساحر أخبرك بذلك، فإذا كنت جاهلاً بدينك قدمت الولاء والطاعة لهذا الساحر وظننت أنه وليٌّ من أولياء الله!!

٤ ـ الساحر من المفسدين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨١]. فهذا شاهد على أن الساحر من المفسدين في الأرض، فهو يؤذي المؤمنين والمؤمنات، ويفرق بين المرء وزوجه، ويُبّغض المرأة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته، والأم إلى ابنها وغير ذلك من الإيذاء الذي يقوم به الساحر، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال تعالى مبيناً أن من أعمال السحرة التفريق بين المرء وزوجه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٥ ـ الساحر لا يفلح أبداً، ولا بد أن يفضحه الله ولو بعد حين، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩]، فكيف تعتقدون بعد كل هذا أنه يجري العمليات بدون جراحة؟! أو تعتقدون أنه يشفي المرضى!! وكيف تركضون إليه بعد هذا وتدفعون له الأموال الطائلة؟! أين العقول؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: ٧٦، ٧٧].

٦ ـ الساحر لا خلاق له في الآخرة، أي: لا نصيب له ولا أجر له عند الله يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى

ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٧ ـ الساحر حده في الإسلام القتل، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأنه جرثومة في المجتمع المسلم يؤذي المؤمنين والمؤمنات، بما يدعي من الغيب، وهو يفرق بين المرء وزوجه، وهو يكذب على الناس، ويفرق بين الأحبة، ولذلك كان حده في الإسلام أن يضرب بالسيف، والدليل على ذلك:

**أولاً**: أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى الأمصار: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)، فقتلوا ثلاث سواحر(١).

**ثانياً**: قال جندب رضي الله عنه: (حد الساحر: ضربةٌ بالسيف)(٢).

**ثالثاً**: (حفصة رضي الله عنها سحرتها جاريةٌ لها فأمرت بها فقُتلت)(٣).

**رابعاً**: قال الإمام مالك رحمه الله: (الساحر الذي يعمل السحر أرى أن يقتل).

**خامساً**: قال ابن حجر رحمه الله: (حكم الساحر حكم الزنديق فلا تقبل توبته، ويقتل حداً إذا ثبت عليه ذلك، وبهذا قال الإمام مالك وأحمد).

***عباد الله!*** هل يجوز للمسلم أن يتعلم السحر أو يعلمه؟

**الجواب**: لا بل هذا حرام، وهذا الحديث الذي يتداول بين الجهلة: (تعلموا السحر ولا تعملوا به)، كذب، ولا يصح، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فع: (١٧٦١)، قط: (٢/ ١٥٤)، ع: (٢/ ١٦٦)، بز: (٣/ ٢٦٨)، عب: (٦/ ٤٩)، ش: (٥/ ٥٦٢)، هق: (٨/ ١٣٦).

(٢) **ضعيف مرفوعاً**: ت: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ٤٠١)، قط: (٣/ ١١٤)، طب: (٢/ ١٦١)، عب: (١٠/ ١٨٤)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ض.ج» (٢٦٩٩)].

(٣) فع: (١٧٦١)، طب: (٢٣/ ١٨٧)، عب: (١٠/ ١٨٠)، ش: (٥/ ٤٥٣)، هق: (٨/ ١٣٦).

***عباد الله!*** يحرم على المسلم أن يتعلم السحر أو يعلِّمه غيره. لأن الله ﷻ ذكر السحر في موضع الذم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

• وقد حذر النبي ﷺ من السحر ومن الاقتراب منه، فعده ﷺ من الموبقات، فقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال ﷺ: «**الشرك بالله والسحر..**»(١)، وقال ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»(٢). وفي هذا دليل على حرمة تعلم السحر.

***عباد الله!*** هل يجوز للمسلم أن يذهب إلى الساحر أو الكاهن، أو العراف، لعمل السحر أو لفك السحر أو للعلاج؟

**الجواب**: لا، بل حرم الإسلام ذلك، قال الرسول ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تُطُيِّر له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٣). وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»(٤). قال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٥)، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩)

(٢) **صحيح**: د: (٣٩٠٥)، هـ: (٣٧٢٦)، حم: (١/ ٢٢٧)، طب: (١١/ ١٣٥)، ش: (٥/ ٢٣٩)، هق: (٨/ ١٣٨)، [«ص.ج» (٦٠٧٤)].

(٣) **صحيح لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٣٠٤١)].

(٤) **حسن لغيره**: «حب: (٦١٣٧)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٥٠)].

(٥) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٦) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، حل: (٨/ ٢٤٦)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

***عباد الله!*** هل للسحر حقيقة وتأثير؟ هل يستطيع الساحر أن يفرق بين المرء وزوجه؟ هل يستطيع أن يفعل ويفعل..؟ من نظر في أدلة القرآن وأدلة السنة علم أن السحر موجود، وأن له حقيقة، وأساتذة السحر في العالم هم اليهود الذين يعلمون الناس السحر وينشرونه بين الناس في كل زمان ومكان، ولكن هذه الحقيقة وهذا التأثير من الساحر على المسحور لا يضر أبداً إلا بإذن الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

***فيا إخوة الإسلام:*** **ما هو علاج السحر إن وقع؟**

**علاج السحر نوعان:**

**علاجٌ حرام، وعلاج حلال.**

فافهموا وعوا، يا من تسمعون عن السحر وضرره، وخطورته على الدين والعرض، ثم بعد ذلك تذهبون إلى السحرة والمشعوذين.

**العلاج المحرم**: هو أن تذهب إلى الساحر فيقوم الساحر ـ كما سمعتم بالتعاون مع الجن ـ بفك السحر، ونقول: لو أنك ذهبت إلى الساحر وفك لك السحر، أو عالجك من المرض، أو فعل لك ما تريد، فإنك تكون قد وقعت في المحرم، وعصيت الله ﷻ، وقدمت أنت والساحر ثمناً غالياً، وهو أن يقوم الساحر بالمعاصي والشركيات والكفريات كما سمعتم، فالساحر قد قدم ثمناً غالياً لأنه خسر دينه وقدمه ثمناً لذلك، والذاهب إلى الساحر قدم كذلك ثمناً غالياً لأنه قد سمع الرسول ﷺ قال: «**ليس منا... من سَحَر أو سُحِرَ له**»[(١)]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مؤمن بسحر**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من أتى كاهناً أو عرافاً، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[(٣)].

***عباد الله!*** أتذهبون بعد ذلك إلى الساحر؟ احذروا ادعاءاته الكاذبة

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة. (٢) ما سبق.

(٣) ما سبق.

بأن يقول: أنا أشفي بالقرآن، فإنه دجال، ويضع السم في العسل، فاحذروا واسألوا عنه قبل أن تذهبوا، هل هو من العلماء الأتقياء الصالحين المشهود لهم بالخيرية حتى يشفي بالرقى المشروعة؟ هل هو طبيب تخرج من كلية الطب فيقوم بالعمليات الجراحية وهذا عمل مشروع؟ أم أنه دجال؟ أم أنه لا يصلي في المسجد؟ أم أنه يقرأ شيئاً من القرآن ثم يتكلم بطلاسم غير مفهومة.

**العلاج الحلال**: فهو أولاً: أن تتسلح بالعقيدة الصحيحة، وهو أن تعلم أيها المؤمن أنه لا يكشف الضر إلا الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، فالذي أصابك بالضر هو الذي يكشفه عنك، وربما قال أحدكم: الاستعانة بالساحر سبب من أسباب الشفاء؟ وهذا نقول له: إن هناك أسباب مشروعة وأسباب محرمة، فإن كان الشفاء في سببٍ غير مشروع كالخمر فهل يجوز لك أن تتداوى بالخمر مثلاً؟ الجواب: لا، فهذا حرام.

ثم عليك أن تتذكر أيها المسلم أن الذي يجيب الدعاء هو الله وحده، والذي يكشف السوء هو الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وعلى المؤمن أن يعلم أن الأمور كلها بيد الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، فالتي تريد أن تتزوج لن يزوجها الساحر بحجاب! إنما الذي يُهَيِّءُ لها أسباب الزواج هو الله.

والمريض الذي يريد الشفاء، الذي بيده الشفاء هو الله.

والذي لا ينجب الأولاد الذي يعطيه الأولاد هو الله.

وليعلم المسلم أن الله سبحانه وتعالى له سنن منها قول رسوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك**

**إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**(١). أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن تحفظ الله يحفظك من السحرة، ومن الأمراض ومن المعاصي، وقول الرسول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمرهُ كلهُ له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٢)، وجاءت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ فقالت: إني أُصرعُ وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله ـ تعالى ـ أن يعافيك**»، قالت: أصبر، قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»(٣).

**ثانياً**: عليك أن تتسلح بذكر الله، لأن ذكر الله حصن حصين يمنع من تأثير السحر فيك بإذن الله.

**ثالثاً**: وإذا أُصبت بسحر فضع يدك واقرأ على نفسك أو على زوجك أو على ولدك إن أصابهم، اقرأ الفاتحة فهي شافية بإذن الله، اقرأ شيئاً من القرآن، اقرأ آية الكرسي، اقرأ سورة البقرة في بيتك، اقرأ المعوذات على نفسك وعلى أولادك، واعلم أن السحر لا يبطله إلَّا الله كما قال ربنا جلّ وعلا على لسان موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).

٢٠٣

# المجرم السابع عشر ـ المتكبر

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم السابع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المتكبر».**

**المتكبر**: هو من تكبر على الله، وتكبر على رسول الله، وتكبر على خلق الله.

***عباد الله!*** وهذا رسولنا ﷺ يعرفنا بهذا المجرم لنكون منه على حذر، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر، قال رجلٌ: إن الرجل يُحبُ أن يكون ثوبه حسناً ونعلهُ حسنةً؟ قال** ﷺ: **إنَّ الله جميل يُحب الجمال، الكبر: بطرُ الحق، وغمط الناس**»[(١)].

**وبطر الحق**: هو رده ودفعه وإنكاره على قائله ترفعاً وتجبراً وتكبراً.

وهو كما فعل إبليس لعنه الله عندما أمره الله ﷻ أن يسجد لآدم فرد هذا الأمر واستكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]. ولما سأله الله ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ كان جوابه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، فتكبر ورد أمر الله ﷻ.

وهذا الذي أكل بشماله عند رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «**كل بيمينك**»، قال الرجل: لا أستطيع، فقال ﷺ: «**لا استطعت**»، ما منعه إلا

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

الكبر، قال: فما رفعها ـ يعني يده ـ إلى فيه[(١)]، أي: شُلَّت يده؛ فكم منا يا أمة الإسلام رد أمر الله، ورفض أمر رسول الله ﷺ؟! فهذا هو الكبر.

**وغمط الناس**: أي: احتقارهم والتعالي والتكبر عليهم، فهناك من الناس من ينظر إلى البشر باحتقار، إما لأنه صاحب مال، وإما لأنه صاحب جاه، أو لأنه من عشيرة فلان أو لأنه ابن فلان فتراه ينظر إلى الناس بتكبّر، فيحتقر خلق الله، ويتكبر عليهم.

***عباد الله!*** المتكبر هو مَنْ يرفض الحق ويدفعه، وهو أيضاً مَنْ يحتقر عباد الله.

المتكبر مجرم بنص القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣].

***عباد الله!*** وهذه رسالة نوجهها للمتكبرين، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

**أولاً**: أيها المتكبر! النارَ النارَ! أي: احذر النار! احذر العذاب! وهل أعدت النار إلا للمتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

***ابن آدم:*** ما الذي منعك أن تسجد لله؟ إنه الكبر، ما الذي منعك أن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

تأتي لكل صلاة في بيت الله؟ إنه الكبر، ما الذي منعك أن تستجب لأمر رسول الله؟ إنه الكبر، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**» قالوا: بلى، قال: «**كل عُتُلٍّ جَوَّاظ مستكبر**»(١)، ويقول ﷺ: «**العزُ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذّبته**»(٢).

ويقول ﷺ: «**احتجّت النار والجنّة، فقالت هذه: يدخلني الجبّارون والمتكبّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أُعذّب بك من أشاء ـ وربما قال: أصيب بك من أشاء ـ وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها**»(٣).

**ثانياً**: أيها المتكبر! إن الجزاء عند الله من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

**ففي الدنيا**: الذل والهوان، والهلاك، والدمار، للمتكبرين، والعاقل من اتعظ بغيره.

فهذا فرعون تكبر بملكه فأهلكه الله.

وهذا قارون تكبر على قومه بماله فأهلكه الله.

وقوم عاد لمّا تكبروا على الناس بقوتهم أهلكهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]. ويقول ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه، مرجل جمّته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).

أيها المتكبر! اعتبر بمن سبقك، فالله للمتكبرين في الأرض بالمرصاد! وتأمّلوا يا عباد الله كيف أن المتكبّر الذي كان يستعلي على الناس بنفسه وماله قد خسف الله به الأرض، فإنه لمّا ارتفع بنفسه عن الناس إلى أعلى كان الجزاء له من جنس عمله بأن خسف الله به الأرض فهو ينزل في الأرض إلى أسفل إلى يوم القيامة!

**أما الجزاء في الآخرة**: فإن الله ﷻ يحشر المتكبرين يوم القيامة في أسوأ صورة، يغشاهم الذل من كل مكان تطؤهم الأقدام، يقول ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر** ـ أي: النمل الصغير ـ **في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يُسمى بُولُس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»(١). إذن كل من تكبّر في هذه الدنيا حُشِر يوم القيامة أمثال الذر ـ أي النمل الصغير في صور الرجال تطؤهم الأقدام من احتقارهم وصَغارهم.

**ثالثاً**: أيها المتكبر! اعلم أن الجنة لا يدخلها متكبر، لأن الله أعد الجنة للمتواضعين. قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]. ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٢).

**رابعاً**: أيها المتكبر: يقول الله ﷻ في كتابه محذراً: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

أيها المتكبر! إنك مهما ضربت الأرض برجليك فإنك لن تخرق الأرض، ومهما ارتفعت برأسك وعلوت على الناس فإنك لن تبلغ الجبال طولاً، ويقول الله لك: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِلَـٰهُكُمْ

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/ ١٧٩)، خد: (٥٥٧)، [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٢، ٢٣]، وهذا إخبار لك من الله ﷻ أيها المتكبر بأنه سبحانه وتعالى لا يحبك، ويقول الله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦]. أي: يخبرك الله ﷻ أيها المتكبر أنك ستكون مصروفاً عن كل خير بسبب أنك تكبرت على الله، وعلى رسول الله، وعلى خلق الله.

**خامساً**: أيها المتكبر، يقول لك الرسول ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٣)].

انظروا إلى العقاب الذي سيحل بهؤلاء، وهذا لأن الشيخ الزاني ليس بحاجة إلى الزنا لأنه قد كبر سنّهُ.

والملك الكذاب يكذب وهو ليس بحاجة إلى الكذب، فلا أحد من الناس يسأله عمّا يفعل أو يقول.

أما العائل المستكبر، فهو فقير محتاجٌ ومتكبر؟! والرجل قد يتكبّر عندما يمتلك المال ـ هذا ممكن، وإنْ كان ذلك لا يجوز شرعاً ـ أما فقير ومتكبر فهذه جريمة!!.

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).
(٣) **صحيح**: م: (١٠٧).

كبر»[١]، وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات... فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[٢]. وقال ﷺ: «**من تعظم في نفسه، واختال في مِشْيته، لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان**»[٣].

***عباد الله!*** الكبر جريمة، ومرض خطير يكمن في القلوب.

**وهنا يرد سؤال مهم، ألا وهو:**

**كيف يعالج الإنسان نفسه من الكبر؟**

**أولاً**: على الإنسان أن يعرف نفسه وقدره.

***ابن آدم!*** إنك مهما بلغت من الغنى، ومهما بلغت من الجاه والسلطان والمال والقوة فعليك أن تعرف قدرك وأصلك، إنه الطين! فلا تنس أن أصلك، الطين، والتراب، وأنك ستعود إلى التراب. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ١٧ ـ ٢٢].

● وهذا صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف عندما تكبر على صاحبه الفقير وتعالى عليه بماله، قال له صاحبه الفقير الفقيه مذكّراً له بأصله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، فذكَّره بأصله، وأنت أيها الغني لا تنسَ أنك من تراب، وإلى التراب، أيها القوي إنك جئت من ضعف لأنك خلقت من نطفة، وأنت أيها الجميل لا تنسَ أنك خرجت من مجرى البول عند أبيك، ولعلّك تعلم من أين خرجت من أمك، اعرفْ نفسك وقدرك حتى لا تعلو على الناس.

**ثانياً**: اعرف ربك أيها الإنسان، فالله ﷻ هو المتكبر، والله ﷻ قال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]، فلا

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).
(٢) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].
(٣) **صحيح**: حم (٢/ ١١٨)، خد: (٥٤٩)، [«ص.ج» (٦١٥٧)].

يليق بك أيها الإنسان الضعيف أن تتكبر في الأرض، فالكبرياء لله وحده لا شريك له، يقول رسول الله ﷺ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»[١].

**ثالثاً**: اتعظ بمن قبلك من المتكبرين، وبما فعل الله بهم؟.

فهذا قارون: كان من قوم موسى فبغى عليهم ـ أي: تكبر عليهم ـ فماذا كان مصيره؟ لقد خسف الله به وبداره الأرض.

وهذا فرعون: قال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، فأهلكه الله في هذه الأنهار.

وقوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ أهلكهم الله بريح صرصر عاتية.

**رابعاً**: استعذ بالله من الكبر ومن المتكبرين.

فهذا موسى لما بلغه الخبر بأن فرعون يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٦، ٢٧]، عذتُ بربّي أي: التجأت إلى الله.

**خامساً**: عليك بمصاحبة المتواضعين، والتأسي بهم، وعلى رأسهم رسولنا ﷺ الذي ضرب لنا مثلاً أعلى في التواضع، فتواضع يا عبد الله، فإنك مهما جمعت من مال فأنت راحل عن الدنيا وتاركه خلفك! ومهما بلغت من المناصب فأنت ذاهب من الدنيا وتاركٌ لذلك كلّه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤].

**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم**

**أن ينجينا وإياكم من هذا المرض الخطير**

**اللهم طهر قلوبنا من الكبر**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).

٢٠٤

# المجرم الثامن عشر ـ العاق لوالديه

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم الثامن عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «العاق لوالديه»**.

العاق لوالديه.. أتعرفونه؟!

إنه من يتأفف في وجه والديه، إنه من يسب والديه، إنه من يضرب والديه، إنه من يقدم زوجته على أمه، إنه من يقدّم صديقه على أبيه.

وعقوق الوالدين أصبح (موضة) العصر، فلقد كثر وانتشر في هذا الزمان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

***عباد الله!*** العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق والديه.

**أولاً**: لأنه عرَّض نفسه لسخط الله، يقول ﷺ: «**رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين، وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين**»(١)، فاعمل ما شئت أيها العاق لوالديك، فإن الله ساخط عليك.

**ثانياً**: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه عرَّض نفسه للعنة الله. يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥]. والعاق لوالديه نقض العهد الذي بينه وبين الله، فإن العاق لوالديه قد

---

(١) **حسن لغيره**: هب: (٦/ ١٧٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٠٣)].

قطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام، وهو كذلك من المفسدين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال ﷺ: «**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض**»[(١)].

**ثالثاً**: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه ارتكب أكبر الكبائر، يقول ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وجلس وكان متكئاً، فقال: «**ألا وقول الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٢)]، وقال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه!**»، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «**يَسُبُّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسبّ أمه**»[(٣)]. وفي هذا العصر العجيب لعنٌ وضربٌ وسبٌ وشتمٌ، وكل هذا يخرج من الولد لوالديه! إن هذا لشيء عجاب!!

**رابعاً**: أيها العاق لوالديك، أنت مجرم في حق نفسك، لأنك حرمت نفسك من أن تدخل الجنة مع الداخلين، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[(٤)] يعني قاطع رحم، والعاق لوالديه قاطع للرحم، وقال ﷺ: «**أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حقّ، والعاق لوالديه**»[(٥)].

***ابن آدم!*** هل أنت واحدٌ من هؤلاء؟! وقال ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال،**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٧٨). (٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٣٨)، م: (٢٥٥٦).
(٥) **ضعيف جداً**: ك: (٢/٤٣)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ض.ج» (٧٤٨)].

**والديوث»**[١]، والديوث هو: من يقرّ المنكر في أهله.

**خامساً**: العاق مجرم، لأن الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً، يقول ﷺ: «**ثلاثةُ لا يقبل الله ﷻ منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنان، ومكذب بقدر**»[٢]، وجاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصلّيت الخمس، وأدّيت زكاة مالي، وصمت رمضان؟ فقال النبيّ ﷺ: «**من مات على هذا كان مع النبيّين والصدّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا ـ ونصب أصبعيه ـ ما لم يعق والديه**»[٣].

**سادساً**: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه بعقوقه هذا لن يفلح أبداً، فإن جبريل عليه السلام دعا عليه والرسول ﷺ أمن على دعوته، فلقد صَعِدَ النبي ﷺ المنبر فقال: «**آمين، آمين، آمين**»، ثم قال: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فقال: يا محمد من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين**»[٤]، ـ أي: من أدرك أحد أبويه فقصر في برهما فمات وهو مقصّر دخل النارـ يقول جبريل: فأبعده الله، وهذا دعاءٌ منه عليه، ثم يقول جبريل لرسولنا ﷺ: قل: «**آمين**»، أي: أمِّن على هذه الدعوة، فقال ﷺ: آمين.

***عباد الله!*** وهذه رسالة نوجهها إلى كل عاقٍ لوالديه تذكيراً وتحذيراً؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**أولاً**: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن حق الوالدين من أعظم

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٢/ ١٣٤)، ك: (١/ ١٤٤)، طب: (١٢/ ٣٠٢)، طس: (٣/ ٥١)، هب: (٧/ ٤١٢)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

(٢) **حسن**: «كتاب السنة» لابن أبي عاصم: (٣٢٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٥١٣)].

(٣) **صحيح**: حب: (٤٣٣٨)، خز: (٢٢١٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٥١٥)].

(٤) **صحيح**: حب: (٤٠٩)، طب: (٢/ ٢٤٣)، طس: (٨/ ١١٣)، ع: (١٠/ ٣٢٨)، بز: (٤/ ٢٤٠)، هب: (٣/ ٣٠٩)، [«ص.ج» (٧٥)].

الحقوق بعد حق الله تبارك وتعالى؟ أما قرأت القرآن لتجد أن ربنا جل وعلا إذ أمر عباده بعبادته أمرهم بالإحسان للوالدين؟! يقول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وأتعجب ممن يحفظها عن ظهر قلب ثم يعقّ والديه!! وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

**ثانياً**: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الله أوصاك بوالديك؟ نعم، إنها وصية من الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ويقول ﷺ: «**إن الله يوصيكم بأُمّهاتكم ـ ثلاثاً ـ إن الله تعالى يوصيكم بآبائكم ـ مرتين ـ إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[1].

**ثالثاً**: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الإسلام أمر بالإحسان إلى الوالدين وإن كانا على الكفر؟.

١ ـ عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[2].

٢ ـ ومن قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يضرب لنا مثلاً أعلى في الإحسان إلى الوالد والتأدُّب معه وإن كان على الكفر، فها هو يدعو والده وينصحه، والله ﷻ سجل لنا ذلك قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٦٦١)، حم: (٤/ ١٣٢)، خد: (٦٠)، طب: (٢٠/ ٢٧٠)، هب: (٦/ ١٨٢)، هق: (٤/ ١٧٩)، [«ص.ج» (١٩٢٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٤٧٧)، م: (١٠٠٣).

ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥]، يا شباب الإسلام! انظروا إلى إبراهيم كيف كان يتكلم مع أبيه الكافر، ولينظر أحدكم كيف يتكلم هو مع أبيه المسلم، مع أن الله ﷻ أمرنا في كتابه بالإحسان للوالدين وإن كانا على الكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

**رابعاً**: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الإسلام قد قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله؟

فحين سُئل ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم برّ الوالدين**»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»(١).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ: فقال: أُبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله ـ تعالى ـ، قال: «**فهل لك من والديك أحدٌ حي؟**»، قال: نعم بل كلاهما. قال ﷺ: «**فتبتغي الأجر من الله ـ تعالى ـ**»؟! قال: نعم: قال ﷺ: «**فارجع إلى والديك فأحسن صُحبتهما**»(٢).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد قال ﷺ: «**أحيٌ والداك؟**»، قال: نعم، فقال ﷺ: «**ففيهما فجاهد**»(٣).

**خامساً**: أيها العاق لوالديه، أنسيت أن بر الوالدين سبب لإجابة الدعاء، وسبب للفرج والنجاة من الأزمات؟ودليل ذلك:

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٤)، م: (٨٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٤٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٨٤٢)، م: (٢٥٤٩).

١ ـ يقول ﷺ: «**يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره**»(١)، أي: لو دعا لاستجاب الله له.

٢ ـ أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار، (**فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شيءٍ يوماً فلم أُرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج**)(٢).

فهل هناك أحدٌ يستطيع أن يفعل ذلك في هذا الزمن العجيب؟!! ـ زمن المفسديون والربا (والستالايت) ـ الجواب: لا، إلا من رحم ربي.

**سادساً**: أيها العاق لوالديه، أنسيت أن دعوة الوالدين مستجابة؟ أما خشيت أيها العاق لوالديك أن تقوم أمك في جوف الليل فتدعو عليك فيقصم الله ظهرك؟! أما خشيت أيها العاق لوالديك أن يقوم والدك من الليل فيدعو عليك فلا ترى خيراً في حياتك بعدها!! يقول ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم**»(٣)، ويقول ﷺ: «**ثلاث دعوات لا تُرد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٤٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣).

(٣) **حسن**: د: (١٥٣٦)، ت: (١٩٠٥)، حم: (٢/ ٢٥٨)، حب: (٢٦٩٩)، خد: (٣٢)، طس: (١/ ١٢)، ش: (٦/ ١٠٥)، هب: (٦/ ١٩٩)، [«ص.ج» (٣٠٣١)].

(٤) **حسن**: هق: (٣/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٣٠٣٢)].

***عباد الله!*** إن عقوق الوالدين جريمة نكراء، والعاق لوالديه مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق والديه، فمن كان منكم عاقٌّ لوالديه فعليه أن يتوب إلى الله، وأن يبرّ والديه استجابة لأمر الله تعالى، واستجابةً لأمر رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥]. أتستطيع أن تفعل ذلك يا عبد الله؟ إما يبلغن عندك ـ أي: في بيتك ـ أن تقوم ببرهما لا أن تذهب بهما إلى الملجأ كما يفعل من يقلدون الكفار حيث تراه إذا كبر والده وضعه في الملجأ، ثم زاره يوماً في السنة اليوم الذي يسمّونه بعيد الأم أو بعيد الوالدين!! إما يبلغن عندك، أي: في بيتك لتقوم أنت بالإشراف عليهما بالليل والنهار أحدهما أو كلاهما ولا تقل لهما: أف، ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. ومع ذلك أيضاً ادع لهما، وقل: ربي ارحمهما، فهذا ما تستحقه منك هذه الأم التي أرضعتك وحملتك، وسهرت عليك بالليل، وتمنت أن تكون رجلاً لكنك قابلت إحسانها إليك بالإساءة إذ أنت اليوم تدعو في كل لحظة على أُمّك أن يأخذها الله!!

فلاحظ الفرق يا أخا الإسلام، فكم من الناس في كل لحظة يدعو على والديه بالهلاك والدمار لأنه يريد أن يرث؟! يريد أن يستريح من هذا الهم؟! يريد أن يرضي زوجته وأولاده! أيها المسكين! الوالدان بابٌ إلى الجنة عندك، والجنة تحت قدم الأم، فاستجب لأمر رسول الله ﷺ الذي قال: «**الزم رجلها، فثمّ الجنة**»[1]، باب إلى الجنة عندك في البيت وأنت تتمنى أن يزول! يرزقك الله ﷻ بوجودها عندك في البيت، وأنت تتمنى لها أن تزول! فاتقِ الله.

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٧٨١)، طب: (٨/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٨٤)].

أيها العاق لوالديك استجب لأمر الله، واستجب لأمر رسول الله ﷺ، فلقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[(١)]، وكل هذا توصيةٌ بالأُمّ لأنها أرضعت وحملت، وسهرت، وتعبت، وتمنت لك الخير، فأحسن إلى الأم أولاً ثم إلى الأب، والجزاء لك عند الله من جنس عملك، وكما تدين تدان، ومن بر والديه بره أبناؤه، ومن عق والديه عقه أبناؤه.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٢٦)، م: (٢٥٤٨).

٢٠٥

# المجرم التاسع عشر ـ خطيب السوء

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم التاسع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «خطيب السوء»**.

**أتعرفون خطيب السوء؟**

إنه من يخطب في الناس بدون علم، إنه من يتخذ المنبر للسب والشتم، إنه من يُحَرِّضُ الناس على ولاة الأمر من خلال المنبر، إنه من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، إنه من يأمر الناس بالمعروف ولا يأتيه وينهاهم عن المنكر ويأتيه!

***عباد الله!*** وحديثنا في هذا اليوم عن هذا المجرم سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: خطبة الجمعة: هل هي لذكر لله تعالى أم أنها للسبّ والشتم؟!

**العنصر الثاني**: هذا هو خطيب السوء فاحذروه!

**العنصر الثالث**: رسالة إلى الخطباء فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الأول: خطبة الجمعة: هل هي لذكر لله تعالى أم للسبِّ والشتم؟**

هناك كثير من خطباء السوء يظنون ويعتقدون أن خطبة الجمعة فرصةٌ للسبّ والشتم، فتراهم يسبون الناسَ عامة، ويسبون ولاة الأمر خاصة. ويقول أحدهم مبرراً ذلك: إنها كلمة حق عند سلطان جائر ـ زعموا ـ!

ونسوا يا عباد الله أن خطبة الجمعة إنما هي ذكر لله، وإنما هي موعظة وتذكير يذكِّر الخطيب الناس فيها بالله، ويذكِّرهم باليوم الآخر، ويذكرهم بالموت والقبر والحساب والجزاء، ويذكِّرهم بالجنة والنار ليزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة، فإذا جاء الناس إلى خطبة وصلاة الجمعة خرجوا منها زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، فإنهم لم يأتوا إلى خطبة الجمعة ليسمعوا سباً وشتماً! أو ليسمعوا ملخصاً لنشرة الأخبار الأسبوعية! أو ليسمعوا تلخيصاً لعناوين صحُف الأخبار، لا يا عباد الله!.

● فتعالوا بنا إلى كتاب ربنا، وإلى سنة نبينا ليتبين لنا: هل شرعت خطبة الجمعة للسب والشتم، أم أنها شرّعت لذكر لله تبارك وتعالى؟

فالأصل يا عباد الله إذا اختلفنا في شيء أن نردّه إلى الله، والرسول، أي: إلى الكتاب والسنة، ومن هنا نقول: قال الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩]؛ فالله ﷻ سمى خطبة الجمعة ذكراً لله، ولم يقل ربنا في كتابه: فاسعوا إلى السب والشتم!!

فهذا نداء للمؤمنين بأن يبادروا ويسارعوا إلى المساجد يوم الجمعة ليستمعوا إلى خطبة الجمعة التي سماها الله ذكراً ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، فالرجل إذا جاء من بيته ملبياً لنداء الله إلى المسجد يوم الجمعة ليستمع إلى ذكر لله، ليتذكر بذلك الدار الآخرة، لكنه إذا جاء ولبّى النداء وجد الخطيب يخطبُ عن نشرة الأخبار الأسبوعية، وعما كُتِب في صحف الأخبار طوال الأسبوع، ويراه يسب فلاناً وفلاناً، ويحرض الناس على ولاة الأمر، يريد بذلك الفتنة! وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا)، لأنَّ الخروج على ولاة الأمر يملأ السجون بالشباب، ويهتك الأعراض، يُدْخلُ الناس في فتنة ما بعدها فتنة، فهو شر ما بعده شر، وإذا ظلم ولاة الأمر فأمرهم إلى الله، أما إذا خرج الناس على ولاة الأمر فخروجهم لا يأتي بخير أبداً، فخطيب السوء تراه يُلَمِّحُ تارة وَيُصَرِّحُ أخرى بأن يخرج الناس على ولاة الأمر.

**ثم الدليل من السنة:** على أن خطبة الجمعة إنما شرّعت لذكر الله، قوله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»(١).

انتبهوا يا عباد الله يقول ﷺ: «**فإذا خرج الإمام** ـ أي: إذا صعد المنبر ـ **حضرت الملائكة**»، التي كانت قد وقفت على الطرقات تسجل أسماء القادمين إلى المسجد، ولذلك احرص أن تكون في المسجد قبل أن يصعد الخطيب على المنبر لتتحصل على هذا الأجر العظيم، ـ فإذا صعد الإمام على المنبر حضرت الملائكة أي: جلسوا في المسجد يستمعون الذكر، فسمى الرسول ﷺ خطبة الجمعة ذكراً ولم يقل ﷺ: فإذا حضر الإمام أي: إذا صعد الإمام المنبر حضرت الملائكة يستمعون السب والشتم، فخطبة الجمعة ذكر لله، وإياكم أن تنخدعوا بما تسمعون مِنْ أنه يجب على الخطيب أن يسب فلاناً وفلاناً، وأن يستخدم منبر رسول الله للسب والشتم، فقد سمعتم الدليل من الكتاب والسنة على أن خطبة الجمعة يجب أن تكون ذكراً لله تعالى.

**العنصر الثاني ـ هذا هو خطيب السوء فاحذروه!**

***عباد الله!*** جاء وصف دقيق من الكتاب والسنة لخطباء السوء؛ لنكون منهم على حذر.

**صفتهم الأولى:** أنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، فاعرفوهم لتكونوا منهم على حذر.

والبر: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فتراهم يأمرون الناس

---

(١) **صحيح**: خ: (٨٤١)، م: (٨٥٠).

بالبر وينسون أنفسهم، والله ﷻ ينكر ذلك ويوبخ من يفعل ذلك، وهذا ممّا يدل على أن الذي يأمر الناس بالبر وينسى نفسه إنسانٌ لا عقل له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

***عباد الله!*** ومثل هؤلاء كمثل طبيبٍ بارع، يصف الدواء للمريض، ويعلم بأن المريض سيشفي بهذا الدواء بإذن الله، ولكن هذا الطبيب حين يصاب بنفس ذلك المرض ينسى أن يصف لنفسه ذلك الدواء، أهذا طبيب عاقل؟ الجواب: لا، يجب أن يصف لنفسه العلاج ليشفى قبل أن يُداوي الآخرين، وكذلك خطيب السوء فإنك تراه يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أُمّتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»[1].

انظروا إلى العقاب الذي ينتظرهم: تقرض شفاههم، هذا الفم الذي يكذب على الله، وعلى رسول الله، وعلى الناس يوم القيامة ستقرض هذه الشفاه بمقاريض من نار، لم؟ لأنهم كانوا خطباء سوءٍ في الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، أفلا يعقلون؟!

فخطيب السوء يأمر بالمعروف وينسى نفسه، يأمر بالتوحيد وينسى نفسه، يأمر بالتمسك بالسنة وينسى نفسه، يأمر الناس بالخير وينسى نفسه، فنقول لهذا الخطيب خطيب السوء يقول لك القائل:

يا أيُّها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ ... هلَّا لنفسكَ كانَ ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقام منَ الضنا ... كيما يصحَّ بهِ وأنتَ سقيمُ
ابدأْ بنفسكَ فانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
لا تَنْه عَنْ خلقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٩)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، ش: (٧/ ٣٣٥)، حل: (٦/ ٢٤٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

**الصفة الثانية لهم**: أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون خلاف ما يقولون والله ﷻ يمقت ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣]. ورسولنا ﷺ يقول: «**مررت ليلة أُسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريضَ من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**»(١)، ويقول ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٢).

***عباد الله!*** خطباء السوء يدعون الناس إلى الجنة بأفواههم وأقوالهم، ويدعون الناس إلى النار بأفعالهم وتصرفاتهم، فهم في تناقض عجيب، كلامهم كالعسل وأفعالهم أفعالُ المجرمين، والله ﷻ يقول في أمثال هؤلاء: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

ويقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»(٣).

---

(١) **صحيح**: [«ص.غ.هـ» (١٢٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

(٣) **صحيح**: حم: (١/ ٢٢)، طب: (١٨/ ٢٣٧)، هب: (٢/ ٢٨٣)، [«ص.ج» (١٥٥٦)].

**الصفة الثالثة لهم**: أنهم يتبعون أهواءهم فيما يقولون ويفعلون.

١ ـ فالهوى عندهم هو الذي يأمر وينهى، وهو الذي يحلل ويحرم والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال ـ تعالى ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]؛ فاتّباع الهوى يهلك صاحبه، وخطيب السوء هواه هو الذي يأمره وينهاه، ولسان حاله يقول لهواه: سمعنا وأطعنا.

يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[(١)]. شح يعني: بخل، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه: فترى الإنسان يقول عن نفسه ـ كما قال إبليس ـ أنا خير، أنا أفضل!! وهذه الثلاث مهلكات لأصحابها، فاحذروها.

٢ ـ الهوى يمنع صاحبه من الاستجابة لله ولرسوله: ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

٣ ـ الهوى يضل صاحبه عن سبيل الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

**الصفة الرابعة لهم**: أنهم يريدون بأعمالهم الدنيا ولا يريدون بها الآخرة، فتراهم يستخدمون المنبر لإلقاء دروسهم وخطبهم عن أُمور الدنيا،

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].

فإما أن يدعو أحدهم الناس إلى الحزبية البغيضة التي ينتمي إليها، وإما أنه يبتغي بخطبته هذه شيئاً من حطام الدنيا الفانية، فهو يخطب إذا أعطوه مالاً، ويدرِّس إذا أعطوه مالاً، فإذا منعوه ترك الخطابة والتدريس، فهو يعمل من أجل الدنيا، والله ﷻ يضرب مثلاً لهؤلاء، فيقول ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

فخطيب السوء قد أراد بدينه الدنيا، أراد بعلمه الدنيا، فتراه يركض وراء الدنيا إن أعطوه خطب، وإن منعوه توقف، ولذلك تراه لا يُبالي بما يلقيه ويضلل به الناس، ولا يهتم حتى بالتحضير لخطبة الجمعة! فترى كثيراً مِنَ الخطباء مَنْ يقول: أنا أحضر الخطبة قبل وقت إلقائها بلحظات، ومنهم من يقول: أنا أحضر خطبة الجمعة وأنا صاعد على المنبر، ومنهم من يقول: أنا أقوم بكتابة الخطبة من الكتب وأقرءوها على الناس ولا أكلف نفسي بحفظها!

فهذا الخطيب بخطبته تلك إنما يسدُّ فراغاً فقط! وهو لا يهتم بالناس فهموا أم لم يفهموا، ولذلك ترى كثيراً من الخطباء قد انفض الناس من حولهم، والسبب أنهم لم يبذلوا جهداً في تحضير خطبهم، ولم يدعو الله أن يعينهم، والكلام إذا خرج من قلب المتكلّم وصل إلى قلوب الناس، وإذا خرج الكلام من الورق وصل إلى الأذن اليمنى وخرج من الأذن اليسرى دون أن ينتفع الناس به.

***إخوة الإسلام!*** هؤلاء هم خطباء السوء فكونوا منهم على حذر؛ فهم دعاة على أبواب جهنم، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا من أجابهم قذفوه في النار، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**»،

قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنّون بغير سنّتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: «**نعم، هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»(١). وهذا هو الشاهد، فإياك إياك أن تنخدع بخطباء السوء ودعاة الحزبية البغيضة.

***عباد الله!*** وهذه رسالة نوجهها إلى الخطباء فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

نقول: يا معشر الخطباء! ابتغوا بعملكم وجه الله، وابتغوا بخطبتكم وجه الله، فالإخلاص هو سر النجاح.

يا معشر الخطباء! خاطبوا الناس على قدر عقولهم.

يا معشر الخطباء! اهتموا بالعقيدة والتوحيد أولاً كما فعل الرسل فما من نبي ولا رسول بعث في قومه إلا وبدأ معهم بـ(لا إله إلا الله). قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والرسول ﷺ لمّا أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**»(٢) الحديث؛ فأمره أن يدعو الناس أولاً إلى (لا إله إلا الله).

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١١)، م: (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٨٩).

يا معشر الخطباء! يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا، واتفقوا واتحدوا واعتصموا ولا تفرقوا ولا تختلفوا، فعندما أرسل رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[١].

يا معشر الدعاة! خذوا بهذه الوصية وبينوا للناس يُسْرَ وسهولةَ هذا الدين، وأن الله ما جعل علينا في الدين من حرج، فالدين الإسلامي دين يسر لا عسر فيه، قد فُرض علينا فيه خمس صلوات وطُلِبَ منك أيها المسلم أن تصلي قائماً، فإن عجزت فصلِّ قاعداً، فإن عجزت فصل على جنب. وفرض عليك الزكاة إذا بلغ مالك النصاب، وحال عليه الحول، وفرض عليك الحج مرة واحدة في العمر إن استطعت إلى ذلك سبيلاً. وفرض عليك الصيام شهراً واحدًا في السنة فإن عجزت عن الصيام أفطرت، ثم صمت قضاءً بعد ذلك، وأمرك بالوضوء للصلاة، فإن عجزت فلك أن تتيمّم، فدينك كلّه يسر وسهولة، فبشروا ولا تنفروا!

بشروا الناس بجنة عالية، بشروا الأمة بالنصر والتمكين، بشروا العصاة، بأن الله يقبل توبة مَنْ تاب وأن الله غفور رحيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]. بشروا الناس بأن الإسلام يجبُّ ما قبله، فالإنسان مهما عمل ومهما كفر إذا تاب إلى الله، ودخل في الإسلام تاب الله عليه وبدل سيئاته حسنات، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، بشروا الأمة بالنصر والتمكين، فإن رسول الله ﷺ قال لخباب: «**والله ليتمنَّ هذا الأمر** ـ أي: هذا الدين ـ **حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٧٣)، م: (١٧٣٣).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٤١٦)

بشروا الناس بأن المستقبل للإسلام، ولقد أخبرنا ﷺ بذلك فقال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلّاً يذل به الكفر**»[(١)].

وقوله ﷺ السابق: «**تطاوعا ولا تختلفا**»، أي: اعتصموا واتحدوا ولا تختلفوا ولا تفترقوا، فالخير كل الخير في الاتحاد، والشر كل الشر في الاختلاف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

فيا خطباء الأمة الإسلامية! بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسروا، وإيَّاكم أن تضللوا الناس، واعلموا يا خطباء المسلمين بأن الملائكة يستمعون لكم وأنتم تخطبون الجمعة وأنتم تدرسون الناس، ويسجلون ذلك إما لكم أو عليكم في صحف! نعم، فلقد أحصاه الله ونسوه، والله سائلكم يوم القيامة عما تقولون، فاتقوا الله في الناس، وادعوهم إلى الله وإلى طريق الجنة ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



(١) **صحيح**: حم: (١٠٣/٤)، ك: (٤٧٧/٤)، طب: (٥٨/٢)، هق: (١٨١/٩)، [«س.ص» (٣)].

٢٠٦

# المجرم العشرون ـ العاصي

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نحدّثكم عن المجرم العشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «العاصي».**

***أتعرفونه يا عباد الله؟*** إنه كل من يعصي الله ورسوله ويتعدى حدوده! إنه كل من يبارز ربّه بالمعاصي ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً! إنه من إذا أمره الله لم يأتمر، وإذا نهاه لم ينته!

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، لأنه باقترافه للمعاصي سلك طريق النار وأبى الجنة، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ ـ أي: ومن جاء بالمعصية ـ ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة: ٨١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: ٢٧]. ويوم القيامة إذا وقف العاصي بين يدي ربه ليس بينه وبين ربّه ترجمان ينادي ربنا جل وعلا على الملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠﴾ [الحاقة: ٣٠].

***ابن آدم!***

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُرْيانا ... مستوحِشَاً قَلِقَ الإحشاءِ حَيْرَانا
والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومنْ حَنقٍ ... على العصاةِ وربُ العرشِ غضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عبدي على مَهَلِ ... فهلْ ترىٰ فيهِ حَرْفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تنكرْ قراءته ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عَصَى للنارِ عطشانا
المجرمون غدا في النار يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دارِ الخلدِ سكانا

يوم القيامة ينادي الجليل: خذوه يا ملائكتي، وامضوا بعبد عصى للنار عطشاناً، أتعرفون لم يا عباد الله؟ لأنه سلك طريق النار في الدنيا باقترافه للمعاصي، وكلنا يعلم أن اقتراف المعاصي طريق إلى النار، وأن الأعمال الصالحة طريق إلى الجنة، فالعاصي أبى الجنة، ورفض الجنة وسلك طريق النار بإرادته وعلمه وهو يعلم أن هذا طريق يوصل إلى النار، ولذلك يقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**[(١)]. والعاصي قد أبى الجنة، وسلك بمعصيته طريق النار ولذلك عندما يدخل النار يعترف بذنبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١].

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، لأن المعاصي تورث الذل، والعاصي ذليل وإن ركب أفخم السيارات، العاصي ذليل وإن سكن في أعلى القصور، العاصي ذليل حقير وإن ملك الدنيا وما فيها، لأن العاصي قد ضرب الله عليه الذلة والمسكنة والإهانة، فترى العصاة وإن طاروا في الهواء ترفرف على رؤوسهم رايات الذل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]،

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

ورسول الله ﷺ يقول محذراً من المعاصي: «**إذا تبايعتم بالعينة** ـ وهي نوع من أنواع الربا ـ **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلّاً، لا ينزعه** ـ عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١). متى ينزل الذل، ويعم على رؤوس الخلق؟ إذا اقترفوا المعاصي.

- أما سمعتم عَنْ رجل أذل نفسه من أجل سيجارة واحدة، صار ذليلاً حقيراً وهو يطلب السيجارة من رجل آخر وربما كان عدوّاً له!

وآخر قد أذلّ نفسه من أجل أن يزني بامرأة حقيرة! ورجل آخر أذل نفسه ومد يده ليأخذ رشوة! وهكذا فالعاصي ذليل حقير.

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، لأنه باقترافه للمعاصي استحقّ أن يعيش في حياة الضنك والفقر والأمراض، ضنك في المعيشة، ذل وهوان، عسر، فقر، أمراض لم نسمع بها من قبل، والسبب: المعاصي. يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فربط الله ﷻ هنا بين المعاصي وبين معيشة الضنك، فمن كان منكم يعيش عيشة الضنك فليعلم أن ذلك بسبب اقترافه للمعاصي، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]، وربط الله ﷻ أيضاً بين الحياة الطيبة السعيدة والأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول ﷺ محذراً من المعاصي: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:**

**١ ـ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.**

**٢ ـ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم.**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٣١٦/٥)، حل: (٢٠٩/٥)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

**٣ ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا.**

**٤ ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.**

**٥ ـ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»**(١).

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، ومجرم كذلك في حق أمته؛ فارتكاب المعاصي سببٌ للهلاك على مستوى الأفراد والأمم، فالمعاصي سبب للهلاك، وقد قص الله علينا في كتابه أخبار العصاة وكيف أهلكهم لنعتبر يا أمة الإسلام.

● فهذا قارون كان من قوم موسى: فعصى وتكبّر وتجبّر فهلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ـ أي: تجاوز الحد، واقترف المعاصي، فنصحه قومه قائلين: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]، لقد عصى، ونصحه قومه فلم ينتصح، وأصر على معصيته وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾، فكانت النتيجة يا عباد الله، الهلاك: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القصص: ٧٨، ٨١]، فاعتبروا يا أصحاب الأموال!

● وهذا فرعون: عصى فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرِي﴾ فقتل الأطفال واستحيى النساء، وبسبب هذه المعاصي أهلكه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، حل: (٨/ ٣٣٣)، هب: (٣/ ١٩٦)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

إِلَهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، فتأمّلوا يا عباد الله! كيف أغرقه الله ورد عليه توبته ولم يقبل منه إيمانه لأنه آمن عندما رأى العذاب، فقال الله تعالى له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]، فاعتبروا يا أصحاب المناصب!

• هؤلاء قوم نوح عصوا فأهلكهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥]، فبالمعاصي أهلك الله قوم نوح جميعاً، أغرق الله كل من على الأرض لأنهم كذبوا الرسل، ولقد قص الله علينا في القرآن أخبار الأمم التي أهلكها، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]. لنعلم أن المعاصي سبب للهلاك، أما تسمعون وتقرءون عن أمم هلكت، ودول سقطت، وقرى بأكملها بلعتها الأرض تحذيراً وتذكيراً من الله لكم؟! يا معشر العصاة، أمَا تسمعون بالزلازل هنا وهناك؟! والفيضانات والأمراض هنا وهناك؟! ومع ذلك ـ وللأسف الشديد ـ ترانا وقد أعرضنا وعصينا وكأننا لم نسمع ولم نر، والله أمرنا أن نعتبر بالأمم التي عصت فأُهلكت.

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، مجرم في حق أمته، لأن المعاصي سبب لزوال النعم، فكم من نعمة زالت بسبب المعاصي.

**وبالمثال يتضح البيان:**

يضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة، تتقلّب في نعم كثيرة ولما عصت أهلكها الله، وأزال النعمة من بين يدها، وفي هذا

تذكير وتحذير لنا من رب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]، كانت في أمن وأمان، ورزق من كل مكان، لكنها قابلت هذه النعم بالكفران، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، وإن ربك لبالمرصاد! فهو سبحانه يعطي النعم ويطلب منا الشكر لتبقى النِّعم وتزيد فإن عصينا زالت، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ كيف قابلوا هذه النعم؟ ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧]. كانوا في نعمة لكنهم لمّا أعرضوا زالت عنهم النعمة.

انظروا إلى أحوالنا يا أمة الإسلام، كم من الناس في هذا الأسبوع أعرضوا عن صلاة المغرب والعشاء ليتابعوا مباريات كرة القدم؟! كم طالبٍ من طلاب العلم غاب عن الدرس ليتابع مباريات كرة القدم؟! كم من الناس من تخلف عن صلاة الجماعة ليتابع مباريات كرة القدم؟! إلى هذا الحد وصلنا؟! إلى هذا المستوى نزلنا؟!

أنسيتم أن الله للعصاة بالمرصاد؟! أنسيتم أنكم جئتم إلى هذه الدنيا لعبادة الله؟! لتقيموا دين الله، لتدعوا الناس إلى الجنة، وتحذروا الناس من النار، كم من الألوف بل أقول من الملايين في العالم قد ضيعوا الصلاة ليتابعوا مباريات كرة القدم؟!!

يا أيها المضيع لصلاة المغرب والعشاء، يا من ذهبت لتنظر إلى مباريات كرة القدم، أما خشيت أن يسلب الله منك نعمة البصر فلا تنظر بعدها إلى شيء أبداً؟! أما تخشى أن تبتلى بمرض فلا تستطيع بسببه أن تأتي إلى المسجد مرة أخرى؟! احذر، فإن النعم تزول بالمعاصي.

ويضرب الله لنا مثلاً آخر، وهو صاحب الجنتين ـ المذكور في سورة الكهف ـ فلقد كان في نعمة لكنه دخل جنته وهو ظالم لنفسه، فقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]، فلما عصى أزال الله النعمة من يده، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢]، فاعتبروا يا أصحاب المزارع والبساتين.

ومثالٌ آخر: أصحاب الجنة الذين أصروا من الليل وأقسموا أن يحرموا الفقراء والمساكين، فأرسل الله على جنتهم بالليل طائفاً فجعلها كالصريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠].

فيا صاحب البستان، ويا صاحب المصنع والمال، ويا أصحاب النعم احذروا غضب الله.

***ابن آدم!***

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَهَا ... فإنَّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ
وحافظْ عليها بشُكرِ الإلهِ ... فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

***عباد الله!*** العاصي مجرم في حق نفسه، مجرم في حق أولاده، مجرم في حق أمته، والمعاصي جريمة لأنها سبب لكل شر، فكم من أمة هلكت؟ وكم من دولة سقطت؟ وكم من نعمة سلبت؟ وكم من نقمة حلت؟ بسبب الذنوب والمعاصي، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣]. المعاصي مؤشر يُنْذِر بالشر، فإذا انتشرت المعاصي في المجتمع وزادت فالهلاك الهلاك.

***عباد الله!*** **والمعاصي قسمان:**

**١ ـ كبائر، ٢ ـ وصغائر.**

والمجرمون يوم القيامة تراهم قد ضجوا من الصغائر قبل الكبائر فاعتبروا يا مَنْ قد استهنتم بالصغيرة! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، أحصاه الله ونسوه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٣]. وهناك من الناس من يستهين بالمعاصي، ولذلك تراهم وقد اقترفوها وتجرَّءوا عليها، ومن المعاصي التي استهان بها كثير من الناس:

١ ـ التدخين وهو حرام، ولكن كم من المسلمين مَنْ يدخن؟ والمدخن يضر بصحته، ويضر بالناس ويضرّ بماله وبزوجته وبأولاده وبالأمة الإسلامية؟ واحسبوا كم عدد المسلمين المدخنين وكم هي قيمة الأموال التي تنفق على التدخين في اليوم الواحد! حتى طلاب المدارس الابتدائية فيهم من يدخن لأن الآباء وأولياء الأمور تركوا الحبل لهم على الغارب.

٢ ـ سفر المرأة وحدها بدون محرم، وهذا ممّا استهان به كثير من الناس، وهو حرام، فلا يجوز للمرأة أن تسافر وحدها بدون محرم ولعلّكم تعلمون أن سفر المرأة بدون محرم فيه ما فيه!.

٣ ـ الخلوة بالمرأة الأجنبية، فإن الرجل إذا خلا بالمرأة كان الشيطان ثالثهما، وهذا من المحرمات التي استهان بها كثير من الناس.

٤ ـ مصافحة المرأة الأجنبية: وكم من الموظفين مَنْ يصافح زميلته كل يوم مع أن الرسول ﷺ يقول: «**لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»(١)، وهذا أمرٌ قد استهان به كثيرٌ من الناس.

---

(١) **صحيح**: طب: (٢٠/ ٢١٢)، [«س.ص» (٢٢٦)].

٥ ـ التبرّج الذي عمّ وطم وانتشر في بلاد المسلمين حتى إنك لتجد الرجل يأتي إلى المسجد وزوجته أو ابنته المتبرّجة هي التي توصله إلى المسجد بسيارتها! ثم يخرج بعد الصلاة أو الدرس وقد سمع الكلام عن التبرج فيرى ابنته وزوجته المتبرجة وكأنها لم تفعل شيئاً، أين الغيرة والكرامة والشرف؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ومع ذلك استهان الناس بالتبرج.

٦ ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين، وهذا حرام قد استهان به كثير من الناس، فالرجل المريض إذا سمع عن كاهن أو عراف يعالج المرض هرول إليه ونسي أن من ذهب إلى الكاهن والعراف لا تقبل صلاته أربعين يوماً، وأما إذا صدقه بما يقول، فهو بذلك يكون قد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ.

٧ ـ الزنا والربا الذي دخل البيوت، ولقد استهان الناس بالربا، وما أعلن الله الحرب إلا على أكلة الربا، واستهان الناس بالزنا فاقترفوه، وقد قال ﷺ: «**إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

٨ ـ الحلف بغير الله: وكم من الناس من يحلف بغير الله؟ ورسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(٢)، ويقول ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(٣).

وبعد فهذه بعض الذنوب والمعاصي التي استهان بها كثير من الناس، فلنجتنب كل المعاصي، فهي سبب لكل شر، ووالله ما زالت النعم من بين أيدينا إلا بسبب المعاصي، وما حل بالمسلمين ما حل إلا بسبب المعاصي، والله ﷻ له سنن لا تتبدل ولا تتغير، ومن سنن الله ﷻ قوله

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٧٨)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٢) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب: (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، هق: (١٠/ ٢٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٢)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦٢٧٠)، م: (١٦٤٦).

سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]، فالذي يشعر بالضنك في حياته الزوجية، والذي يشعر بالفقر والعسر في حياته، والذي ابتلي بالأمراض الخبيثة فليراجعْ نفسَه مع الله، ليعلم أنها المعاصي، ثم ليُحْدِثْ توبة لله ﷻ قبل أن يدركه الموت فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



٢٠٧

# المجرم الحادي والعشرون ـ الزاني

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نحدّثكم عن المجرم الحادي والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الزاني»**.

***أتعرفونه يا عباد الله؟*** إنه من يعتدي على أعراض الناس، إنه من يضع شهوته في الحرام، إنه مَنْ يتسبب في وجود طفلٍ لا يُعْرف له أبٌ ولا أم، إنه من يُدْخِلُ في أنساب الناس من ليس منهم، إنه من يتسبب في انتشار الأمراض الخبيثة بين الناس.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: رسالة إلى الزناة فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الثاني**: كيف يتعامل الإسلام مع الزناة.

**العنصر الثالث**: نضع النقاط على الحروف حتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين.

**العنصر الأول**: هذه رسالة نوجهها إلى الزناة فيها تحذير وتذكير.

**١ ـ أيها الزاني**: أما علمت أن الاعتداء على أعراض المسلمين كالاعتداء على أموالهم بالسرقة وعلى أنفسهم بالقتل، لأن الرسول ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»[(١)]، ويقول ﷺ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

في خطبته في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[(١)].

**٢ ـ أيها الزاني**: أما علمت أن الله ﷻ قد حرم الزنا وحرم حتى الاقتراب من الزنا فهو حرام إلى يوم القيامة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣]، وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**»، **قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة؟ فقال** ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»[(٢)].

**٣ ـ أيها الزاني**: أما علمت أن الله أمرنا بحفظ الفرج؟! فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»[(٤)].

**٤ ـ أيها الزاني**: أما علمت أن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك والقتل؟ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك**»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩).
(٢) **صحيح**: حم: (٦/ ٨)، خد: (١٠٣)، طب: (٢٠/ ٢٥٦)، طس: (٦/ ٢٥٤)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص.ج» (٥٠٤٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).
(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/ ٣٩٨)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].
(٥) **صحيح**: خ: (٤٤٨٣)، م: (٨٦).

٥ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزاني وهو يرتكب هذه الجريمة يخرج منه الإيمان، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(١)، وقال ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه**»(٢)، وإن كنا لا نكفر الزاني لأننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل بذنب ما لم يستحله ولكننا نقول إنه بارتكابه للزنا أصبح فاسقاً وعاصياً لله.

٦ ـ **أيها الزاني**: إن كنت لا تعتقد أن الله يراك فقد كفرت، وإن كنت تعتقد أن الله يراك وأنت تزني فلم جعلت الله أهون الناظرين إليك؟ أيها الزاني أتزني بامرأة وزوجها ينظر إليك؟ أيها الزاني أتزني بامرأة وأبوها ينظر إليك؟ سيكون الجواب من الزاني: لا، إذاً فكيف تزني والله ﷻ ينظر إليك؟

٧ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزنا سبب لهدم بيوت، وسبب لخراب الديار، وسبب لنزول العذاب؟ فكم من البيوت دمرت بسبب الزنا؟ وكم من عذاب نزل بالأمة بسبب الزنا: زلازل، فيضانات، تدمير، فقر، ضنك، أمراض وما يعلم جنود ربك إلا هو، كل ذلك بسبب الزنا. يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٣).

٨ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزنا سبب لانتشار الأمراض الخبيثة كالسيلان، والإيدز، والسل وغير ذلك من الأمراض الفتاكة، يقول ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»(٤)، فإذا ظهرت

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٢٥٦)، م: (٥٧).

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٩٠). ت: (٢٦٢٥)، ك: (١/ ٧٢)، هب: (٤/ ٣٥١)، [«ص.ج» (٥٨٦)].

(٣) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٧٨)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٤) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، حل: (٨/ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

الفاحشة وأعلنا بها انتشرت فينا الأمراض، عبادَ الله! ها قد انتشرت الأمراض في الأمة والسبب وراء ذلك هو انتشار الزنا، فالزاني عندما يزني بامرأة تحمل مرض الإيدز يقوم هو بدوره بنقله إلى زوجته، أو يقوم بنقله إلى امرأة أخرى قد يزني بها، وهذه المرأة التي أصيبت بهذا المرض إذا زنا بها رجل آخر انتقل إليه المرض، وهكذا ففي كل لحظة تنتشر الأمراض بين الناس بسبب الزنا.

٩ ـ **أيها الزاني**: أترضى الزنا لأمك؟ أترضى الزنا لأختك؟ أترضاه لزوجتك وابنتك؟ الجواب: لا، إذن فاعلم أيها الزاني أن الزنا دَين فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم، يقول الامام الشافعي رحمه الله:

عِفُّوا تعفُ نساؤكُمْ في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليقُ بمُسْلِم
مَنْ يَزْني في بيتٍ بألفِ درهمٍ ... في بيته يُزْنَى بغير الدرهمِ
من يَزنِ يُزنَ به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهمِ
إن الزنا دَينٌ فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتِكَ فاعلم
يا هاتكاً سِتر الرجال وقاطعاً ... سُبُلَ المودةِ عشتَ غيرَ مُكرَّمِ
لو كنتَ حراً من سلالةِ طاهرٍ ... ما كنتَ هتاكاً لحرمةِ مسلم

١٠ ـ **أيها الزاني!** أنسيت الموت؟ تخيّل أن الموت قد يختطفك وأنت تزني، واعلم أن رسول اللهﷺ يقول: «**مَن مات على شيء بعثه الله عليه**»[(١)]، فماذا تفعل يوم القيامة إذا بعثت وأنت تزني، في يومٍ تبلى فيه السرائر؟!

١١ ـ **أيها الزاني!** أنسيت القبر؟ أنسيت التراب؟ أنسيت الظلمة؟ أنسيت الوحشة؟ أنسيت الدود؟ أنسيت الوقوف بين يدي الجبار يوم القيامة؟ نذكرك والذكرى تنفع المؤمنين.

١٢ ـ **أيها الزاني!** ثم بعد ذلك نقول لك: إن التوبة تَجُبُ ما قبلها، والله ﷻ يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّي

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٣١٤)، ك: (٤/ ٣٤٨)، ع: (٤/ ١٨٤)، [«ص.ج» (٦٥٤٣)].

لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

**العنصر الثاني**: كيف يتعامل الإسلام مع الزناة؟ ـ والعاقل من اتعظ بغيره ـ إن الإسلام قد شدّد على الزناة، وضيّق عليهم وضرب بيد من حديد عليهم، يظهر لنا ذلك من الحد الذي أوجبه الله ﷻ على الزناة في الدنيا، ومن العذاب الذي أعدّهُ سبحانه وتعالى لهم في القبر، ومن العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة، ونبيّن ذلك ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**فحدّ الزاني في الدنيا**: كما يقول الله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]، هذا إذا كان الزاني بكراً ـ أي: لم يسبق له الزواج ـ فإنّه يُجلد مائة جلدة ويغرب عاماً عن بلده.

• أما إن كان محصناً ـ أي: سبق له الزواج ـ فحدّه الرجم حتى الموت، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: (أن رجلاً من أَسْلَم أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله ﷺ فرُجم وكان قد أُحصن)(١).

• وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته: «إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، والله ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البيِّنة أو كان

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٩).

الحبَل أو الاعتراف»[(١)].

نعم، فآية الرجم نزلت على رسول الله ثم نسخت الآية تلاوة وبقي حكمها. فمَن زنا وهو محصن ـ أي: سبق له الزواج ـ فحدّه الرجم حتى الموت، والآية هي: «**والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة**»[(٢)].

**فتأمّلوا عباد الله!** هذا التغليظ على الزناة، وهذا التشهير بهم، وكيف يأمر ربنا جل وعلا المسلمين ألا تأخذهم رأفة بالزناة في الدنيا.

**أما عذابهم في القبر**: فقد جاء في حديث الرؤيا الطويل، أن رسول الله ﷺ يقول: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ـ قال: فأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصوات ـ قال: فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوضَوا** ـ أي: صاحوا من شدة حرِّه ـ **قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق**... .... ـ ثم في النهاية أخبره الملكان الخبر فقالا له: ... ـ **وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني**»[(٣)].

**أما عذابهم يوم القيامة**: فيقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليمٌ: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٤)]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال عطاء رحمه الله في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: (أشد تلك الأبواب غماً

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٤٢)، م: (١٦٩١).
(٢) **صحيح**: [«س.ص» (٢٩١٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠).
(٤) **صحيح**: م: (١٠٧).

وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة)[(١)].

***عباد الله!*** إن الزاني مجرم في حقِّ نفسه، ومجرم في حق أهله، ومجرم في حق مجتمعه، والزنا جريمة نكراء لأنها تطأطِئُ الرؤوس العالية، وتسود الوجوه البيضاء، وتخرس الألسنة البليغة، وإذا وقع الزنا في بيت دمره وأفقره، فالزاني جرثومة فتّاكة في مجتمع المسلمين.

**العنصر الثالث**: نضع النقاط على الحروف حتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين.

***عباد الله!*** بعد هذا اعلموا أن الزنا ينتشر بوجود التبرج والاختلاط بين الرجال والنساء، وبإرخاء الحبل على الغارب، وبموت الغيرة عند الرجال.

ولذلك حرم الإسلام:

**أولاً**: التبرج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، لأن التبرج بمثابة الشرارة الأولى للزنا، فالمرأة بالنسبة للرجل فتنة، وإذا تبرجت وتزينت وتجملت وأظهرت مفاتنها ثم خرجت إلى الشارع ورآها هذا الشاب الذي لا دين له اشتهاها، وإذا اشتهاها رغب فيها فأخذ يخطو خطواتٍ تقربه من الزنا.

**ثانياً**: الاختلاط المشين بين الرجال والنساء الأجانب، كما نرى ونسمع في هذا الزمان، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء!**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت!**»[(٢)]، أي: إن الدمار يأتي من قريب الزوج إذا دخل على المرأة في غياب زوجها.

**ثالثاً**: خروج المرأة من بيتها متعطرة وهذه شرارة للزنا، ولذلك حرم

---

(١) حل: (٥/١٩٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

الإسلام على المرأة أن تخرج إلى الشارع متعطرة، فقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية، وكلُّ عين زانية**»(١).

**رابعاً**: الخلوة بالمرأة، وهذه أيضاً شرارة وخطوة إلى الزنا. ولذلك حرم الإسلام على الرجل أن يخلو بامرأة إلا مع ذي محرم، فقال ﷺ: «**لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم**»(٢)، وقال ﷺ: «... **ألا لا يخلون رجل بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان**»(٣).

***إخوة الإسلام!*** اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في بناتكم، اتقوا الله في أعراضكم، إذا غابت ابنتك عن البيت فأسأل عنها: أين تذهب؟ إذا غابت زوجتك عن البيت فاعرف أين ذهبت، لا تُخَوِّنْ ولا تُرخي الحبل على الغارب، وخذوا حذركم لأن الزنا إذا وقع في بيت الإنسان فإنه مصابٌ صعب أليم، وإن الإنسان إذا أصيب بهلاك في ماله تحمل ذلك وصبر، وإذا أصيب بموت وهلاك في أهل بيته تحمل وصبر، ولكن إذا ضرب في عرضه لم يتحمل ذلك، فالعرض غالٍ فإياك إياك أن تفرط في العرض.

أصونُ عرضي بمالي لا أُدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المالِ

اللهم قد بلَّغت اللَّهمّ فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللّهمّ قد بلغت اللهمّ فاشهد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

* * *

(١) **حسن**: د: (٤١٧٣)، ت: (٢٧٨٦)، ن: (٥١٢٦)، حم: (٤/ ٤١٣)، خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، ك: (٢/ ٤٣٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٥)، م: (١٣٤١).

(٣) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/ ٢٦)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/ ١٩٧)، لس: (٣١)، طس: (٣/ ٢٠٤)، طص: (١/ ١٥٨)، [«ص.ج» (٢٥٤٦)].

٢٠٨

# المجرم الثاني والعشرون ـ مريد الدنيا

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين من أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثاني والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «مريد الدنيا»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي لا يريد من حياته إلا الدنيا! إنه الذي لا همَّ له في هذه الدنيا إلا الدنيا، فمن أجل الدنيا يضيع الصلاة، ومن أجل الدنيا يمنع الزكاة، ومن أجل الدنيا يقطع أرحامه، ومن أجل الدنيا يستبيح أن يظلم غيره لكي يصل إلى ما يريد.

**مريد الدنيا**: يعطي من أجل الدنيا، ويمنع من أجلها، وهو يحب للدنيا ويبغض للدنيا.

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه.

**العنصر الثاني**: هذه هي حقيقةُ الدنيا فاحذروها.

**العنصر الثالث**: رسول الله ﷺ يربي أصحابه على الزهد في هذه الدنيا.

**العنصر الأول**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، وذلك:

**أولاً**: لأنه يعرِّض نفسه للهلاك والدمار، فكم من محب للدنيا هلك، وكم من حريص على الدنيا هلك! يقول ﷺ يوماً لأصحابه: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بسطت**

**على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»**[١]، ويقول ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[٢].

**ثانياً**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للفتن والبلايا، قال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»[٣]، وقد افتتن بالمال الكثير من الناس، فأصبحوا ولا هم لهم إلا أن يجمعوه من حله أو من غير حلِّه، فجمعوه من الحلال والحرام، والرسول ﷺ يقول: «**إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[٤].

● وهذا قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، أتدرون لم بغى عليهم؟ لأنه امتلك الكثير من المال، فالمال سبب للبغي والعدوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧]، فلما بغى قارون على قومه بماله أهلكهُ الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: ٧٦]، فكانت النتيجة كما قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القصص: ٨١].

● وهذا العالم الذي أعطاه الله علماً، فركن بعلمه إلى الدنيا، واشترى الدنيا بعلمه كانت نهايته إلى هلاك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٧٦)، حم: (٣/٤٥٦)، مي: (٢٧٣٠)، حب: (٣٢٢٨)، ش: (٧/٨٤)، هب: (٧/٢٦٧)، [«ص.ج» (٥٦٢٠)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/٣٥٤)، طب: (١٩/١٧٩)، طس: (٣/٣٢٥)، هب: (٧/٢٨٠)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٤) **صحيح**: خ: (١٣٩٦)، م: (١٠٥٢).

ولذلك يقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا**»(١)؛ فمريد الدنيا قد افتتن بالمال ولا هم له إلا المال والمنصب، حتى ولو كان هذا المال من حرام فلا بأس عنده، حتى لو وصل إلى المنصب على حساب الآخرين وعلى ظلم الضعفاء فلا بأس، المهم أن يصل إلى الدنيا، فهو من أجل الدينار قد يبيع دينه، فتعس عبدُ الدينار.

**ثالثاً**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للذل، فإنه لمّا كان يريد الدنيا ولا هم له إلا الدنيا فإنك تراه يتذلل ليتحصل على المال، وتراه يتذلل لمن فوقه ليصل بذلك إلى منصب أعلى، والرسول ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** ـ وهذه كناية عن حب الدنيا ـ **وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلّاً لا ينزعه** ـ عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢). فمن ركن إلى هذه الدنيا ذل، وانظروا عباد الله بعين البصيرة لكل من لا هم له إلا الدنيا، بينما الآخرة لا تخطر له على بال لترونه ذليلاً دائماً، ويقول ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط**»(٣)، وأي ذل بعد أن يصبح الإنسان عبداً للدرهم والدينار؟! نعم، فالدينار هو إلهه؛ ولا هم له إلا الدينار.

**رابعاً**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لفقرٍ لا غنى بعده، فإن الأغنياء الذين لا هم لهم إلا الدنيا، ولا هم لهم إلا أن يجمعوا المال قد نسوا الآخرة وإنك لترى الفقر بين أعينهم، يقول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته**

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨)

(٢) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، ك: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٧٣١).

**الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»**(١). يا عبد الله، إن رزقك قد قُدِّر لك في هذه الدنيا وهو يطاردك كما يطاردك أجلك، واللهِ لن تخرج من هذه الدنيا إلا وقد استكملت ما قدَّره الله لك. ولكن تأمّل الفرق هنا: فمَنْ لا هم له إلا الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، ومَنْ كانت الآخرة همّه أغناه،، وأظنكم تجلسون مع بعض أهل الدنيا مِنَ الذين لا يريدون إلا الدنيا وبالمقابل ضيعوا الصلاة، ومنعوا الزكاة، وأكلوا الربا، وعصوا الله بأموالهم، فلعلَّكم تجلسون معهم وتسمعون كلامهم، ووالله إنهم ليشتكون الفقر دائماً، لم؟ لأن الله جعل فقرهم بَيْن أَعينهم فمهما ملك أحدهم فهو فقير في الحقيقة لأن الغنى غنى النفس، ولقد فرق الله شمله أيضاً، أي: شتته في البلاد، فتراه يسافر شرقاً وغرباً فإذا رجع بات ليلة واحدة مع أهله، ثم سافر إلى بلد أخرى، ثم يرجع ويسافر إلى أخرى في الشهر كلّه لا يجلس مع أهله إلا يوماً أو يومين، فهل هذه حياة سعيدة؟! إن هذا لهو العذاب والضلال المبين! أي معيشة هذه؟! ومع ذلك يقول ﷺ «ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له».

**خامساً**: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لعذاب النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ـ أي: الدنيا ـ ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٦٥)، هـ: (٣١٠٥)، طب: (٥/ ١٤٣)، هب: (٧/ ٢٨٨)، [«ص.غ.هـ» (٣١٦٩)].

وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

**العنصر الثاني**: هذه هي حقيقة الدنيا فاحذروها.

***عباد الله!*** الله ﷻ هو الذي خلق هذه الدنيا فهو سبحانه بعلمه بها يصفها لنا، حتى لا نغتر بها ونكون منها على حذر، فاسمعوا وعوا إلى هذا الوصف لتكونوا من الدنيا على حذر، يقول الله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]، ويقول الله ﷻ في موضع آخر: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

هذه هي الدنيا لعب ولهو، ومع ذلك كم من الناس انخدع بها فضيع الصلاة، ومنع الزكاة، وقتل أخاه، وظلم وجار، واعتدى على جاره؟!، اذهبوا إلى السجون واسألوا المسجونين هناك عن سبب وجودهم في هذا المكان، لتجدوا أن الدنيا هي السبب، والمال هو السبب، ولو أرادوا الآخرة لما كانوا فيما هم فيه. الدنيا حقيرة غرورة ومع ذلك انخدعنا بها وعشنا من أجلها، فتارك الصلاة إذا سأل نفسه بصدق وأمانة لم ترك الصلاة؟ فسيجد أن السبب هو: الدنيا، ومانع الزكاة إذا سأل نفسه بصدق وأمانة لم منع الزكاة؟ فسيجد أن السبب هو: الدنيا.

والذي أعطى فلاناً من أولاده وحرم فلاناً، ـ أي: جار في وصيته ـ فعل ذلك لأجل الدنيا.

والأخ الكبير حرم إخوته الصغار من الميراث، لأجل الدنيا.

امرأة طُلّقت وحُرمت أولادها، والسبب: أنَّ زوجها المحب للدنيا قد طلقها لأنها لم تستطع الحصول على ميراثها مِنْ أبيها الظالم الذي حرمها مِنْ حقها في الميراث بسبب حبه هو الآخر للدنيا.. فكانت هي الضحية!!

إنها الدنيا الفانية ومع ذلك انخدعنا بها، والله عز وجل حذّر عباده من الدنيا ومن الافتتان بها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التكاثر: ١ ـ ٤]، أي: ألهاكم التكاثر في الدنيا حتى نسيتم الموت، ورسولنا ﷺ يُمثّل لنا الدنيا يوماً محذراً أمته منها، فقد مر رسول الله ﷺ بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته، فمرَّ بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحبُ أن هذا له بدرهم؟**»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[1]. وقال ﷺ: «**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليَمِّ فلينظر بم ترجع؟**»[2]، إنها حقيرة وقليلة بالنسبة للآخرة، ويقول ﷺ: «**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت**

(١) **صحيح**: م: (٢٩٥٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٨٥٨).

**خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا ربِّ! ما مر بي بُؤس قط، ولا رأيت شدة قط»**(١)، غمسة واحدة في النار تُنسيه كل نعيم الدنيا! إنها حقيرة لا قيمة لها. ويقول ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(٢)، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله ـ تعالى ـ وما والاه وعالماً ومتعلماً**»(٣).

***فيا أمة الإسلام!*** هذه هي حقيقة الدنيا فكونوا منها على حذر.

**العنصر الثالث**: رسول الله ﷺ يربي أصحابه على الزهد في هذه الدنيا، يقول ابن عمر رضي الله عنه: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٤). والغريب لا بد أن يرجع إلى وطنه، ونحن في هذه الدنيا غرباء، فانظر إلى الغريب في بلد الغربة، وانظر إلى حال عابر السبيل وكن مثل هؤلاء.

وأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»(٥)، ويضرب ﷺ لنا مثلاً أعلى في

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٢٠)، هـ: (٤١١٠)، ك: (٤/ ٣٤١)، طب: (٦/ ١٥٧)، هب: (٧/ ٣٢٥)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«ص.ج» (٥٢٩٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، هب: (٢/ ٢٦٥)، طس: (٤/ ٢٣٦)، [«ص.غ.هـ» (٧٤)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

(٥) **صحيح**: هـ: (٤١٠٢)، ك: (٤/ ٣٤٨)، طب: (٦/ ١٩٣)، هب: (٧/ ٣٤٤)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«ص.ج» (٩٢٢)].

زهده في الدنيا، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[١].

وعن عمرو بن الحارث قال: «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عند موته ـ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»[٢]، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[٣]، فانظروا ماذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم منا بالدنيا!!

***ابن آدم!*** الدنيا غرورة وأنت راحل منها، فإذا جاءتك فاستخدمها في طاعة الله، وتقرب بها إلى الله، فأنت اليوم في دار العمل وسترحل والله عمّا قريب عنها، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله: فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله**»[٤]، فيا ابن آدم، أنت لا بدّ راحل عن هذه الدنيا فتزود منها بما ينفعك بعد الموت.

***ابن آدم!***

لا شيءَ مما تَرَى تبقَى بشاشتَهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تُغنِ عنْ هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خلدُوا
ولا سليمان إذ تجري الرياحُ له ... والأنسُ والجنُ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوض هنالك موردٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما ورِدُوا

**اللهم زهدنا في الدنيا ووسع لنا فيها، ولا تحجبها عنا فترغبنا فيها**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٧٧)، هـ: (٤١٠٩)، لس: (٢٧٧)، طس: (٩/ ١٢٢)، بز: (٤/ ٣٣٧)، هب: (٧/ ٣١١)، [«ص.ج» (٥٦٦٨)].
(٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٢). (٣) **صحيح**: خ: (٢٧٥٩).
(٤) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

٢٠٩

# المجرم الثالث والعشرون ـ الحاسد

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم الثالث والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الحاسد»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، إنه الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود! إنه عدو النعمة؛ فهو لا يحب أن يرى إنساناً في نعمة أبداً! ولذلك فهو ممقوت عند الله، ممقوت عند عباد الله، فهو يؤذي الناس بعينه القاتلة، وبقلبه الأسود، وبنفسه الخبيثة، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** الحسد في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني:** الحاسد مجرم.

**العنصر الثالث:** رسالة إلى الحاسد فيها تذكير وتحذير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الرابع:** كيف تحمي نفسك من حسد الحاسد.

**العنصر الأول: الحسد في ميزان الكتاب والسنة.**

***عباد الله!*** الحسد في ميزان الكتاب والسنة نوعان: **حسدٌ محمودٌ وحسدٌ مذمومٌ.**

فالحسد المحمود: هو حسد الغبطة، وهو أن يتمنى الإنسان أن يكون عنده مثل النعمة التي عند أخيه من غير أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه، وهذا لا بأس به، ولا يعاب صاحبه وهو قريب من المنافسة، والله ﷻ يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، والتنافس يكون على أمور الآخرة، أما في أمور الدنيا، فلا؛ لأنها حقيرة، ولذلك يقول بعض السلف: (من نافسني في الآخرة نافسته، ومن نافسني في الدنيا ألقيتها له)، ويقول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين. رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»[١].

***عباد الله!*** أما الحسد المذموم: فهو أن يتمنى الحاسد زوال النعمة من عند أخيه، وانتقالها إليه، وهذا من شر الناس، ولذلك أمرنا الله في كتابه أن نستعيذ به سبحانه وتعالى من شر هذا الإنسان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق]. فالحاسد إذا نظر بعينه القاتلة وبقلبه الأسود، وبنفسه الخبيثة إلى المحسود أصابه. كبعض الحيات إذا نظرت إلى امرأةٍ وهي حامل أسقطت ما في بطنها، وإذا نظرت إلى رجل طمست عينيه، وكذلك هذا الإنسان فهو نوعية خبيثة من شر الناس.

ولذلك يجب على المسلم أن يستعيذ بالله دائماً، وأن يلتجئ ويحتمي بحمى الله دائماً، ولذلك نقول: يا ربنا نعوذ بك من شر حاسد إذا حسد، وقد رقى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ من شر هذه النوعية من البشر، فقال عليه السلام: «**بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[٢].

***عباد الله!*** الحسد مرض خطير، وداء عضال إذا انتشر في الأمة،

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٩١)، م: (٨١٥). (٢) **صحيح**: م: (٢١٨٦).

دمرها، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الحسد يدفع صاحبه إلى أمراض كثيرة، فالحسد يدفع الحاسد إلى سوء الظن، وإلى التجسس، وإلى الغيبة، وإلى النميمة، وإلى التباغض، وإلى التدابر، وكل هذه أمراض فتاكة إذا انتشرت في الأمة ـ بسبب الحسد ـ دمرتها. ولذلك يقول ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم**»، فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال ﷺ: «**الأشر والبطر والتكاثر، والتناجش في الدنيا، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**»(١).

فبعد الحسد يأتي البغي، فالحاسد يبغي على المحسود، ثم الهرج، وهو: القتل، وقال ﷺ: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم البغضاء والحسدُ، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثَبِّتُ لكم ذلك؟ أفشوا السلام بينكم**»(٢).

***عباد الله!*** وقد حذر الرسول ﷺ من هذا الداء ومن هذا المرض ـ الحسد ـ تحذيراً شديداً، فقال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(٣).

وقال ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(٤)، وقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا**

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ١٨٥)، طس: (٩/ ٢٣)، [«س.ص» (٦٨٠)].

(٢) **حسن لغيره**: ت: (٢٥١٠)، حم: (١/ ١٦٤)، لس: (١٩٣)، ع: (٢/ ٣٢)، بز: (٦/ ١٩٢)، هب: (٥/ ٢٦٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٩٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٧١٧)، م: (٢٥٦٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧١٨)، م: (٢٥٥٩).

**يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرار، «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»**(١).

**العنصر الثاني ـ الحاسد مجرم.**

**أولاً**: إنه مجرم في حق نفسه؛ لأنه عندما حسد الآخرين عرض نفسه لغضب الله وسخطه، وعذابه، وتخلَّق بأخلاق شياطين الإنس والجن.

• فالحسد من أخلاق إبليس، وقد حسد إبليس آدم ﷺ عندما خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة، وعلَّمه الأسماء كلها.

• والحسد من أخلاق اليهود ومن شيمهم.

فقد قال الله ﷻ في سياق الحديث عن اليهود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

• والحسد من أخلاق الكفار، ومن شيمهم كذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١] أي: يحسدونك بأعينهم.

**ثانياً**: الحاسد مجرم في حق غيره؛ لأن الحسد يدفع الحاسد إلى أن ينتقم من المحسود بأي طريقة وبأي أسلوب، ولو أدى ذلك إلى أن يظلم الحاسد المحسود، ولو أدى ذلك إلى أن يقتل الحاسد المحسود، وكم من حاسد ظلم وقتل المحسود، ولقد رأينا ذلك كثيراً في هذه الحياة! ولكن تعالوا بنا ومن خلال الكتاب والسنة لنبيِّن لكم ماذا يفعل الحسد بأصحابه:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

١ ـ هذا إبليس لما حسد آدم إلى أين وصل به الحسد؟

**أولاً**: منعه من أن يستجيب لأمر الله، ولم يكتفِ بذلك بل دفعه الحسد إلى الحرص على إخراج آدم من الجنة، فوسوس له وأقسم بالله أنه له ـ أي: لآدم ـ لمن الناصحين، فنجح في خطته، وأخرج آدم من الجنة لحكمة يعلمها الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤]. ولم يكتفِ بذلك إبليس بل دفعه الحسد إلى أنه أقسم بعد ذلك معلناً للحرب على آدم وذريته إلى يوم القيامة، قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال في موضع ثالث: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، والذي دفعه إلى ذلك كلِّه إنما هو الحسد.

٢ ـ وانظروا إلى اليهود، لمّا حسدوا المسلمين على نعمة الإسلام، فإلى أيِّ شيءٍ دفعهم الحسد؟ دفعهم الحسد إلى العمل بالليل والنهار ليردوا المسلمين عن دينهم ويرجعوا كفاراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾. فالحسد جعلهم يعملون بالليل والنهار، وينفقون أموالهم، ليشغلوا شباب المسلمين عن دينهم، وليردوا المسلمين عن دينهم وأظنكم متفقون معي في أنهم نجحوا إلى حد كبير في هذه الخطة فشغلونا عن ديننا!! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]. إن نزل بالمسلمين خيرٌ أحزنهم، وإن نزل بهم شر ودمار وفرقه أفرحهم.

٣ ـ ثم انظروا إلى ابني آدم كيف دفع الحسد أحدهم إلى أن ينفّذ جريمة القتل بأخيه فباء بالإثم والخسران المبين، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣١].

٤ ـ وهؤلاء إخوة يوسف دفعهم الحسد إلى أن اجتمعوا في ليلة ظلماء، فدبروا وخططوا كي يتخلصوا من يوسف وأخيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: ٧ ـ ١٠]. ثم أخذوا بتنفيذ الخطة فذهبوا إلى أبيهم، وبأسلوب ما أخذوا يوسف معهم، ووضعوه في غيابت الجب، فما الذي دفعهم إلى كل ذلك؟ إنه الحسد.

**العنصر الثالث**: رسالة إلى الحاسد فيها تذكير وتحذير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**أولاً**: أيها الحاسد: أترضى ذلك الحسد لنفسك؟ أترضى ذلك في أولادك أو في مالك؟! سيكون الجواب منه: لا، نقول له: إذاً، فلمَ ترضاه لغيرك والرسول ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»؟[١].

**ثانياً**: أيها الحاسد: فكر معي قليلاً:

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣)، م: (٤٥).

إذا كان المحسود الذي تحسده وتتمنى أن تزول النعم مِنْ بين يديه إنسان من أهل الجنة فلم تحسده على أمور الدنيا الزائلة وهو سائر إلى جنة عرضها السموات والأرض؟!

وإذا كان من تحسده إنسان من أهل النار، فكيف تحسده على نعيم الدنيا الزائل وهو يصير إلى عذاب أليم؟!

**ثالثاً**: أيها الحاسد! أما علمت أن الذي فضل الناس بعضهم على بعض في الرزق إنما هو الله؟! أما علمت أن الذي رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً إنما هو الله؟! فكأنك بالحسد تعترض على حكمة الله، وعلى قضاء الله وقدره!

**رابعاً**: أيها الحاسد! أرح صدرك، أرح نفسك؛ فإن سلامة الصدر سبب لدخول الجنة، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال ﷺ: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»(١).

**العنصر الرابع ـ كيف تحمي نفسك من حسد الحاسد؟**

**أولاً**: بالعقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص، فالتوحيد هو الحصن الحصين الذي مَنْ دخله كان من الآمنين، ولذلك قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢). وهنا نسأل كل من علق كفاً أو نعلاً، أو عيناً أو خرزة، أو غير ذلك ـ مما نراه على السيارات، أو في

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٠).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٤)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

البيوت أو حتى في الأعناق وعلى الصدور ـ ما ظنهم برب العالمين؟ هذا الكف الذي وضعتهُ على السيارة هل يمنع عنك الحسد أيها الجاهل؟! هذه العين هل تمنع عنك الحسد أيها الجاهل؟! هذا النعل هل يمنع عنك العين أيها الجاهل؟! ومن الأسف الشديد أن ترى مَنْ يحمل شهادة كبيرة من شهادات الدنيا ويعلق على سيارته حدوة فرس أو نعلاً، أو كفاً، أو غير ذلك!! إلى هذا المستوى والانحطاط وصلنا بعقيدتنا يا أمة الإسلام؟! الحافظ هو الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

يا أيها المسلم!! العقيدةَ العقيدةَ، التوحيدَ التوحيدَ، اعلم أَنَّ النفع والضر بيد الله، والذي يكشف عنك السوء هو الله وحده.

**ثانياً**: عليكم بالتوكل على الله وحده، فمن توكل على الله فهو كافيه وهو حسبه، والله لو كادت السموات والأرض ومن فيهن بعبد متوكلٍ على الله حق توكله لنصره الله، ولكفاه من شر كل المخلوقات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢، ٣] أي: كافيه وحافظه. وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٦ ـ ٣٨].

**ثالثاً**: عليكم بالتوبة النصوح من المعاصي والذنوب، فالمعاصي والذنوب هي سبب في أن يتسلط عليك الحاسد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى للصحابة الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فاتقِ الله يا عبد الله! وتب من المعاصي استجابة لله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

**رابعاً:** عليك أن تحمي نفسك من الحاسد بذكر الله، والإكثار من الأعمال الصالحة، وعوِّذ نفسك بالله ﷻ من شياطين الإنس والجن في الصباح والمساء، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

**اللهم احفظنا من أعين الحاسدين**

❊ ❊ ❊

٢١٠

# المجرم الرابع والعشرون ـ القاتل

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الرابع والعشرين أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «القاتل»**.

**القاتل**: الذي يعتدي على دم امرىء مسلم بغير حق.

**القاتل**: مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق غيره، ومجرم في حق مجتمعه، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]. وقال ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إلٰه إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقِّه، وحسابه على الله تعالى**»[١].

• وقد فسر النبي ﷺ الحق الذي يبيح دم المسلم، فقال ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٢].
النفس بالنفس: أي: من قتل غيره متعمداً، فجزاؤه أن يُقْتل.

والثيب الزاني: أي من زنا أو زنت وكان محصناً أو كانت محصنة ـ أي: مَنْ سبق لهم الزواج ـ فإنه يرجم حتى الموت.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥٥)، م: (٢٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٨٤)، م: (١٦٧٦).

التارك لدينه المفارق للجماعة: أي: من ارتد عن دينه إلى الكفر، وفارق جماعة المسلمين فإنه يقتل، أما غير هؤلاء فلا يحل قتلهم ومَنْ قتل مؤمناً بغير حق، فهو مجرم.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** جريمة القتل في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني:** رسالة نوجهها إلى الذين يطلقون العيارات النارية في الأعراس والمناسبات؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الثالث:** سؤال وجواب.

**العنصر الأول: جريمة القتل في ميزان الكتاب والسنة.**

جاء الإسلام يحذر من القتل، ومن جريمة القتل تحذيراً شديداً سواء قتل الإنسان غيره متعمداً أو قتل غيره خطأ، أو قتل نفسه.

أما بالنسبة لقتل العمد: فقد جاءت الآيات، والأحاديث تحذر تحذيراً شديداً من أن يقتل الإنسان غيره متعمداً.

**ففي كتاب ربنا:** قال ـ تعالى ـ: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾** [النساء: ٩٣]، وقال ـ تعالى ـ: **﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾**. وأخبرنا الله تعالى في سياق الآيات أنه قتل أخاه ظلماً وبهتاناً، فقال ـ تعالى ـ: **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾** . في نهاية الآيات يقول ربنا جل وعلا: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾** [المائدة: ٢٧ ـ ٣٢]، وقال ﷺ: «**لا تقتل نفسٌ ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها**

**لأنه كان أول من سن القتل»**(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]، فهذه آيات كريمات تحذر من اقتراف جريمة القتل.

**أما في السنة**: فقد حذر النبي ﷺ من القتل المتعمد تحذيراً شديداً فقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»(٢). وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»(٣)، ويقول ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»(٤). ويقول ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(٥)، ويقول ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**، فقلت: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال ﷺ: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(٦)، ويقول ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٧)، ويقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ أي: المهلكات ـ، قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(٨)، ويقول ﷺ: «**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس..**»(٩)، ويقول ﷺ: «**كل المسلم على**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٥٧)، م: (١٦٧٧).
(٢) **صحيح لغيره**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٢)].
(٣) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٦١٩)، هب: (٤/ ٣٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٣٨)].
(٤) **صحيح لغيره**: د: (٤٢٧٠)، ن: (٣٩٨٤)، حب: (٥٩٨٠)، ك: (٤/ ٣٩١)، طب: (١٩/ ٣٦٥)، هق: (٨/ ٢١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٥)].
(٥) **صحيح**: خ: (٦٤٦٩).
(٦) **صحيح**: خ: (٣١)، م: (٢٨٨٨).
(٧) **صحيح**: خ: (١٢١)، م: (٦٥).
(٨) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).
(٩) **صحيح لغيره**: حب: (٦٥٥٩)، ك: (١/ ٥٥٢)، هق: (٤/ ٨٩)، [«ص.غ.هـ» (١٣٤١)].

**المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»**(١)، ويقول ﷺ في حجة الوداع: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»**(٢).

***أمة الإسلام!*** وبعد هذا التحذير الشديد من اقتراف جريمة القتل عمداً فقد شرع الله القصاص تحذيراً من الجريمة، وردعاً للمجرمين من أن يقترفوا هذه الجريمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

***هذا في الدنيا، أما في الآخرة:***

فقد أعدّ الله للذي يَقْتُل مؤمناً متعمداً عذاباً أليماً، يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»**(٣)، ويقول ابن عباس رضي الله عنه: سمعت نبيّكم ﷺ يقول: «**يجيء** ـ أي: المقتول يوم القيامة ـ **متعلقاً بالقاتل، تشخب أوداجه دماً، فيقول: أي رب، سل هذا فيم قتلني؟»**(٤)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]، فماذا عساك تقول لربك يا من قتلت مؤمناً متعمداً؟ ويقول الله عز وجل: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾**﴾ [النساء: ٩٣].

***عباد الله!*** أما بالنسبة لقتل الخطأ، وهو أن يقتل المرء غيره خطأ دون أن يقصد قتله كمن يضرب رجلاً بسيارته فيموت، أو أن يرمي أحدهم حجراً على طير فيسقط على طفل أو رجل فيموت، أو ـ كما تفعلون في الأعراس ـ أن يطلق أحدكم الرصاصة في الهواء فتسقط على طفل أو

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٧)، م: (١٦٧٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٦١٦٨)، م: (١٦٧٨).
(٤) **صحيح**: ن: (٣٩٩٩)، حم: (١/ ٣٦٤)، طب: (١٠/ ١٨٧)، [«ص.ن» (٣٧٣٤)].

رجل أو امرأة فتقتله، فالقاتل هنا لا يقصد القتل ولكنه قتل خطأ، فحفاظاً على أرواح المسلمين، وحفاظاً على دماء المسلمين شرع الله ﷻ على من قتل مؤمناً خطأ، فعليه الدية والكفارة.

**والدِّية**: هي حق ورثة المقتول تعطى للورثة، وإن سامحوا فلهم ذلك ولا يجوز أبداً لأحد من الناس أن يتوسط ـ فيما يسمَّى عند الناس (بالجاهة) ـ ليسقط هذه الدية أو ينقضها، فالله سائله يوم القيامة، وكم من الناس يذهب إلى أهل المقتول فيُحْرِجَهُم ويخجلهم لكي يتنازلوا عن دية من مات لهم! ولا يجوز لك ذلك، بل هم لهم أن يسامحوا بنفس طيبة إنْ أرادوا ذلك، فإن تصدقوا وسامحوا فلهم ذلك وإن طالبوا بالدية فيجب على عائلة القاتل أن يدفعوها لهم.

**أما الكفارة**: فهي حق الله ولا تسقط عن القاتل خطأً أبداً، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد ولن يجد في هذه الأيام، فعليه أن يصوم شهرين متتابعين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾**﴾ [النساء: ٩٢].

***عباد الله!*** وأما بالنسبة للذي يقتل نفسه «المنتحر»، فحفاظاً على أرواح الناس، حرم الله على الإنسان أن يقتل نفسه، فنفسك هذه أنت لا تملكها، إنما هي لله فلا يجوز لك أن تتجرأ عليها بالقتل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً، فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله** ـ تعالى ـ: **بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**»(١)،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٧٦)، م: (١١٣).

ويقول ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن تحسى سُماً فقتل نفسه فسمهُ في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»(١).

***عباد الله!*** القتل جريمة نكراء سواء قتل الإنسان غيره متعمداً، أو قتل غيره خطأ، أو قتل الإنسان نفسه.

***عباد الله!*** ولذلك نقول: هذه رسالة نوجهها للذين يُطلقون العيارات النارية في الأعراس والمناسبات، نقول لهم: اتقوا الله في أبناء المسلمين، اتقوا الله في أرواح المسلمين، نقول لهم: هل علمتم أن إطلاق هذه العيارات سنّة سنّها محمد بن عبد الله؟ هل جاءكم نص بالكتاب والسنة أن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام كانوا عند الزواج أو في المناسبات يطلقون العيارات النارية؟ ثم اسأل نفسك أيها المطلق لهذه العيارات، هذه الرصاصة إذا خرجت فأين ستنزل وعلى من تنزل؟

فكم من أفراح تحولت إلى مآتم بسبب العيارات النارية؟!

وكم من طفل صغير كان يلعب أمام منزله فسقطت الرصاصة على رأسه فتقتله؟! ولعلكم جميعاً تعلمون ذلك!

● وكم من امرأة بريئة تجلس بأولادها الصغار أمام بيتها فتفاجَأ بالرصاصة تنزل على رأسها فتقتلها! أنت فرحان بعرس ولدك، وهذه المرأة ماتت فتيتّم أولادها! أترضى ذلك لنفسك أيها المطلق لهذه العيارات؟ أنسيت أنَّ الرسول ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»(٢). فاتقوا الله عباد الله، فإن فيكم من يجرّبون أسلحتهم في الأعراس والمناسبات! وتُنذرك جبهات تفتح، فإذا سألنا عن السبب، قالوا: فلانٌ يفرح بعرس ولده! فلانٌ نجح ابنه في (التوجيهي)! هذا فريق

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٤٢)، م: (١٠٩).

(٢) **صحيح لغيره**: تقدم تخريجه ص٢٠٥.

فاز في مباريات كرة القدم!، إلى هذا الحد وصلنا؟ اتقوا الله في أنفسكم، واللهِ إذا أُطلقت مائة رصاصة في عرس ما؛ فمات بذلك طفل فسيسألهم هذا الطفل عن مقتله يوم القيامة أمام الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩].

***عباد الله!* العنصر الثالث ـ سؤال وجواب:**

**والسؤال يا عباد الله هو:** رجل قتل مؤمناً متعمداً فهل له من توبة؟ الجواب: للعلماء في هذه المسألة قولان:

**القول الأول:** وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، فلقد سُئِلَ ابن عباس رضي الله عنه عن الرجل قتل مؤمناً متعمداً فهل له من توبة؟ فقال ابن عباس: (خاب وخسر، فالله عز وجل يقول: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾**﴾) [النساء: ٩٣]. فقال أصحاب هذا القول: لا توبة للقاتل عمداً.

**القول الثاني:** وهو قول جمهور العلماء، إذا تاب توبة نصوحاً، وأقبل على الله عز وجل نادماً على ما صنع تقبل الله توبته، لأن الله عز وجل يقبل التوبة من الكافر إذا تاب من كفره، ومن المشرك إذا تاب من شركه، قال ـ تعالى ـ: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾**﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]. والقتل دون الشرك فإذا غفر الله عز وجل للمشرك إذا تاب من شركه؛ غفر للقاتل إذا تاب من قتله، وقد جاء في «الصحيحين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمَّل به مائةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائةَ نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه**

**وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله** ـ تعالى ـ **معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم** ـ أي حكماً ـ **فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»**[(١)].

فالقاتل المتعمّد إذا تاب توبة نصوحاً تاب الله عليه، ولكن يبقى عليه حق المقتول وهذا يأخذه المقتول منه أمام الله يوم القيامة، واعلم أن من تاب وأصلح واجتهد في الأعمال الصالحة فإن الله ﷻ يتكفل له يوم القيامة بأن يُرَضِّي عنه المقتول.

**سؤال آخر**: من قتل نفسه منتحراً هل هو مسلم يصلى عليه؟ أم أنه بفعله هذا كافر خارجٌ عن ملة الإسلام؟

**الصحيح**: أنه مسلم يصلى عليه ما لم يستحل ذلك ـ ويقول: هذه نفسي وأنا حرٌّ فيها! ـ، ويدفن في قبور المسلمين، ولكنه بانتحاره يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر يعذُّب عليها في النار عذاباً أليماً، ولكنه لا يخرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، ويبقى في دائرة الإسلام ويصلى عليه، ولكن لو ترك الامام الصلاة على المنتحر زجراً للآخرين جاز له ذلك ولكن لا يجوز للمسلمين أن يدفنوا المنتحر دون أن يصلوا عليه لأنه مسلم.

**اللهم احفظنا وإياكم من جريمة القتل**

❋ ❋ ❋

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٨٣)، م: (٢٧٦٦).

٢١١

# المجرم الخامس والعشرون ـ الداعي إلى الفرقة والاختلاف

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم الخامس والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الداعي للفرقة والاختلاف»**.

***أتعرفونه يا عباد الله؟*** إنه الذي يدعو لتفريق المسلمين فرقاً وشيعاً وأحزاباً.

إنه الذي يدعو بالليل والنهار لتمزيق المسلمين فرقاً وأحزاباً ليصبحوا كل حزب بما لديهم فرحون.

***عباد الله!*** إن الذي يدعو للفرقة والاختلاف مجرم في حق نفسه، ومجرم وفي حق أمته، ومجرم في حق دينه، وذلك يا عباد الله لأن الله ﷻ جعل الأمة الإسلامية بهذا الدين العظيم ـ الإسلام ـ أمة واحدة، قال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وجعل الله ﷻ هذه الأمة الإسلامية بهذا الدين العظيم بعضهم لبعضٍ إخواناً فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالمؤمنون بهذا الدين العظيم ـ في كل مكان وإن تباعدت بينهم المسافات ـ كالبناء الواحد في قوته وتماسكه، كما قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبك بين أصابعه[(١)].

---

(١) ***صحيح***: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥)

• المؤمنون في كل مكان وإن تباعدت بينهم المسافات، واختلفت اللهجات، فهم بهذا الدين العظيم كالجسد الواحد في تفاعله وإحساسه، يقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١).

• وقد أمر الله ﷻ المسلمين أن يقيموا هذا الدين، وحذرهم من الفرقة والاختلاف، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فالذي يدعو للفرقة والاختلاف مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لغضب الله وسخطه، ومجرم في حق أمته، لأنه بهذه الدعوة يفرق الأمة فيضعفها، ومجرم في حق دينه لأن الله ﷻ أمره بإقامة هذا الدين وحذره من الفرقة والاختلاف، لكنه خالف أمر ربّه ودعا إلى الفرقة والاختلاف.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: العاقل من اتعظ بغيره.

**العنصر الثاني**: الاختلاف والتفرق في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثالث**: رسالة إلى المسلمين عامّة في كل مكان، وإلى قادة الأحزاب والجماعات الإسلامية خاصة، فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الأول ـ العاقل من اتعظ بغيره.**

إن الله ﷻ أخبرنا في كتابه، والرسول ﷺ في سنته أخبرنا أيضاً بأن أهل الكتابين من قبلنا ـ من اليهود والنصارى ـ حين تفرقوا واختلفوا هلكوا.

وبيَّن لنا ربنا جل وعلا أن الاختلاف والافتراق الذي وقع فيما بينهم إنما كان سببه البغي والحسد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الشورى: ١٤]، ويقول ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل** ـ أي: قدر النعل بالنعل، والمراد أننا سنفعل مثل ما فعلوا ـ **وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي؟ ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

ثم حذرنا ربنا جل وعلا في كتابه، وحذّرنا الرسول ﷺ في سنته من أن نفترق كما افترقوا، أو أن نختلف كما اختلفوا؛ فنهلك كما هلكوا، والعاقل من اتعظ بغيره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]. وقال ﷺ: «**لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(٢)، وسمع ﷺ أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج ﷺ عليهما يعرف في وجهه الغضب فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**»(٣)، فإياكم والاختلاف والفرقة، فإنّ فيهما الهلاك والدمار والعاقل من اتعظ بغيره.

**العنصر الثاني**: الاختلاف والتفرق في ميزان الكتاب والسنة، وهنا نقول: فليتق الله ﷻ الذين يدعون إلى الحزبية، وإلى التفرق والاختلاف فإنّ الله ﷻ أمر في كتابه بالاتحاد والاعتصام والاتفاق، ونهى وحذر من الفرقة والاختلاف، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الخير كله في الاعتصام

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٢٧٩). (٣) **صحيح**: م: (٢٦٦٦).

والاتحاد والاتفاق، ولأن الشر كله في الفرقة والاختلاف. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وصية الله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

ورسولنا الكريم ﷺ يحذر من الفرقة، ويشدد على دعاة الفرقة، ويأمر بالجماعة والاتحاد والاعتصام والاتفاق، فيقول ﷺ: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة** ـ أي: وسطها ـ **فليلزم الجماعة، من سرَّته حسنته وساءته سيئاته، فذلكم المؤمن**»(١). ويقول ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»(٢)، ويبين ﷺ لأمته أن التفرق والاختلاف من فعل الشياطين ـ فالذي يدعو للفرقة والاختلاف شيطان ـ؛ فعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»، فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بُسط عليهم ثوبٌ لعَمهّم(٣).

(١) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/٢٦)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/١٩٧)، لس: (٣١)، طس: (٣/٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٥٤٦)].
(٢) **حسن صحيح**: حم: (٤/٢٧٨)، هب: (٤/١٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٩٧٦)].
(٣) **صحيح**: د: (٢٦٢٨)، حب: (٢٦٩٠)، ك: (٢/١٢٦)، هق: (٩/١٥٢)، [«ص.د» (٢٢٨٨)].

وقال ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليلٍ وحده**»[١]، وقال ﷺ: «**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب**»[٢]، وهكذا يبين لنا ﷺ أن الإنسان كلما انفرد اتبعه الشيطان، وكلما كان مع الجماعة ابتعد عنه الشيطان، وأن الثلاثة ركب، وقال ﷺ: «**فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، مَنْ أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة...**»[٣]. ويقول ﷺ: «**ستكون بعدي هناتٌ وهنات** ـ أي: شدائد وعظائم ـ **فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يُفَرِّقَ أمر أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**»[٤]، هذه كناية عن ملازمه واستيلاء الشيطان على من فارق جماعة المسلمين، وليس المقصود مفارقة جماعة من الجماعات الموجودة اليوم.

***عباد الله!*** ويبين ﷺ أن أحب الأعمال إلى إبليس الفرقة والاختلاف، فيقول ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ـ أو قال: فيلتزمه ـ ويقول: نِعَم أنت**»[٥]، فأحب الأعمال إلى إبليس أن يفرَّق بين الرجل وبين زوجته، فما بالنا إذا فرقت شياطين الإنس والجن بين الأمة الإسلامية، واليهود هم أساتذة الفرقة وناشروها لأنهم قد علموا علم اليقين أنه لو اتحدت الأمة الإسلامية ما أبقت على وجه الأرض يهودياً واحداً، ولذلك كان شعارهم

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٣٦).
(٢) **صحيح**: د: (٢٦٠٧)، ت: (١٦٧٤)، حم: (٢/١٨٦)، ك: (٢/١١٢) هق: (٥/٢٥٧)، [«ص.ج» (٣٥٢٤)].
(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.
(٤) **صحيح**: ن: (٤٠٢٠)، حب: (٤٥٧٧)، هب: (٦/٦٦) [«ص.ج» (٣٦٢١)].
(٥) **صحيح**: م: (٢٨١٣).

وهدفهم أن يفرقوا بين المسلمين، فهذه الحزبية البغيضة وهذه الجماعات التي تكثر في كل يوم وتظهر بأفكار سيئة بعيدة عن الكتاب والسنة، واللهِ إن فعلها هذا من فعل شياطين الإنس والجن.

***عباد الله!*** وهذا رسولنا ﷺ يسوِّي بين صفوف المصلين، ويقول لهم: «**ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»(١). الاختلاف في صفوف الصلاة يؤدي إلى اختلاف القلوب فما بالنا وقد اختلفت العقيدة، واختلف المنهج، وامتلأت القلوب بالأمراض؟!

عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا ـ رسول الله ﷺ ـ فرآنا حلقاً ـ أي: حلقاً كثيرة كل حلقة في ناحية فنهاهم عن ذلك ـ فقال: «**ما لي أراكم عزين؟**»(٢) ـ أي: متفرقين فرِقاً ومتحلقين حلقاً ـ يقول الراوي: كأنه ﷺ يحب الجماعة.

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عندما أرسلهما إلى بلاد اليمن لدعوة الناس: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(٣)، فيجب على الناس أن يتحدوا عامة، ويجب على الدعاة أن يتحدوا خاصة وقال ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولَّاه الله أمركم، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(٤).

**العنصر الثالث ـ رسالة إلى المسلمين عامة في كل مكان، وإلى قادة الجماعات والأحزاب خاصة، فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.**

***عباد الله!*** هذا الاختلاف بين الناس لا بد منه لحكمة يعلمها الله،

---

(١) **صحيح**: م: (٤٣٢). (٢) **صحيح**: م: (٤٣٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٨٧٣)، م: (١٧٣٣).
(٤) **صحيح**: م: (١٧١٥)، حم: (٢/٣٦٧)، خد: (٤٤٢).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. فالاختلاف موجود وواقع ولكن استثنى الله ﷻ من هذا الاختلاف المرحومين، فمن أراد أن يكون من المرحومين فعليه أن يأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى الاعتصام والاتحاد فالمرحومون لا يختلفون بل يعتصمون ويتحدون، ولذلك قال ربنا جل وعلا لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩]. وقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة** ـ أي: المجاعة ـ **فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق** ـ الطوفان ـ **فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»(١)، فنقول: يا قادة الجماعات والأحزاب ويا أمة الإسلام تعالوا بنا لنتعرّف على الأسباب التي تؤدي إلى الاعتصام والاتحاد لنكون أمة واحدة كما أراد ذلك ربنا منّا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

**أولاً**: السبب الأول للاتحاد والاعتصام، هو إقامة هذا الدين بيننا استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقد امتن الله ﷻ على عباده بنعمة الدين وبأنها هي التي ألفت بين قلوبهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والنعمة المذكورة هنا هي الإسلام، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، فبالاعتصام وإقامة هذا الدين نتحد، وهذا الدين لا يقوم إلا على أساس متين أتدرون ما هو هذا الأساس؟ إنه

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٩٠).

العقيدة الصحيحة، إنه التوحيد فعلى التوحيد نتحد ونعتصم.

أما بفساد العقيدة فسيكون الاختلاف، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

**ثانياً**: المنهج الصحيح، فعلى الأمة الإسلامية جميعاً أن يسلكوا السبيل الذي اختاره الله وأخبرنا به في كتابه وبينه لنا الرسول ﷺ في سنته، أتدرون ما هو يا عباد الله؟ إنه سبيل الصحابة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فعلينا جميعاً أن نسلك سبيلهم استجابة لله ﷻ واستجابة لقوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وأن أُمِّر عليكم عبد حبشيّ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي** ـ أي: بطريقتي ـ **وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»(١). وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة كلهم في النار إلا ملّة واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢)، ولقد حذر ربنا جلّ وعلا الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل الصحابة ووعدهم بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. ونحن باتّباعنا لهذا المنهج نقضي على الحزبية البغيضة التي فرقت الأمة، وتأمّلوا كيف أصبح الولاء اليوم عند الشباب للحزب، فإن أحدهم يوالي للحزب ويعادي للحزب ويعطي ويمنع لحزبه، ويحب ويبغض للحزب!! مع أن الولاء من المسلم الصادق يكون لله ولرسوله ولكل المؤمنين كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٥٤٩)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

***يا أمة الإسلام!*** إلهنا واحد، وكتابنا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، فلم لا نتبع هذا المنهج الواحد؟! إذا أردتم السيادة والعزة والاتحاد والاعتصام فعليكم بتوحيد الله في عبادته، وبتوحيد الرسول ﷺ في اتباعه، وبتوحيد الصحابة رضي الله عنهم في منهجهم؛ فبهذا تفوزوا.

**ثالثاً**: علينا أن نطهر قلوبنا من الغل والحسد، فسبب افتراق من كان قبلنا هو الغل والحسد والضغينة والمصالح الشخصية، ولذلك قال ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا..**» إلى أن قال في نهاية الحديث: «**وكونوا عباد الله إخواناً**»(١).

***يا أمة الإسلام!*** الاتحاد الاتحاد، والاعتصامَ الاعتصام، والاتفاقَ الاتفاقَ، وإياكم والفرقة والاختلاف، وكونوا أمة واحدة كما أمركم الله.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

---

(١) ***صحيح***: خ: (٥٧١٩)، م: (٢٥٦٣).



# المجرم السادس والعشرون - المرأة الملعونة

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع المجرم السادس والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنها «المرأة الملعونة»**.

***أتعرفونها يا أمة الإسلام؟*** إنها كل امرأة متبرّجة تبيع لحمها في الشوارع، إنها المرأة التي تعصي زوجها وتغضبه، فينام وهو عليها غضبان، إنها كل مرأة نامصة أو متنمصة، واشمة أو مستوشمة، واصلة أو مستوصلة، إنها كل امرأة ترجلت وتشبهت بالرجال.

***عباد الله!*** **ولنتحدث عن الملعونة الأولى: وهي المرأة المتبرجة.**

مَنْ تبرجت، وتزينت، وتعطرت، وخرجت إلى الشارع تبيع لحمها رخيصاً للذئاب! فهذه مجرمة: مجرمة في حق نفسها، ومجرمة في حق زوجها، ومجرمة في حق مجتمعها، ومجرمة في حق دينها:

**أولاً**: المتبرجة مجرمة في حق نفسها، وذلك لأنها بهذا التبرج والسفور والعري عرَّضت نفسها للعنة، وهي الطرد من رحمة الله، يقول ﷺ: «**سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ على رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء**

---

(١) **صحيح**: طس: (٩/ ١٣١)، حم: (٢/ ٢٢٣)، حب: (٥٧٥٣)، ك: (٤/ ٤٨٣)، [«جلباب المرأة» (ص١٢٥)].

**كاسياتٌ عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»**(١).

**ثانياً**: المتبرجة مجرمة في حق زوجها، لأنها تزينت لغيره، والواجب عليها أن تتزين له وحده، لكنها تبرجت وتعطرت وخرجت إلى الشارع تبيع لحمها لغيره والواجب عليها ألا يطلع على هذا اللحم منها إلا زوجها. ولذلك قال ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً، وأَمَة أو عبدٌ أبق** ـ أي: هرب ـ **من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرَّجت بعده، فلا تسأل عنهم**»(٢)، أي: تزينت، وتعطرت، وخرجت إلى الشارع تشتهي الرجال وتعرض نفسها للزنا بغير علم زوجها، وإن رضي زوجها بتبرجها هذا وتعرضها فهو ديوث.

**ثالثاً**: المرأة المتبرجة مجرمة في حق مجتمعها، لأن المرأة فتنة عظيمة للرجال، إذ يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء**»(٣). والمرأة إذا تزينت وتبرجت زادت فتنتها للرجال، يقول ﷺ: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٤)، نعم، فإن المرأة إذا تعطرت وتزينت وخرجت فتنت الرجال، وخصوصاً أُولئك الشباب الذين تربوا على شاشات المفسديون والذين لا دين لهم ولا خلق، فإن أحدهم إذا خرجت عليه هذه المرأة المتبرجة اشتهاها، وإذا اشتهاها طلبها، وإذا طلبها وقعت فاحشة الزنا ثم انتشرت في مجتمع المسلمين، فتكون المرأة بتبرجها قد أطلقت الشرارة الأولى

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

(٢) **صحيح**: حم: (٦/١٩)، ك: (١/٢٠٦)، خد: (٥٩٠)، طب: (١٨/٣٠٦)، [«ص.ج» (٣٠٥٨)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤٠).

(٤) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

لفاحشة الزنا. إذاً فالمتبرجة تشيع الفاحشة في مجتمع المسلمين، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

**رابعاً**: المرأة المتبرجة مجرمة في حق دينها، لأن الله ﷻ في كتابه حذرها ونهاها عن التبرج فتبرجت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فهذه المرأة المتبرجة خرجت إلى الشارع، وعصت ربها بتبرجها هذا، والرسول ﷺ يقول: «**المرأة عورة**»(١) ـ أي: يجب على وليها أن يسترها، وأن يحافظ عليها من أعين الآخرين ـ ومع ذلك عصت رسول الله ﷺ. والرسول ﷺ يقول أيضاً: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية**»(٢)، ومع ذلك عصت هذه المتبرّجة رسول الله ﷺ وخرجت إلى الشارع وهي متعطرة!!

***أمة الإسلام!*** على المرأة المتبرجة أن تتقي الله في نفسها، وتتق الله في زوجها ومجتمعها ودينها، وأن تبادر بالتوبة النصوح إلى الله ﷻ استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. فيجب على المرأة المتبرجة أن تتوب من التبرج، وأن ترتدي الجلباب الشرعي استجابة لقول ربها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

***عباد الله!*** والجلباب الشرعي الذي يحبه الله ويحبه رسول الله ﷺ هو الجلباب الذي تتوفر فيه هذه الشروط الثمانية:

**الشرط الأول**: أن يستر جميع بدن المرأة.

**الشرط الثاني**: أن لا يكون زينة في نفسه.

---

(١) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، خز: (١٦٨٥)، حب: (٥٥٩٨)، طب: (٩/ ٢٩٥)، ش: (٢/ ١٥٧)، [«ص.غ.هـ» (٣٤٦)].

(٢) **حسن**: د: (٤١٧٣)، ت: (٢٧٨٦)، ن: (٥١٢٦)، حم: (٤/ ٤١٣)، خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، ك: (٢/ ٤٣٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٠١٩)].

**الشرط الثالث**: أن يكون صفيقاً لا يشف.

**الشرط الرابع**: أن يكون واسعاً فضفاضاً لا يصف.

**الشرط الخامس**: أن لا يشبه لباس الرجال.

**الشرط السادس**: أن لا يشبه لباس الكافرات.

**الشرط السابع**: أن لا يكون مبخراً ولا مطيباً.

**الشرط الثامن**: أن لا يكون لباس شهرة.

فاحذري يا أمة الله من الجلباب والحجاب المتبرج الذي يسمى ويعدُّ عند الناس حجاباً مع أنه في ميزان الكتاب والسنة تبرُّج وسفور! فكثير ممن نراهن في الشوارع يرتدين جلباباً ملفتاً للأنظار في زينته وهيئته! ويرتدين غطاءً للرأس (إشارب) قصيراً وهؤلاء لسن بالمحجبات حجاباً شرعياً، فاتقوا الله يا عباد الله في نسائكم وأعراضكم.

**الملعونة الثانية: وهي المرأة التي تعصي زوجها وتغضبه فينام وهو عليها غضبان.**

وهذه المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق نفسها، ومجرمة في حق زوجها، ومجرمة في حق دينها.

**أولاً**: المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق نفسها، ولذلك:

١ ـ لأنها عرضت نفسها للعنة، يقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[١]، ويقول ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[٢].

٢ ـ المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق نفسها، لأنها عرضت نفسها لسخط الله وغضبه، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٦٥)، م: (١٤٣٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٩٨)، م: (١٤٣٦).

**امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**»(١).

٣ ـ المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق نفسها، لأن أعمالها الصالحة لا ترتفع فوق رأسها، قال ﷺ: «**اثنان لا تجاوز** ـ أي: لا تتعدى ـ **صلاتهما رؤوسهما: عبدٌ آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»(٢)، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قومٍ وهم له كارهون**»(٣).

٤ ـ المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق نفسها، لأنها حرمت نفسها الجنة، يقول ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»(٤).

**ثانياً**: المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق زوجها، لأن حق زوجها عليها عظيم جداً، يقول ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(٥)، وقال ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كلِّه، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب** ـ وهو: مكان تجلس عليه المرأة للولادة، وقيل: هي الراحلة ـ **لم تمنعه**»(٦)، وقال ﷺ: «**حق الزوج على زوجته لو كانت به**

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٣٦).

(٢) **صحيح**: ك: (٤/ ١٩١)، طس: (٤/ ٦٧)، طص: (١/ ٢٨٩)، [«ص.ج» (١٣٦)].

(٣) **حسن**: ت: (٣٦٠)، ش: (١/ ٣٥٨)، هق: (٣/ ١٢٨)، [«ص.غ.هـ» (٤٨٧)].

(٤) **صحيح**: حم: (١/ ١٩١)، حب: (٤١٦٣)، طس: (٥/ ٣٤)، [«ص.ج» (٦٦٠)].

(٥) **حسن صحيح**: ت: (١١٥٩)، هـ: (١٨٥٢)، حم: (٤/ ٣٨١)، ك: (٤/ ١٩٠)، طب: (٥/ ٢٠٨)، [«ص.غ.هـ» (١٩٤٠)].

(٦) **حسن**: هـ: (١٨٥٣)، حب: (٤١٧١)، عب: (١١/ ٣٠١)، هق: (٧/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٥٢٩٥)].

**قرحةٌ فلحستها** ـ أي: بلسانها غير متقذرة لذلك ـ **أو انتثر منخراه صديداً أو دماً ثم ابتلعته ما أدت حقه**»[١]، وقال ﷺ: «**لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه**»[٢]، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم برجالكم في الجنة**»؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**النبيُّ في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله عَزَّ وَجَلَّ في الجنّة. ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**كل ودودٍ ولود، إذا غضبت، أو أُسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى**»[٣]. نعم، فهي تفعل ذلك لأنها تعلم أن رضى الله عليها من رضى زوجها، وقال ﷺ: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه**»[٤]، وقال ﷺ: «**لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه**»[٥].

**ثالثاً**: المرأة التي تعصي زوجها مجرمة في حق دينها، لأن الرسول ﷺ أمرها أن تطيع زوجها في كل ما يأمرها إلا أن يأمرها بمعصية؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»[٦]، وقال ﷺ: «**خيرُ**

---

(١) **حسن صحيح**: حب: (٤١٦٤)، ك: (٢/ ٢٠٥)، ش: (٣/ ٥٥٦)، هق: (٧/ ٢٩١)، [«ص.غ.هـ» (١٩٣٤)].

(٢) **صحيح**: طب: (٢٠/ ١٦٠)، [«ص.ج» (٥٢٥٩)].

(٣) **حسن لغيره**: طب: (١٩/ ١٤٠)، طس: (٦/ ١١)، طص: (١/ ٨٩)، هب: (٦/ ٤١٨)، [«ص.غ.هـ» (١٩٤١)].

(٤) **صحيح لغيره**: حم: (٣/ ١٥٨)، [«ص.غ.هـ» (١٩٣٦)].

(٥) **صحيح**: ك: (٢/ ٢٠٧)، بز: (٦/ ٣٤٠)، هق: (٧/ ٢٩٤)، [«ص.غ.هـ» (١٩٤٤)].

(٦) **صحيح**: ت: (١١٦٠)، حب: (٤١٦٥)، طب: (٨/ ٣٣١)، ش: (٣/ ٥٥٨)، هق: (٧/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٥٣٤)].

**النساء التي تُسرهُ إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»**[(١)]، وقال ﷺ: «**لا تصومن امرأة** ـ أي: النافلة ـ **إلا بإذن زوجها**»[(٢)].

**أما الملعونة الثالثة فهي: المرأة النامصة** التي تنتف الشعر من وجهها أو من وجه غيرها، والمتنمصة وهي التي يفعل بها ذلك، والواشمة هي التي تكتب وترسم على وجهها وجسمها أو على وجه أو جسم غيرها، والمستوشمة وهي التي يفعل بها ذلك، والواصلة: هي التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعرٍ آخر، والمستوصلة: وهي التي يفعل بها ذلك. والرسول ﷺ يقول: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**لعن الله الربا، وآكله، وموكله، وكاتبه وشاهده وهم يعلمون، والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة**»[(٥)].

**وأما الملعونة الرابعة: فهي المرأة المترجلة.**

وهي التي تتشبه بالرجال في مِشْيتِهم، وفي لباسهم، وفي كلامهم والرسول ﷺ قد أخبرنا بأنها ملعونة، فقال ﷺ: «**لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**»[(٦)]، فليتق الله كل منا في بناته، وليتقِ الله كل منا في شبابه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**لعن رسول الله**

---

(١) **صحيح**: ن: (٣٢٣١)، حم: (٢/ ٢٥١)، هق: (٧/ ٨٢)، [«ص.ج» (٣٢٩٨)].

(٢) **صحيح**: د: (٢٤٥٩)، حم: (٣/ ٨٠)، حب: (١٤٨٨)، ع: (٢/ ٣٩٨)، [«ص.ج» (٧٣٥٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٦٠٤)، م: (٢١٢٥).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٥٩٣)، م: (٢١٢٤).

(٥) **صحيح**: طب: (١٠/ ٩٢)، بز: (٥/ ٣٩)، [«ص.ج» (٥٠٩٤)].

(٦) **صحيح**: د: (٤٠٩٨)، حب: (٥٧٥١)، ك: (٤/ ٢١٥)، طس: (١/ ٢٩٦)، هب: (٦/ ١٦٧)، [«ص.ج» (٥٠٩٥)].

**المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»**(١)، وقال أيضاً: «**لعن النبيّ ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**»(٢)، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورَجُلةُ النساء**»(٣). وقال ﷺ: «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال**»(٤).

فاتقوا الله عباد لله، وليتقِ الله كل منا في لباسه، وفي كلامه، وفي هيئته، فكم من الشباب صار مخنثاً في كلامه وفي شكله؟! أما تنظر أيها المسلم إلى ابنك الذي عندك في البيت كيف حلق شعره، وكيف يرتدي بنطاله، وكيف يتكلم، وماذا يضع في أذنيه، وماذا صنع في شعره، ما بقي إلا أن يرفع شعاراً على رأسه يعلنُ فيه أنه امرأة! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكم من البنات والنساء من ترجلن!! ونرى ذلك ونسمع، حتى لقد أصبحت المرأة كالرجل ونسيت أنها بهذا الترجل والتشبه بالرجال قد عرضت نفسها للعنة، فاتقوا الله عباد الله في نسائكم وأعراضكم، واعلموا أن العرض غالٍ، ولا تنسَ يا عبد الله أنك مسئول عنه أمام الله يوم القيامة، فإياك أن تترك الحبل على الغارب، وإياك أن تنسى أن تحاسب وتعاقب من خالف أمر الله من أفراد أسرتك، وإلّا ستصبح في البيت ولا قيمة لك، وعندها تتبرج النساء، وتعصي الزوجة، وتترجل المرأة وأنت جالسٌ في البيت لا حول لك ولا قوة، والسبب أنك قصرت في بداية الأمر فلم تربِّ، ولم تعلِّم ولم تراقب.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٥٤٦). (٢) **صحيح**: خ: (٥٥٤٧).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ١٤٤)، هب: (٧/ ٤١٢)، [«ص.ج» (٣٠٦٣)].

(٤) **صحيح**: حم: (٢/ ١٩٩)، حل: (٣/ ٣٢١)، [«ص.ج» (٥٤٣٣)].

٢١٣

# المجرم السابع والعشرون ـ
# أ ـ الرجل الملعون

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم السابع والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الرجل الملعون»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الرجل الذي يذبح لغير الله! إنه الرجل الذي يسب أصحاب رسول الله ﷺ! إنه الرجل الذي يأتي امرأته في دبرها!

**الملعون الأول: هو الذي يذبح لغير الله.**

***أمة الإسلام!*** اعلموا أن الذبح والنسك والنحر عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه كما يتقرب إليه بالصلاة، ولذلك جمع ربنا جل وعلا بين الصلاة وبين الذبح والنحر والنسك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، فكما أنك تصلي لله وتبتغي بصلاتك وجه الله، فكذلك الذبح والنحر والنسك أنت تتقرب به إلى الله، وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بتبليغ الناس بأنه يجب عليهم أن يخلصوا في نسكهم وفي صلاتهم لله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فمن ذبح لغير الله كمن ذبح للملائكة، أو ذبح للجن أو ذبح للأنبياء والأولياء، أو ذبح للصالحين، أو غير ذلك فهو مجرم في حق نفسه، وذلك:

**أولاً**: لأنه عرض نفسه للعنة، فرسولنا الكريم ﷺ يقول: «**لعن الله من لعن والداه، لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من آوى مُحْدِثاً،**

**لعن الله من غيَّر منار الأرض»**(١)، وقال ﷺ: «**ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من كَمَّه** ـ أضل ـ **أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط»**(٢).

**ثانياً**: الذي يذبح لغير الله أوقع نفسه في الشرك، لأن من ذبح لغير الله فقد أشرك.

***عباد الله!***

١ ـ والشرك ظلم عظيم، يقول الله ﷻ على لسان لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

٢ ـ والشرك يحبط الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٣ ـ والشرك يمنع عن صاحبه المغفرة يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقال الله تبارك تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم، لو إنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**(٣).

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٧٨)

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٢١٧)، حل: (٩/ ٢٣٢)، [«ص.ج» (٥٨٩١)].

(٣) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٦٧)، مي: (٢٧٨٨). طب: (١٢/ ١٩)، هب: (٢/ ١٦)، [«ص.ج» (٤٣٣٨)].

٤ ـ والشرك سبب لدخول النار، وهل أعد الله النار إلا للكفرة والمشركين والمجرمين؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

**الملعون الثاني: وهو الذي يسب أصحاب رسول الله ﷺ.**

وهذه ظاهرة أخذت تنتشر في بلاد المسلمين، حتى أننا نسمع بها في هذه البلاد، وقد كنا من قبل لا نسمع بها، سبُّ أصحاب رسول الله ﷺ وشتمهم! فإنا لله وإنّا إليه راجعون..

***أمة الإسلام!*** الصحابة رضي الله عنهم هم جيل قرآني فريد لم تشهد البشرية لهم نظيراً خلال هذا التاريخ.

• الصحابة رضي الله عنهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولنصرة دينه. ولذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء)[١].

وقال ابن مسعود أيضاً: (من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٢].

ويقول الامام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (ونحب أصحاب

(١) **إسناده حسن**: حم: (١/ ٣٧٩)، طب: (٩/ ١١٢)، طس: (٤/ ٥٨)، بز: (٥/ ٢١٢)، حل: (١/ ٣٧٥)، [«الموسوعة الحديثية»].
(٢) حل: (١/ ٣٠٥).

رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)(١).

ولذلك فمن اعتدى على الصحابة بسبٍ أو شتمٍ فهو مجرم في حق نفسه، مجرم في حق الصحابة، مجرم في حق هذا الدين.

**أولاً ـ الذي يسب الصحابة رضي الله عنهم مجرم في حق نفسه:**

لأنه عرَّض نفسه للعنة، قال ﷺ: «**لعن الله من سبَّ أصحابي**»(٢)، وقال ﷺ: «**من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(٣).

**ثانياً ـ الذي يسب الصحابة رضي الله عنهم مجرم في حق الصحابة، لمَ؟**

● لأنه يسب قوماً أثنى الله عليهم في كتابه، ومدحهم ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ ـ وهذا مدح وثناء على المهاجرين ـ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٧).

(٢) **حسن**: طب: (١٢/ ٤٣٤)، طس: (٧/ ١١٤)، [«ص.ج» (٥١١١)].

(٣) **حسن**: طب: (١٢/ ١٤٢)، [«ص.ج» (٦٢٨٥)].

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ إنه مدح وثناء على الأنصار، ثم قال تعالى في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠]. فكم نسمع في المجالس ممن لا خلاق لهم ولا دين لهم ـ من الرافضة وغيرهم ـ يعتدون على الصحابة بالسب والشتم! بل ومنهم من يظن أنه يتقرب إلى الله بسب الصحابة! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

الله عز وجل يمدحهم ويثني عليهم، ويرضى عنهم، ويعدهم الحسنى، وأنت أيها المجنون تتقرب إلى الله بسبهم وشتمهم!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

● وهذا رسولنا ﷺ يثني على الصحابة، ويوصي أمته بالصحابة فيقول ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»(١)، وقال ﷺ: «**النجوم أمنة للسماء** ـ أي: سبب أمن السماء ـ **فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد،** ـ أي: من الانفطار والطي ـ **وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون،** ـ أي: من الفتن والحروب واختلاف القلوب ـ **وأصحابي أمنةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(٢) ـ أي: من ظهور البدع وغلبة الأهواء واختلاف العقائد. وقال ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا** ـ أي عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق ـ **وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(٣).

وقال ﷺ: «... **لعل الله ـ تعالى ـ اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤٧٠)، م: (٢٥٤٠).
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٣١).
(٣) **صحيح**: طب: (٢/٩٦)، حل: (٤/١٠٨)، [«ص.ج» (٥٤٥)].

**ما شئتم فقد غفرت لكم»**(١)**، وقال** ﷺ: **«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»**(٢)، وقال ﷺ: **«استوصوا بالأنصار خيراً»**(٣)، وقال ﷺ: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»**(٤)، وقال ﷺ: **«اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر»**(٥).

وقال ﷺ: **«أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم** - أي: أعلمهم بالقضاء - **عليٌ، وأفرضهم** - أي: أعلمهم بالمواريث - **زيد بن ثابت، وأقرؤهم** - أي: لكتاب الله - **أُبيٌ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**(٦)، وقال ﷺ: **«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»**(٧)، وقال ﷺ: **«إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»**(٨)، وقال ﷺ: **«إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٤٥)، م: (٢٤٩٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٧)، م: (٧٤).

(٣) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٤٠)، ع: (٧/ ٧٣)، هب: (٢/ ٢٠٦)، [«ص.ج» (٩٥٩)].

(٤) **صحيح**: ت: (٣٧٤٧)، حم: (١/ ١٩٣)، ع: (٢/ ١٤٧)، بز: (٣/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٥٠)].

(٥) **صحيح**: ت: (٣٦٦٢)، هـ: (٩٧)، حم: (٥/ ٣٨٢)، ك: (٣/ ٧٩)، طس: (٧/ ١٦٨)، ش: (٦/ ٣٥٠)، [«ص.ج» (١١٤٢)].

(٦) **صحيح**: ك: (٣/ ٦١٦)، ع: (١٠/ ١٤١)، هق: (٦/ ٢١٠)، [«ص.ج» (٨٦٨)].

(٧) **صحيح**: م: (٥٣٢).

(٨) **صحيح**: د: (٢٩٦٢)، ت: (٣٦٨٢)، حم: (٢/ ٥٣)، حب: (٦٨٨٩)، طب: (١/ ٣٥٤)، ش: (٦/ ٣٥٥)، [«ص.ج» (١٧٣٦)].

**عمر**»[١]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**أنت مني وأنا منك**»[٢]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضكم إلا منافق**»[٣]، فرضي الله عنهم جميعاً، والذي يسبهم ملعون ومجرم في حق نفسه ومجرم في حقّهم.

**ثالثاً ـ الذي يسبُّ الصحابة مجرم في حق دينه:**

**أولاً**: لأن الذي يسب الصحابة كأنه يسب هذا الدين، لأن الذين جاءوا لنا بهذا الدين من رسول الله ﷺ إنما هم الصحابة، وإلا فمَنْ هم الذين نقلوا لنا هذا الدين؟ إنهم الصحابة، ومَنْ هم الذين قدموا الأموال والأنفس رخيصة لهذا الدين؟ إنهم الصحابة، ولذلك أمرنا الله في كتابه أن نسلك سبيلهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وتوعد ربنا جل وعلا الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل الصحابة بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. ورسولنا الكريم أوصانا كذلك بأن نسلك سبيلهم، فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[٤]، وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة كلهم في النار إلا ملّة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٥].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٦٩١)، [«ص.ج» (٢٤٩٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥٥٢).

(٣) **صحيح**: ت: (٣٧٣٦)، ن: (٥٠١٨)، حم: (١/ ٩٥)، طس: (٢/ ٣٣٧)، ع: (١/ ٢٥٠)، [«ص.ج» (٢٤٢٢)].

(٤) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

(٥) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)] وقد تقدم تخريجه.

**الملعون الثالث: الذي يأتي امرأته في دبرها.**

أي الذي يجامع زوجته في دبرها.

***أمة الإسلام!*** بكل ألم يملأ القلوب، نسمع عن ظاهرة خبيثة تنتشر في بعض بيوت المسلمين من الذين لا خلاق لهم، من الذين أدخلوا الأشرطة الهابطة في بيوتهم وأخذوا ينظرون إليها، من الذين يضعون جهاز (الستالايت) فوق بيوتهم وينظرون من خلاله إلى القنوات الفاسدة، ومن خلال أسئلة كثيرة ترد من النساء علينا علمنا من خلالها أن هناك رجالاً يجامعون نساءهم في أدبارهنّ؟ وهذا أمر خطير وفاعله مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق زوجته.

**أولاً ـ مجرم في حق نفسه:**

لأنه عرض نفسه للعنة، يقول ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**»(١)، وقال ﷺ: «**ملعون من عمل بعمل قوم لوط**»(٢).

● لأنه عرض نفسه لسخط الله وغضبه، يقول ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر**»(٣)، ويقول ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها**»(٤)، وقال ﷺ: «**إن الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله إليه يوم القيامة**»(٥).

**ثانياً ـ الذي يفعل هذه الفعلة مجرم في حق زوجته:**

لأنه اعتدى عليها، أفي هذا المكان أمرك الله أن تأتيها؟ أفي هذا

---

(١) **صحيح**: د: (٢١٦٢)، حم: (٢/ ٤٧٩)، [«ص.ج» (٥٨٨٩)].
(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٢١٧)، حل: (٩/ ٢٣٢)، [«ص.ج» (٥٨٩١)].
(٣) **صحيح**: ت: (١١٦٥)، حب: (٤٤١٨)، ع: (٤/ ٢٦٦)، ش: (٣/ ٥٢٩)، [«ص.ج» (٧٨٠١)].
(٤) **صحيح**: هـ: (١٩٢٣)، حم: (٢/ ٣٤٤)، ش: (٣/ ٥٣٠)، [«ص.ج» (٧٨٠٢)].
(٥) **صحيح**: حم: (٢/ ٢٧٢)، عب: (١١/ ٤٤٢)، هب: (٤/ ٣٥٥)، [«ص.ج» (١٦٩١)]

المكان يكون الولد؟ يقول الله ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، والحرث يا عباد الله توضع فيه البذرة، أي: ضعوا النطفة في المكان الذي يحرث فيه، الذي يأتي منه الولد، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وزوجتك حلال لك إلا الدبر منها وإلا الفرج خلال الحيض والنفاس، فمن جامع زوجته في النفاس فقد وقع فيما حرم الله عليه، ومن جامع زوجته في الحيض فقد وقع فيما حرم الله عليه، ومن جامع زوجته في دبرها فقد وقع فيما حرم الله عليه وعرض نفسه للعنة والسخط من الله عليه، يقول ﷺ: «**إن الله تعالى لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن**»(١)، وقال ﷺ: «**إتيان** ـ أي: جماع ـ **النساء في أدبارهن حرام**»(٢)، أتفهم ذلك أيها المجرم المفترس المعتدي؟ فإن الأمر لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح، وقال ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تأتوا النساء في أدبارهن**»(٣)، ونقول للمرأة التي يفعل زوجها بها ذلك: لا تطيعيه، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولكِ شرعاً أن تذهبي إلى القاضي الشرعي، وأن تطلبي الطلاق من هذا الحيوان المفترس الذي يأتيك في مكانٍ غيرِ المكان الذي أحل الله له.

• ثم نقول لمن فعل ذلك: من تاب تاب الله عليه، والله ﷻ يقول: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. أسمعتم يا عباد الله،

---

(١) **صحيح**: هـ: (١٩٢٤)، حم: (٢١٣٥)، مي: (١١٤٢)، حب: (٤٢٠٠)، طب: (٤/ ٨٤)، بز: (١/ ٤٧٤)، ش: (٣/ ٥٣٠)، هق: (٧/ ١٩٦)، [«ص.ج» (١٨٥٢)].

(٢) **صحيح**: ن: (٥١٠٢)، حم: (١/ ٤٠٩)، خز: (٢٢٥٠)، حب: (٣٢٥٢)، ك: (١/ ٥٤٥)، لس: (٤٠١)، [«ص.ج» (٥)].

(٣) **صحيح**: طب: (٤/ ٩٠)، طس: (٦/ ٢٦١)، [«ص.ج» (١٩٢١)].

لعل الكثير منكم يظن بأن هذا لا يوجد في بيوت المسلمين، لكنه مع الأسف الشديد قد وجد وانتشر، فمع انتشار (الستالايت) انتشرت هذه الظاهرة، فمع انتشار الأشرطة الهابطة انتشرت هذه الظاهرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

**اللهم قد بلغت اللهم فاشهد**

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



٢١٤

# المجرم الثامن والعشرون ـ
# ب ـ الرجل الملعون

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ لنكمل الحديث عن المجرم الثامن والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الرجل الملعون»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي يقترب من الربا، إنه الذي يقترب من الخمر، إنه الراشي والمرتشي، إنه المُحَلِّلْ والمُحَلَّلُ لهُ.

**الملعون الأول: الذي يقترب من الربا.**

الربا جريمة نكراء، ومن اقترب منه عرض نفسه لما يلي:

**أولاً**: عرّض نفسه للعنة، فآكل الربا ملعون، والذي يدفع الربا لغيره ملعون، وكاتب العقد بين المرابين ملعون، والذي يشهد على هذا العقد ملعون، والذي يكفل إنساناً يريد أن يأخذ قرضاً ربويّاً ملعون، والذي يعمل في دور ومؤسسات الربا ملعون، فعن جابر ﵁ قال: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء)[(١)]، وقال ابن مسعود ﵁: (آكل الربا، وموكله، وشاهداه، وكاتباه إذا علموا به.. ملعونون على لسان محمدٍ ﷺ يوم القيامة)[(٢)].

**ثانياً**: الذي يقترب من الربا يصاب بالفقر الذي لا غنى بعده،

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

(٢) **صحيح لغيره**: ن: (٥١٠٢)، حم: (١/ ٤٣٠)، خز: (٢٢٥٠)، حب: (٣٢٥٢)، ك: (١/ ٥٤٥)، لس: (٤٠١)، [«ص.غ.هـ» (١٨٥٠)].

لأن الله ﷻ قال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال ﷺ: «**الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

**ثالثاً**: الذي يقترب من الربا يعرض نفسه للدمار والهلاك، لأن الله ﷻ أعلن الحرب على أكلة الربا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وقال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٢).

**رابعاً**: الذي يقترب من الربا يعرض نفسه للذل والهوان، يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة** ـ وهي نوع من أنواع الربا ـ **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** ـ أي: عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٣).

**خامساً**: أمّا بعد الموت في حياة البرزخ، فإن من يقترب من الرّبا يعذب بأن يسبح في نهر من دم، فلقد قال رسول الله ﷺ في حديث الرؤيا: «... **أتينا على نهرٍ من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شطّ النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجرٍ في فيه فردَّه حيث كان، فجعل كلّما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟**... ـ ثم أخبر عمّا

---

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٣٩٥)، ك: (٢/ ٤٣)، ع: (٨/ ٤٥٦)، هب: (٤/ ٣٩٢)، [«ص.ج» (٣٥٤٢)].

(٢) **صحيح**: حم (١/ ٤٠٢)، حب: (٤٤١٠)، ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٧٨)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٣) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/ ٣١٦)، حل: (٥/ ٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

رأى فقيل له ـ **والذي رأيته في النهر آكلوا الرّبا**»(١). فتأملوا عباد الله كيف أن الجزاء من جنس العمل، فهو لمّا كان في هذه الدنيا يمتص دماء المسلمين فهو بعد الموت يعذب بأن يسبح في نهر من دم، وهذا عذابه إلى يوم القيامة.

**سادساً**: الذي يقترب من الربا يقوم من قبره يوم القيامة كالمجنون، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ورسولنا ﷺ يقول: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»(٢)، ويقول ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية**»(٣)، فاتقوا الله عباد الله وإياكم أن تقتربوا من الربا، وإياك أن تعمل أو تضع مالك في دور الربا، وإياك أن تعطي مالك بالفائدة كما يسمون الرّبا في هذه الأيام ـ زعموا ـ.

**الملعون الثاني: الذي يقترب من الخمر.**

**أولاً**: إن الخمر أم الخبائث، وأم الفواحش، وأم الكبائر، ملعون من اقترب منها، ومن شربها ملعون، ومن قدمها على الطاولة للشارب ملعون، أيضاً ومن صبّها لمن يشربها ملعون أيضاً، ومن عصرها ملعون، ومن اعتصرها ملعون، ومن باعها ملعون، ومن اشتراها ملعون، ومن عمل في مصنع الخمر ملعون، ومن رخص للخمر ملعون، والذي يصنع زجاجات الخمر ملعون، والذي يصنع الصناديق البلاستيكية التي توضع فيها زجاجات الخمر ملعون، والذي يطبع الأوراق التي توضع على زجاجات الخمر ملعون، فاحذر يا عبد الله، فإن رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٢٠).

(٢) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص.ج» (٣٥٣٩)].

(٣) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، طس: (٣/ ١٢٤)، هب: (٤/ ٣٩٣)، [«ص.ج» (٣٣٧٥)].

**«لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»**(١).

**ثانياً**: الخمر: من شربها لم تقبل صلاته أربعين يوماً، يقول ﷺ: **«الخمر أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية»**(٢)، فيا من تخزنون الخمر في الثلاجات، يا من تجهزون لتعبئة الخمر من الآن قبل رمضان، يا من تحتفظون بالخمر من الآن لتشربوها في عيد الميلاد، نقول لكم: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

**ثالثاً**: الخمر من شربها حرم نفسه من الجنة، يقول ﷺ: **«ثلاثة قد حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث»**(٣).

**رابعاً**: الخمر من شربها في الدنيا سقاه الله يوم القيامة من طينة الخبال. يقول ﷺ: **«إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**، قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: **«عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»**(٤).

**خامساً**: الخمر: من شربها صار كالمجنون لا يميز بين زوجته وأمه وعمته وخالته، يقول ﷺ: **«الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع** ـ أي: زنا ـ **على أمه وخالته وعمته»**(٥).

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٤)، حم: (٢/ ٩٧)، ك: (٢/ ٣٧)، طس: (٨/ ١٦)، [«ص.ج» (٥٠٩١)].
(٢) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طس: (٤/ ٨١)، [«ص.ج» (٣٣٤٤)].
(٣) **صحيح**: حم: (٢/ ١٢٨)، [«ص.ج» (٣٠٥٢)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٠٠٢).
(٥) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طب: (١١/ ١٦٤)، طس: (٣/ ٢٧٦)، [«ص.ج» (٣٣٤٥)].

**الملعون الثالث: الراشي والمرتشي.**

***عباد الله!*** **أتعرفون الراشي؟ أتعرفون المرتشي؟ أتعرفون الرشوة؟** إن هذا لا يخفى عليكم، ولكنها ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، فنقول:

**الراشي**: هو الذي يدفع مبلغاً من المال، أو يقدم هدية أو مكافأة أو إكرامية للموظف المسؤول.

**المرتشي**: هو الموظف الذي أخذ ذلك المال أو الهدية أو الإكرامية، سواء أخذها مباشرة أو وضعت له في داخل ظرف المعاملة أو بواسطة شخص ثالث.

**الرشوة**: هي كل ما أخذه المرتشي من الراشي سواء كان قليلاً أم كثيراً. فهناك من يرتشي بقلم، وهناك من يرتشي بخمسة دنانير، وهناك من يرتشي بقطعة من الأرض، وهناك من يرتشي بسيارة، وهناك من يرتشي بعمارة، وكل هذا رشوة وإن سُمِّيت هدية أو إكرامية.

**عباد الله! اعلموا:**

**أولاً**: أن الرشوة جريمة من اقترب منها ملعون، يقول ﷺ: «**لعنة الله على الرَّاشي والمرتشي**»(١).

**ثانياً**: الرشوة ليست من أخلاق المسلمين، إنما هي من أخلاق وشيم اليهود، فهي سحت وحرام، واليهود هم الذين اعتادوا على ذلك، قال تعالى في ذمهم: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

**ثالثاً**: الرشوة: أكل لأموال الناس بالباطل، والله ﷻ يقول: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

**رابعاً**: الرشوة: سبب لانتشار الذل والفساد، فهي تجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، وتجعل المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً.

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٨٠)، ت: (١٣٣٧)، هـ: (٢٣١٣)، حم: (٢/ ٢١٢)، حب: (٥٠٧٧)، عب: (٨/ ١٤٨)، [«ص.ج» (٥١١٤)].

***عباد الله!*** وإذا فشت الرشوة في الأمة حل فيها:

الغش محل النصح، والخيانة محل الأمانة، والخوف محل الأمن، والظلم محل العدل.

فكم ضيعت الرشوة من حقوق؟! وكم أهدرت من كرامة؟! وكم من لئيم وضيع رفعته الرشوة؟ وكم من كريم رفيع المكانة أهانته الرشوة؟! فهي داءٌ وبيل، ومرض خطير فاتقوا الله في أموالكم.

***عباد الله!*** **وهذه رسالة نقدمها للمرتشي:**

وهو الموظف الذي مد يده لهذا المال الحرام؛ لعله أن يتوب:

**١ ـ أيها المرتشي:** اتقِ الله في نفسك، واتق الله في زوجتك وفي أولادك، فهذا المال الذي تجمعه من الرشوة سحتٌ وحرام، والرسول ﷺ يقول: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»[(١)]، ولقد كانت المرأة الصالحة في الصدر الأول من الإسلام إذا خرج زوجها للعمل أخذت بكتفه وقالت: اتقِ الله فينا، ولا تأتنا بمال من حرام فإنا نصبر على الجوع في الدنيا ولا نصبر على عذاب الله يوم القيامة.

**٢ ـ أيها المرتشي:** اعلم أن هذا المال الذي تجمعه من الرشوة حرام:

ـ فإذا أنفقته على نفسك وأولادك لم يُبارَك لك فيه.

ـ وإن تصدقت به لم يقبل منك.

ـ وإن تركته خلفك بعد الموت كان زاداً لك إلى النار.

**٣ ـ أيها المرتشي:** من قال لك بأن الرشوة تسمى هدية؟! من الذي لَبَّسَ عليك بهذه التسمية! إنه الشيطان، إن الحرام وإن سمي بغير اسمه فهو حرام، وتغيير الأسماء لا يجعل الحرام حلالاً. فهلَّا جلست في بيت

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/١٤١)، هب: (٥/٥٦)، حل: (١/٣١)، [«ص.ج» (٤٥١٩)].

أبيك وأمك حتى يُهدى إليك، إنها ما جاءتك إلّا وأنت في العمل، فهي ليست هدية إنما هي رشوة، فاسمع أيها المرتشي لعلك أن تتوب:

استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة، فلما جاء وحاسبه، قال الرجل: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأُمّك حتى تأتيك هديّتك إن كنت صادقاً؟**» ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هديةٌ أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة**»[(١)].

**أيها المرتشي**: أنسيت أنك موقوف بين يدي الجبار يوم القيامة؟ لتسأل عن هذا المال، من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسْأل عن أربع**، ـ فذكر منها ـ **وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟**»[(٢)]. فماذا ستقول لربك يوم القيامة إذا سألك من أين هذه الألوف؟ من الرشوة! أتتجرأ أن تقول ذلك أمام الله؟!

**أيها المرتشي**: اعلم بأن أكل الحلال يدفع إلى الأعمال الصالحة، وأكل الحرام يمنع عن الأعمال الصالحة، فكلما حرص الإنسان في أن يكون رزقه حلالاً وفق للأعمال الصالحة، وكلما ملأ الإنسان بطنه من الحرام حُرِم من الأعمال الصالحة. يقول ﷺ: «**أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله ـ تعالى ـ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال**: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال ـ تعالى ـ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر: أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا**

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٧٨)، م: (١٨٣٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (١١/١٠٢)، ع: (١٣/٣٥١)، ش: (٧/١٢٥)، حل: (١٠/٢٣٢)، [«ص.ج» (٧٣٠٠)].

**رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»**[١].

**ثم نقول للراشي** الذي دفع الرشوة: اتقِ الله في نفسك؛ لأنك عندما دفعت الرشوة عرضت نفسك للعنة، وأعنتَ على الإثم والعدوان، والله ﷻ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، والرسول ﷺ يقول: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[٢].

**أيها الراشي**: إنك عندما دفعت الرشوة لهذا الموظف كنت ظالماً لنفسك، وظالماً لهذا الموظف، وظالماً لأمتك ومجتمعك! نعم، فإننا لمّا دفعنا الرشوة أصبح الكثير من الموظفين في بلاد المسلمين ما تتحرك (المعاملة) من أمامهم إلا إذا دفع صاحبها الرشوة، فمن الذي عوّدهم على ذلك؟ إنه الراشي، لهذا فأنت أيها الراشي ظالم، قد ظلمت هذا الموظف، وظلمت المجتمع لأن الفقير إذا ذهب ليقدم معاملته فوجد الموظف الذي تعود على أخذ الرشوة ـ ولا يمكن أبداً أن يحرك المعاملة إلا بعد دفع الرشوة ـ فإن مصالحه ستتعطّل لأنه لا يقدر على دفع المال له.

### الملعون الرابع ـ المُحَلِّلُ والمُحَلَّلُ له.

***أمة الإسلام!*** الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، الطلاق مرتان وليس مئة، فليفهم الذين يكثرون من التلفّظ بالطلاق ـ ولا يجري على ألسنتهم إلا الطلاق ـ أن رب العزّة يقول ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي: إذا طلق الرجل زوجته المرة الأولى فله أن يراجعها في أثناء عدتها، وإذا طلقها المرّة الثانية يجوز له أن يراجعها في عدتها لهذه المرة الثانية أيضاً، أما إذا طلقها الطلقة الثالثة فإنها تصبح محرَّمة عليه فلا يحل له فلا يجوز له أبداً أن يراجعها حتى تنكح زوجاً غيره زواجاً طبيعياً

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

(٢) **صحيح**: هـ:(٢٣١٣)، حم: (٢/ ٢١٢)، عب: (٨/ ١٤٨)، [«ص.ج» (٥١١٤)].

صحيحاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ ـ أي: الطلقة الثالثة ـ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ ـ أي: الزوج الثاني ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ ـ أي: الزوجة إلى زوجها الأول ـ ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

***عباد الله!*** ولكن إذا جاء هذا الزوج الثاني واتفق مع الزوج الأول أو مع الزوجة وتزوج هذه المرأة التي طلقها زوجها الطلقة الثالثة فتواطآ جميعاً وتزوجها ليحلها للزوج الأول فهذا الزوج الثاني هو الذي يسمى (المحلِّل) أي: أنه يريد أن يحلل هذه المرأة لزوجها الأول، هذا الزوج الثاني الذي تزوجها ليحللها لزوجها الأول ملعون، والزوج الأول هو (المحلَّلُ لهُ) وهو ملعون أيضاً، قال ﷺ: «**لعن الله المحلِّلَ** ـ (وهو الزوج الثاني) ـ **والمحلَّلَ لهُ** ـ (وهو الزوج الأول) ـ »[(١)]. وهذا الزوج الثاني الذي تزوج المرأة ليحلّلها للزوج الأول هو «التيس المستعار»، وهذه العملية في بلاد الشام تسمى (بالتجحيش) يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بالتَّيس المستعار؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**هو المحلِّلُ، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له**»[(٢)]. وهذا العمل الخبيث الذي قام به المحلِّل ـ «التيس المستعار»، الزوج الثاني ـ يُعدّ كبيرة من الكبائر، وزواجهُ هذا زواج باطل فاسد، وهو آثمٌ وملعون، وإذا رجعت الزوجة لزوجها الأول بوساطة هذا التيس المستعار فزواجها الثاني باطل فاسد أيضاً، فإياكم أن تحتالوا على الله.

(جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوّجها أخٌ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ فقال

---

(١) **صحيح**: د: (٢٠٧٦)، هـ (١٩٣٥)، مي: (٢٢٥٨)، ش: (٧/ ٢٩٢)، هق: (٧/ ٢٠٧)، [«ص.ج» (٥١٠١)].

(٢) **صحيح**: هـ: (١٩٣٦)، ك: (٢/ ٢١٧)، قط: (٣/ ٢٥١)، طب: (١٧/ ٢٩٩)، هق: (٧/ ٢٠٨)، [«ص.ج» (٢٥٩٦)].

ابن عمر رضي الله عنهما: (لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعدُّ هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ)(١).

***عباد الله!*** أفيكم أحدٌ تورط بهذه المصيبة وهو لا يعلم؟ إن كنت لا تعلم فتلك مصيبة، وإن كنت تعلم فالمصيبة أعظم! فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم واحذروا من كثرة الطلاق، وليتقِ الله كل من يحلف بالطلاق على كل صغيرة وكبيرة، واحذر أن تطلق زوجتك الطلقة الثالثة ثم تبقيها عندك فإنك تزني بها وأنت لا تدري.

وتفقهوا يا عباد الله في دينكم، وإياك أيها المسلم أن تُقْبل على هذا العمل الخبيث السيء فتتزوج امرأة لتحلها لزوجها الأول، فالزواج من الزوج الثاني يجب أن يكون زواجاً طبيعياً صحيحاً فيتزوجها ويدخل بها ويجامعها، ويعيش معها ولكن فيما بعد إذا طلقها هذا الزوج الثاني لسبب ما جاز عندها للزوج الأول أن يتزوجها وإذا فعلوا غير ذلك فقد وقعوا في زواج باطل فاسد، وكان ذلك مما كان يعدّ سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ.

**اللهم فقهنا في ديننا**

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٢١٧)، هق: (٧/ ٢٠٨)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٣١١/ ١٨٩٨)].

٢١٥

# المجرم التاسع والعشرون ـ «الخائن»

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم التاسع والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الخائن».**

***أتعرفونه يا أمة الإسلام!*** إنه الخائن لله ولرسوله، إنه الخائن لدينه، إنه الخائن لأمانته، إنه الخائن لوطنه المسلم، إنه الخائن لزوجته وأولاده، إنه الخائن لوظيفته.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** الخائن مجرم في حق نفسه.

**العنصر الثاني:** الخيانة في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثالث:** الأمانة في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الرابع:** نضع النقاط على الحروف؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الأول ـ الخائن مجرم في حق نفسه، وذلك:**

**أولاً:** لأنه عرض نفسه بسبب الخيانة لسخط الله، ولعذاب الله في الدنيا والآخرة، ولأنه وقع فيما نهاه الله عنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقال ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخره له في الآخرة، من قطيعة الرحم، والخيانة،**

**والكذب»**(١). وهذه ذنوب عظيمة يعجل الله ﷻ لأصحابها العذاب في الدنيا قبل الآخرة، فقاطع الرحم يعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة، والخائن يعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة، والكذاب يعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة.

**ثانياً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه تخلق بأخلاق اليهود، فالخيانة والغدر من شيم اليهود، فالله ﷻ قال في كتابه في ذم اليهود: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] لأنه خائن.

**ثالثاً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه تخلق بأخلاق المنافقين، فالخيانة من شيم المنافقين ولا يليق أبداً بالمسلم أن يكون خائناً، يقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»(٢). وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»(٣).

**رابعاً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه حرم نفسه من محبة الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

**خامساً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه حرم نفسه من الهداية، فالله ﷻ أخبر أنه لا يهدي كيد الخائنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

**سادساً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للفضيحة يوم القيامة، يوم الفضيحة الكبرى، يوم تبلى السرائر، فهناك يرفع للخائن لواء ويقال: هذه غدرة فلان، أي: خيانة فلان، يقول ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر** ـ (أي: خائن) ـ **لواءٌ، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»(٤) أي: هذه خيانة فلان.

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٥٧٠٥)].
(٢) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).
(٤) **صحيح**: م: (١٧٣٥).

**سابعاً**: الخائن مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للإفلاس يوم القيامة من الحسنات، يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١).

**العنصر الثاني ـ الخيانة في ميزان الكتاب والسنة:**

الله ﷻ في كتابه حذر من الخيانة وشدد في ذلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧]. والرسول ﷺ حذر من الخيانة، فقال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(٢)، أي من عصى الله فيك بالخيانة فاتق الله أنت ولا تَخُنْهُ، فلا ينبغي للمسلم أبداً أن يفعل ذلك، ورسولنا ﷺ ينفي الإيمان الكامل عن الخائن، فيقول ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(٣)، وقال ﷺ: «**تقبلوا** ـ أي تكفلوا وتضمنوا ـ **لي بستٍ، أتقبل** ـ أي أضمن ـ **لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا أؤتمن فلا يخن، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم**»(٤)، واستعاذ ﷺ بالله من الخيانة، فقال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

(٢) **صحيح**: د: (٣٥٣٥)، ت: (١٢٦٤)، حم: (٣/ ٤١٤)، مي: (٢٥٩٧)، ك: (٢/ ٥٣)، قط: (٣/ ٣٥)، طب: (١/ ٢٦١)، [«ص.ج» (٢٤٠)].

(٣) **صحيح**: حم: (٣/ ١٣٥)، حب: (١٩٤)، طس: (٦/ ١٠٠)، ع: (٥/ ٢٤٦)، ش: (٦/ ١٦٨)، هب: (٤/ ٧٨)، [«ص.ج» (٧١٧٩)].

(٤) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٩٩)، هب: (٤/ ٧٨)، [«ص.ج» (٢٩٧٨)].

**من الخيانة فإنها بئست البطانة»**[١]، أي: بئس ما يعقد الإنسان قلبه عليه أن يعقده على الخيانة، فيظهر للناس في ظاهر المسلم الأمين وهو في الداخل خائن لله ولرسوله ولأمانته.

**العنصر الثالث ـ الأمانة في ميزان الكتاب والسنة:**

***عباد الله!*** الأمانة حمل عظيم ثقيل لا يقدر على حملها إلا الرجال، ولذلك قال ربنا جل وعلا في كتابه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ففي هذه الآية يخبرنا ربنا جل وعلا أنه عرض الأمانة بثقلها على السموات والأرض والجبال، وكما علمتم ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، ومع ذلك عرض الله عليهنَّ الأمانة فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، أتدرون لم يا عباد الله؟ خوفاً مِنَ التقصير في حقها، وخوفاً من العذاب الأليم الذي أعده الله للمضيعين للأمانة يوم القيامة، وحملها ذلك الإنسان المسكين إنه كان ظلوماً جهولاً، فانقسم الناس بعد حمل الأمانة إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** قسم التزم بالأمانة ظاهراً وضيعها باطناً، وهم المنافقون والمنافقات، الذين أظهروا الإيمان خوفاً من أهله، وأبطنوا الكفر حباً ومتابعة لأهله.

**القسم الثاني:** قسم ضيع الأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات، الذين أظهروا الكفر وأبطنوه.

**القسم الثالث:** قسم التزم بالأمانة وحافظ عليها وأداها ظاهراً وباطناً وهم المؤمنون والمؤمنات الذين اتصفوا بالإيمان ظاهراً وباطناً، ولقد أخبرنا الله ﷻ في الآية التي جاءت بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ

---

(١) **حسن**: د: (١٥٤٧)، ت: (٥٤٦٨)، هـ: (٣٣٥٤)، حب: (١٠٢٩)، ع: (١١/ ٢٩٧)، [«ص.ج» (١٢٨٣)].

عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . .﴾ [الأحزاب: ٧٢]، أنه عذب القسم الأول والقسم الثاني (وهم المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات) الذين ضيعوا الأمانة، أما القسم الثالث الذين أدوا الأمانة وحافظوا عليها فقد أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً. قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ ـ هذا القسم الأول ـ ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ ـ هذا هو القسم الثاني ـ ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [الأحزاب: ٧٣]. وهذا هو القسم الثالث الذي أدى الأمانة ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

***عباد الله!*** أمر الله عباده في كتابه بأداء الأمانة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

إذا أمَّنك أخوك على ابنته فاتقِ الله، وإذا أمَّنك الله على زوجةٍ وأولادٍ فاتقِ الله، وإذا أمننا الله على ديننا الإسلامي فلنتقِ الله، ورسولُنا ﷺ أمر بأداء الأمانة كما سمعتم فقال: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(١)، وقد مدح الله الذين يؤدون الأمانة ووعدهم الفردوس الأعلى في جنات النعيم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

● وأخبرنا ﷺ أن من أدى الأمانة تحصل على محبة الله، وعلى محبة رسول الله ﷺ، يقول ﷺ: «**إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله ﷺ فأدوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار من**

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٢٣١).

**جاوركم»**(١).

• وقد أخبرنا ﷺ أن أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى في الدين الصلاة. فالذي يبقى لنا من ديننا الصلاة فمن ضيع الصلاة فلا خير فيه، يقول ﷺ: «**أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة**»(٢).

ويقول حذيفة رضي الله عنه: (حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا «**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**». ثم حدثنا: عن رفع الأمانة قال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفِط فتراه منتبراً وليس فيه شيء**»، ثم أخذ حصىً فدحرجه على رجله «**فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»، ولقد أتى عليَّ زمان وما أُبالي أيكم بايعت: لئن كان مسلماً ليُردَّنه عليَّ دينه، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه عليَّ ساعيه، أما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً)(٣). ومعنى الحديث: أن الأمانة كانت موجودة في الناس عن طريق الفطرة والوحي، ثم أخذت تقبض منهم لسوء أفعالهم، وهكذا ستزول الأمانة من القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زال نوره وخلَفه ظلمة، ثم إذا زال الجزء الثاني خلفه ظلمة أشد من الظلمة التي قبلها، ويصبح الأمين بعد ذلك غريباً بين الناس حتى يمدح من لا خير فيه ولا إيمان!!

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٣٢٠)، [«ص.ج» (١٤٠٩)].
(٢) **حسن**: طص: (١/ ٢٣٨)، هب: (٤/ ٣٢٥)، [«ص.ج» (٢٥٧٥)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦١٣٢)، م: (١٤٣).

انظر إلى أحوال المسلمين اليوم، فوالله لا يكاد أحد منهم يؤدي الأمانة إلا من رحم ربي.

***عباد الله!*** أول ما يرفع من الناس الأمانة، وأظن أنها قد رفعت ـ إلا عند من رحم ربي ـ وأخبرنا ﷺ أن رفع الأمانة علامة على اقتراب الساعة ودليل على أنه قد أزفت الأزفة، ودليل على أنه قد اقترب الوعد الحق.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: متى الساعة؟... فقال ﷺ: «**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، وكيف إضاعتها؟ قال ﷺ: «**إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)]، فهل يختلف اثنان بعد هذا في أنه قد أزفت الأزفة، واقترب الوعد الحق؟ فاتقوا الله في أنفسكم وأدوا الأمانة.

***عباد الله!*** من ذبح لغير الله فقد خان الأمانة.

• والعبادات التي نتقرب بها إلى الله أمانة، فالصلاة والصيام والحج أمانة، والوضوء والغسل أمانة، فيا من ضيعت الصلاة أنت خائن للأمانة، ويا من تركت الصيام في رمضان أنت خائن للأمانة، ويا من تركت الغسل من الجنابة أنت خائن للأمانة.

• البيع والشراء أمانة، فمن كذب في بيعه وشرائه وكتم العيوب على المشتري فقد خان الأمانة.

• المجالس التي نجلسها أمانة، فمن نقل ما فيها بنية الإفساد بين الأحبة فقد خان الأمانة.

• الوظيفة أمانة فمن أخر المعاملات، ووضعها في مكانٍ مجهول حتى تدفع له الرشوة فقد خان الأمانة، وكم من الموظفين مَنْ يخون الأمانة؟ فاعلم أيها الموظف المرتشي يا من منعت المعاملة أن تتحرك إلا بدفع الرشوة أنك خائن للأمانة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩).

• الزوجة عندك أمانة فإن تركتها تذهب كما تشاء، وتجلس مع من تشاء، وتصافح من تشاء، فأنت خائن للأمانة لأنها ستقع في حبائل الزنا فتكون مشتركاً معها في هذه الجريمة.

• أولادك أمانة فإن أطعمتهم من الحرام، وتركتهم يتربون على شاشات المفسديون ويقلدون الكفار، ويتركون الصلاة فأنت خائن للأمانة.

• الرعية في عنق الراعي أمانة، فإن غشها ولم يكن لها ناصحاً فهو خائن للأمانة.

والرعية إذا لم تكن ناصحة لولي الأمر، وخرجت عليه ورفعت السلاح عليه فقد خانت الأمانة، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

***عباد الله!*** المال الذي في أيديكم أمانة، فمن أنفقه على (الستالايت) وعلى الراقصات في الأعراس والفنادق، ومن أنفقه على الدخان وشرب الخمر ومن أنفقه على (شمات) الهواء في بلاد الكفر فقد خان الأمانة، والله ﷻ يمهل ولا يهمل، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

فاتقوا الله عباد الله، وأدوا الأمانات إلى أهلها، و«**أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[١]، أي: إذا خانك إنسان فلا تخُنَه استجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٢٣١).

٢١٦

# المجرم الثلاثون ـ المسرف

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المسرف».**

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي ينفق ماله في معصية الله، إنه الذي ينفق ماله تقرباً للشيطان وطاعة له، إنه الذي ينفق ماله بالليل والنهار ليزداد قرباً بماله من غضب الله والنار.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: الإنفاق في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني**: الإسراف والترف في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثالث**: كيف يتعامل الله ﷻ مع الشاكرين لنعمه والكافرين بها.

**العنصر الرابع**: الإسلام والمال.

**العنصر الأول ـ الإنفاق في ميزان الكتاب والسنة:**

الله ﷻ في كتابه أمرنا بالإنفاق، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١٠، ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

***عباد الله!*** بعد أن أمرنا الله ﷻ بالإنفاق، أمرنا في كتابه أن ننفق من طيبات ما كسبنا، وأن ننفق من الحلال، فالله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

***عباد الله!*** وبعد أن أمرنا الله ﷻ بالإنفاق، وبالإنفاق من الطيبات أمرنا بالاعتدال في الإنفاق، وحذرنا من البخل والشح والتقصير، وحذرنا من الإسراف والتبذير، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والتهلكة هي: البخل والشح الذي يمنعك من الإنفاق في سبيل الله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي: لا تكن بخيلاً شحيحاً، ولا تكن مبذراً مسرفاً فتقعد ملوماً محسوراً.

- وأثنى الله ﷻ على المعتدلين في الإنفاق فقال في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]. أمر بالإنفاق، وأمر بالإنفاق من الطيب، وأمر بالاعتدال في الإنفاق والنفقة، ونهى عن الشح والبخل، ونهى عن الإسراف والترف.

**العنصر الثاني! الإسراف والترف في ميزان الكتاب والسنة.**

***عباد الله!*** الإسراف والترف في ميزان الكتاب والسنة يعد من المحرمات.

• ولذلك أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنه لا يحب المسرفين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

• وأخبر الله ﷻ أنه لا يهدي المسرفين إلى طريق الرشاد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

• وأخبر الله ﷻ أنه يضل المسرفين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

**عباد الله!** الإسراف في ميزان الكتاب والسنة نوعان:

**النوع الأول ـ إسراف في الإنفاق «وهو التبذير»:**

والله ﷻ يقول: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (التبذير: هو الإنفاق في غير حق، أما الإنفاق في الحق فلا يُعد تبذيراً).

وقال مجاهد: (لو أنفق إنسانٌ ماله كله في الحق لم يكن تبذيراً ولو أنفق مُداً في غير حق كان مبذراً).

فانظروا رحمكم الله: إذا كان الإنفاق في معصية الله هو تبذير وحرام، فماذا يقول المدخنون ـ مثلاً ـ لربهم يوم القيامة؟!

• الدخان والإنفاق على شرب الدخان إسراف وتبذير وحرام، والله سائلهم يوم القيامة عن أموالهم التي أنفقوها في شرب الدخان، وسائلهم عن صحتهم التي أهلكوها في شرب الدخان، وسائلهم عن إيذائهم للناس والملائكة بشرب الدخان، فالملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فليتقِ الله الذين يدخنون.

• وهذه الأموال الطائلة التي تنفق في الأعراس على الراقصات والمغنيات والمشروبات ـ التي يسمونها مشروبات روحية وهي خمر في

الحقيقة ـ في الفنادق، ويبررون ذلك فيقولون: نريد أن نفرح بزواج أبنائنا؟! وهذا كله إسراف وتبذير وحرام.

**النوع الثاني ـ إسراف في الشهوات وقضاء الحاجات:**

كالإسراف في الأكل والشرب، فالأكل والشرب حلال ولكن إذا أسرفنا فيهما انتقل من الحلال إلى الحرام، وفي موضعين اثنين من كتاب ربنا ينهانا عن الإسراف في الأكل والشرب، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

***عباد الله!*** الإسراف في الأكل والشرب والملذات يضر بالعقل والصحة والدين، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

انظروا يا عباد الله متى أضاعوا الصلاة؟ عندما أغرقوا أنفسهم في الشهوات والملذات، وطبقوا ذلك على المترفين في هذه الأيام وسترون أنهم تركوا الصلاة، وضيعوا دينهم لأنهم لا شاغل لهم إلا الشهوات، ولا هم لهم إلا أن يأكلوا ويشربوا كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.

كثرة الأكل والشرب والإسراف فيهما مضرٌ بالصحة، كما قال ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه..**»(١).

***أمة الإسلام!*** الإسراف في الطعام والشراب والشهوات والملذات يجر

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٨٠)، هـ: (٣٣٤٩)، حم: (٤/ ١٣٢)، حب: (١٢/ ٤١)، ك: (٤/ ٣٦٧)، طب: (٢٠/ ٢٧٢)، هب: (٥/ ٢٨)، [«ص.ج» (٥٦٧٤)].

الأمة إلى الترف المذموم، والترف إذا حل بالأمة دمرها وأهلكها وذلك:

**أولاً**: لأن المترفين هم الذين يرفضون الإسلام، ويعادون الرسل والدعاة، أتدرون لِمَ؟ لأن الرسول إذا جاءهم أو الداعية إذا جاءهم ودعاهم إلى الجنة وحذرهم من النار، وأخبرهم أن الجنة حفت بالمكاره فهو ـ بنظرهم ـ يدعوهم إلى ما يكرهون، وإذا أخبرهم أن النار حفت بالشهوات فكأنه يحذرهم مما يشتهون، لهذا فإنك تراهم يعادون الرسل والدعاة ويقفون سداً منيعاً في منع الإسلام من الانتشار بين الناس وهذا واقعٌ في كل زمان ومكان، ويخبرنا ربنا جل وعلا عن هؤلاء في كتابه فيقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾، ثم يقول الله ﷻ لرسوله: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾، ثم يقول الله لهم: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٤ ـ ٣٧]، فأنت بالإيمان والعمل الصالح تقرب من الله وتدخل الجنة، أما كثرة الأموال والأولاد فإنها لا تقرب عند الله زلفى إلا من آمن.

**ثانياً**: لأن الترف سبب لهلاك الأمم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

**ثالثاً**: الترف سبب لدخول النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥]، أي: كانوا في دار الدنيا منعمين مقبلين على ملذاتهم وشهواتهم.

**رابعاً**: الترف سبب لإيجاد جيل مائع لا خلاق له، وانظروا إلى أبناء المترفين؛ جيل مائع لا يعرف الرجولة، انظروا إلى الشاب الذي تربى

على الترف والتنعم إذ لا يمكن أبداً أن يخطر على بالك أن يقود هذا الشاب يوماً ما جيشاً في سبيل الله! أو أن يقاتل في سبيل الله! أو يحافظ على عِرْض أبداً؛ فهو جيل مائع لا يعرف إلا الشهوات والملذات، وأنتم ترون ذلك بأم أعينكم وترون من أبناء المترفين: شاب يلبس (الحلق) في أذنيه، ويعقد شعره من الخلف كالأنثى، ويكحل عينيه، ويضع على وجهه ما تضعه الفتاة وينتف حاجبيه ويمشي متسكعاً في الشوارع، وكأنه يدعو الشباب إلى الفاحشة، إنه جيل فاسد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

**خامساً**: لأن المترفين يعملون على نشر الفساد في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦]، استمروا ـ أي المترفين ـ على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك المصلحين حتى فاجأهم العذاب.

**سادساً**: الترف سبب لانتشار الأمراض الفتاكة، فانظروا إلى الأمراض التي تنتشر في أوساط المترفين كتصلب الشرايين، وجلطات القلب، وموت الفجأة، وضغط الدم، والسكري، إنها تنتشر بسبب التنعم والترف وقلة الحركة، فربوا أنفسكم على الخشونة يا عباد الله حتى إذا تعرضتم للإبتلاء في هذه الأيام أو تعرضتم للجهاد، أو للدفاع عن العرض والوطن، فتكونوا في ذلك رجالاً. من أجل ذلك حذرنا الله ﷻ من الإسراف وأثنى على عباده عباد الرحمن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

**العنصر الثالث ـ كيف يتعامل الله ﷻ مع الشاكرين لنعمه والكافرين بها:**

***عباد الله!*** إن الله ﷻ قد أنعم علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ثم وعدنا ربنا أن من شكر نعمه زاده، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وتوعد الله ﷻ الذين كفروا بنعمه

بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

• وانظروا عباد الله إلى قارون عندما عصى الله ﷻ بماله ماذا فعل الله به، والعاقل من اتعظ بغيره.

• وانظروا إلى صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف عندما تكبر على صاحبه بماله ماذا فعل الله به، والعاقل من اتعظ بغيره.

فاتقوا الله في نعمه عليكم، واشكروا الله ﷻ لتزداد من هذه النعم، وإياكم أن تعصوا الله بمال الله فيأخذه من بين أيديكم، ثم تردون إلى عذاب أليم.

**العنصر الرابع ـ الإسلام والمال:**

***أمة الإسلام!*** جاء الإسلام يأمر بالمحافظة على المال، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

• وحفاظاً على المال فقد شرع الله ﷻ قطع يد السارق، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

• وأخبرنا ربنا ﷻ أن المال زينة الحياة الدنيا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٤٦].

• وأخبرنا ربنا ﷻ أيضاً أن المال فتنة فاحذروه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

• وأخبرنا الله ﷻ أننا بطبيعتنا وفطرتنا نحب المال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠].

• فلمّا كان المال فتنة حذر منه رسول الله ﷺ أيضاً فقال: «**إن لكل**

**أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال»**(١).

● وجاء الإسلام يحذر من الانشغال بالمال عن الصلاة والدار الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: ٩]. فمن انشغل بالمال عن الصلاة وعن ذكر الله، وعن الاستعداد للدار الآخرة فأولئك هم الخاسرون.

● وجاء الإسلام يأمرنا بأن نكتسب المال من الحلال، وأن ننفقه في الحلال فإن الله ﷻ سائلنا يوم القيامة عن هذا المال، ولذلك يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع**» ـ وذكر منها: ـ «**وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟**»(٢).

**السؤال الأول:** من أين اكتسبته؟ إكتسبته من الحلال، وأنفقته في الحلال؟ فإنْ كان غير ذلك عاقبك الله.

● فيا آكل الربا، ويا من وضعت مالك في البنك لتعيش من ورائه على الفائدة، ماذا ستقول لربك يوم القيامة إذا سألك عن هذا المال؟ من أين اكتسبته؟ من الربا؟! فالويل لك.

● ويا شارب الدخان إذا سألك الله ﷻ أين أنفقت هذا المبلغ من المال؟ تقول: على الدخان؟! فالويل لك!! مال الله في يدك وأنت تعصي الله به! لقد أحل الله لك الطيبات وحرم الخبائث، والدخان من الخبائث، وهو إنفاق للمال في الحرام، وإضرار بالصحة، وإسراف وتبذير، وإيذاء للناس والملائكة، فتب إلى الله واتركه.

● وجاء الإسلام يخبرنا أن المال لا يدخل مع صاحبه في القبر،

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/ ١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/ ٣٥٤)، طب: (١٩/ ١٧٩)، هب: (٧/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (١١/ ١٠٢)، ع: (١٣/ ٣٥١)، بز: (٤/ ٢٦٦)، ش: (٧/ ١٢٥)، [«ص.ج» (٧٣٠٠)].

فاعتبروا يا من تجمعون المال بالليل والنهار، يا من تركتم الصلاة وذكر الله من أجل المال فإن رسول الله ﷺ يقول: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله**»[١].

فالمال الذي تنفقه في حياتك قبل موتك هو مالك الذي تقدمه بين يديك عند الله، ومال الورثة هو ما تتركه خلفك، فقدم وادخر لنفسك عند الله ما شاء.

● أما من جمع ماله من الحرام فإن أنفقه في حياته لم يقبل منه، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإذا تركه خلفه لأولاده فهو زاده إلى النار، فاتقوا الله عباد الله، وإياكم والشح والبخل، وإياكم والإسراف والتبذير وعليكم بالاعتدال في الإنفاق.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

٢١٧

# المجرم الحادي والثلاثون ـ المستهزىء بالإسلام والمسلمين

***عباد الله:*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الحادي والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله إنه «المستهزئ بالإسلام والمسلمين»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟!!*** إنه الذي يستهزئ ويسخر بالإسلام، إنه الذي يستهزئ ويسخر بالمصلين، إنه الذي يستهزئ ويسخر من المتمسكين بالإسلام، إنه الذي يستهزيء ويسخر من علماء المسلمين الذين يعلِّمون الناس دين الإسلام، إنه الذي يستهزئ ويسخر من طلاب العلم الذين تمسكوا بدينهم وحافظوا عليه وعضوا عليه بالنواجذ، إنه الذي يستهزئ من المرأة المتحجبة ويسخر من جلبابها الطويل.

***عباد الله!*** وهذا الذي يستهزئ ويسخر من الإسلام والمسلمين مجرم بنص القرآن، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦]، ونقول لهؤلاء الذين يسخرون ويستهزؤون بالإسلام والمسلمين: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** الاستهزاء والسخرية في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني:** هؤلاء في قلوبهم مرض.

**العنصر الثالث:** العاقل من اتعظ بغيره.

**العنصر الأول ـ الاستهزاء والسخرية في ميزان الكتاب والسنة:**

**أولاً:** الاستهزاء والسخرية حرام في الكتاب والسنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

**ثانياً:** الاستهزاء والسخرية يجر بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله، ففي غزوة تبوك استهزأ جماعة من المنافقين بأصحاب رسول الله ﷺ وقالوا ما قالوا في حقهم، وقالوا: نخشى أن ينزل الله ﷻ قرآناً فيما قلنا فيفضحنا، وقالوا ذلك استهزاءً، فأنزل الله ﷻ قرآناً فيهم يُتلى إلى يوم القيامة يكفرهم بعد إيمانهم، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون ويقولون: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، يقول الله ﷻ ـ في سورة التوبة التي تسمى بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين ـ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥].

**ثالثاً:** الاستهزاء والسخرية سبب من أسباب دخول النار، فليحذ الرجل الذي يسخر بكلمة من الجلباب الشرعي، أو يسخر بكلمة من

اللحية، أو يسخر بكلمة من الصلاة، أو يسخر من تطبيق أحكام الله، فلربما خرج بهذه الكلمة من الإيمان ودخل بها النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١١١].

السبب الذي أدخلهم النار أنهم كانوا في هذه الدنيا يسخرون من المؤمنين الصادقين الموحدين الذين يرفعون أيديهم بالليل والنهار ويقولون: ربنا إننا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. نعم فلقد كنتم يا أهل النار تضحكون ممن أَعفى لحيته وقصر ثوبه! كنتم تضحكون ممن ارتدت جلبابها الشرعي! كنتم تضحكون ممن يحافظ على الصلاة ويطالب بتطبيق حكم الله! كنتم تضحكون وتسخرون من الإسلام والمسلمين! وفعلتم ذلك حتى ﴿أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾، ثم يبشر الله ﷻ المؤمنين الصادقين الذين صبروا على أذى الكفار فيقول: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١]، فالصبر الصبر يا عباد الله، اصبروا على أذى الكفار، وعلى أذى المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

فإن سخروا منكم لأنكم أطلقتم اللحية عزة وطاعة لله فاصبروا، وإن سخروا منكم لأنكم حجبتم نساءكم فاصبروا، وإن سخروا منكم لأنكم تطالبون بالإسلام وتتمسكون به فاصبروا، لتفوزوا في الدنيا والآخرة بإذن الله.

**رابعاً**: الاستهزاء والسخرية كما قلنا سبب لدخول النار، واسمعوا اعتراف أهل النار إذ يعترفون أنهم كانوا في هذه الدنيا يسخرون من المؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ فهم في النار يتساءلون: أين خباب؟ أين عمار؟ أين بلال؟ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٥٥ ـ ٦٤].

**خامساً**: اعلموا أن الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، فإن الله ﷻ ـ جزاءً وفاقاً ـ جعل الذين يسخرون من المؤمنين في الدنيا يُسخر منهم يوم القيامة، وجعل الذين يضحكون من المؤمنين في الدنيا يُضْحَكُ منهم في الآخرة، وشتان بين ضحك هؤلاء وضحك هؤلاء! ولذلك يقول الله لهم: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٦]. نعم، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، يضحك أهل الجنة وهم على الأرائك في الجنة من الكفار وهم في النار يعذبون. فهل أخذ الكفار جزاءهم بهذا على ما كانوا يفعلون في الدنيا؟ نعم يا ربنا.

### العنصر الثاني: هؤلاء في قلوبهم مرض:

***عباد الله!*** الذين يسخرون ويستهزئون ويضحكون مِن المؤمنين يعبرون عما في قلوبهم، لأن اللسان يغرف مما في القلب، فالقلب الذي امتلأ

إيماناً صادقاً وتوحيداً وحباً لله ولرسوله وللمؤمنين ترى صاحبه يعبر بلسانه عن ذلك، ويعبر بقلمه وهو يكتب عن ذلك. والقلب الذي امتلأ نفاقاً وبغضاً لله ولرسوله وللمؤمنين فإنه يُظهر ذلك من خلال لسان صاحبه وقلمه، فتراه إذا تكلم عبَّر عما في قلبه، وإذا كتب أخذ يلمز ويعبر عما في قلبه وهو لا يدري، ولذلك وصفهم لنا ربنا في كتابه، بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٦].

• ونقول لهؤلاء: كيف تسخرون من الإسلام يا مرضى القلوب وهو دين الله الذي ارتضاه للبشرية إلى يوم القيامة؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

• كيف تسخرون من الإسلام وهو الدين المقبول عند الله يوم القيامة ولن يقبل الله ديناً سواه؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

• كيف تستهزئون يا مرضى القلوب بالإسلام وهو الدين الكامل الذي ما ترك شيئاً يقربنا إلى رضى الله والجنة إلا وأمرنا به، وما ترك شيئاً يقربنا إلى سخط الله والنار إلا وحذرنا منه؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

• كيف تسخرون من الإسلام وهو الدين القيم؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١]. ثم كيف تستهزئون ممن تمسك بدينه؟! من هو أولى بالاستهزاء والسخرية الشباب الذين تربوا على شاشات

المفسديون، والذين يقضون أوقاتهم في دور السينما والملاهي، والسهرات الحمراء؟! أم الشباب المسلم الذي تمسك بدينه، وعضّ عليه بالنواجذ؟! أتسخرون من المرأة التي سترت عرضها ولحمها خوفاً من أن يباع في الشوارع رخيصاً، ولا تستهزئون من المرأة المتبرجة السافرة العاهرة التي تبيع لحمها للذئاب؟! أي الفريقين أحق بالسخرية والاستهزاء؟! الذين تمسكوا بدين الله أم الذين أعرضوا عن ذكر الله؟ ولكن نقول: هؤلاء في قلوبهم مرض.

**العنصر الثالث: العاقل من اتعظ بغيره:**

***أمة الإسلام!*** ما من رسول جاء يدعو قومه إلا سُخر منه واستُهزئ به، قال تعالى لرسولنا ﷺ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنبياء: ٤١].

● فهذا نوح عليه السلام: دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى عبادة الله وحده، وحذرهم من الشرك، فسخروا منه وكان كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

فماذا كانت النتيجة؟ لقد أنزل الله ﷻ ماءً من السماء وأخرج ماءً من الأرض فالتقى الماء على أمر قد قدر، وأغرق الله ﷻ قوم نوح الذين سخروا واستهزءوا بنوح، ونجى نوحاً والذين آمنوا معه، وقال للظالمين بعد أن أغرقهم: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

● وهذا موسى عليه السلام: لمّا جاء يدعو فرعون، سخر واستهزأ به فرعون وقومه، فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: ٤٥]، وقال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٢]، وكان يقول ذلك سخرية واستهزاءً بموسى عليه السلام فماذا كانت النتيجة؟ يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ

وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٤٠].

لقد أغرق الله فرعون وجنوده ونجى موسى ومن آمن معه.

● وهذا رسولنا ﷺ سخر كفار مكة منه واستهزءوا به فقالوا كما أخبرنا ربنا جل وعلا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]. وقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ [ص: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦]، فسخروا من رسول الله ﷺ ومن أصحابه فأذاقهم الله الذل يوم بدر ويوم الأحزاب، وبعد ذلك نصر الله رسوله والذين آمنوا معه.

● هذا في الدنيا ينتقم الله ﷻ من الذين يسخرون ويستهزئون من الإسلام والمسلمين.

● أما في الآخرة: فإن الله ﷻ يرفع الذين آمنوا واتقوا فوق الذين سخروا واستهزءوا، قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٢].

***فيا عباد الله!*** احذروا أن تسخروا أو تستهزئوا بأحد من المسلمين، وإياكم أن تجلسوا في هذه المجالس التي يُسْتَهْزَأُ فيها بدين الله، فلقد حذرنا ربنا جل وعلا في كتابه من ذلك فقال ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٤٠].

فإذا جلستم معهم بعد ما سمعتم الاستهزاء والسخرية بدين الله وبالمسلمين فإنكم إذاً مثلُهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ٦٨].

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

٢١٨

# المجرم الثاني والثلاثون ـ المعرض عن القرآن الكريم

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدث عن المجرم الثاني والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المعرض عن القرآن الكريم»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟!*** إنه المعرض عن كلام الله، إنه الذي إذا ذُكّر بالقرآن لم يتذكر، إنه الذي إذا وعظ بالقرآن لم يتعظ، إنه الذي إذا ذُكّر بالقرآن صدق فيه قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٦، ٧]. إنه الذي أعرض عن آيات الله، وأقبل على الغناء والموسيقى والدنيا الفانية، إنه الذي قال الله فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية: ٧ ـ ٩].

***عباد الله!*** والمعرض عن القرآن الكريم مجرم بنص القرآن، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: القرآن الكريم تجارة رابحة.

**العنصر الثاني**: نتائج سيئة بسبب الإعراض عن القرآن الكريم.

**العنصر الثالث:** واجب المسلم نحو القرآن الكريم.

**العنصر الأول ـ القرآن الكريم تجارة رابحة:**

القرآن تجارة رابحة، والإنسان بطبيعته يحب التجارة، ويحب الربح الوفير، والله ﷻ يعلم ذلك منا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]. فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠]. وهذا نداء علينا نحن وليس على اليهود أو النصارى، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، فدل هذا على أن القرآن الكريم تجارة رابحة لن تبور وذلك:

**أولاً:** لأن الإنسان بتلاوة القرآن يتحصل على الحسنات الكثيرة، والحسنات يوم القيامة هي التي تحدد مصيرك إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن زادت حسناته فإلى الجنة، ومن زادت سيئاته فإلى النار، وهذا طريق أمامك يا عبد الله لتتحصل به على الحسنات الكثيرة ألا وهو تلاوة القرآن، فلينتبه الذين يضيعون أوقاتهم في القيل والقال، والذين يقتلون الوقت ـ كما يزعمون ـ أمام المفسديون، والذين يضيعون أوقاتهم في لعب الشدة وغيرها، لِمَ لا يتاجرون مع الله بتلاوة القرآن؟ يقول ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن ألف حرفٌ، ولام حرف، وميم حرف**»[(١)].

**ثانياً:** القرآن تجارة رابحة: لأنه يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٩١٠)، هب: (٢/٣٤٢)، حل: (٦/٢٦٣)، [«ص.ج» (٦٤٦٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٨١٧).

**أما في الدنيا:** فالذي يتقدم للإمامة بالناس هو حامل القرآن، وهذا شرف له يقول ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»(١). فلم يقل ﷺ أغناهم وأشرفهم! فهذه رفعة لحامل القرآن وصاحبه، فاقبلوا على القرآن يا أمة الإسلام، وقال ﷺ: «**إن من إجلال الله ـ تعالى ـ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٢).

**أما في القبر:** فإذا دَفَنَّا في القبر الواحد أكثر من رجل لضرورة ما، فإن صاحبَ القرآن يُقدم في اللحد على غيره، ففي غزوة أحد كان (النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟**» فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد)(٣) أي: في جهة القبلة على غيره، فتأملوا يا عباد الله! حتى في القبر فإن صاحب القرآن يُقدم على غيره.

**أما يوم القيامة:** فيقول ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن** ـ أي: يوم القيامة ـ **اقرأ وارق ورتل، كما كنت ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»(٤)، اقرأ وارتفع، وكم من ندمٍ ينزل على الذين ضيعوا أوقاتهم أمام المفسديون؟! وقال ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران**»(٥).

---

(١) **صحيح**: م: (٦٧٣).

(٢) **حسن**: د: (٤٨٤٣)، خد: (٣٥٧)، طس: (٧/ ٢١)، ش: (٤/ ٤٤٠)، هب: (٢/ ٥٥٠)، [«ص.ج» (٢١٩٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٢٧٨).

(٤) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ك: (١/ ٧٣٩)، ش: (٦/ ١٣١)، هب: (٢/ ٣٤٧)، [«ص.ج» (٨١٢٢)].

(٥) **صحيح**: خ: (٤٦٥٣)، م: (٧٩٨).

**ثالثاً**: ـ القرآن تجارة رابحة: لأنه يجعلك من خير الناس، يقول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**»، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال ﷺ: «**أهل القرآن أهل الله وخاصته**»(٢).

**رابعاً**: القرآن تجارة رابحة: لأنه بتلاوته تنزل الملائكة وتفر الشياطين. فالبيت الذي يقرأ فيه القرآن تملؤه الملائكة، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالقبر على أصحابه تملؤهُ الشياطين، فلينظر كل منا في بيته، ما هي الأصوات التي تسمع فيه ليلاً ونهاراً؟ أهو القرآن أم المفسديون؟ يقول ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٣).

وقرأ أسيدُ بن حضير رضي الله عنه القرآن ليلة فجالت فرسه، ثم قرأ فجالت فرسه، فنظر فرأى مثل الظلة فوق رأسه فيها أمثال السُّرُج، عرجت في الجو، فسأل رسول الله ﷺ فقال له: «**تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»(٤) ويقول ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(٥).

فيا أخا الإسلام منذ متى لم تقرأ سورة البقرة في بيتك؟ كلما تكلمنا وحذرنا من (الستالايت) كلما زاد عددها على ظهور البيوت!! فواعجباً! وكأن الأمة الإسلامية تتحدى دينها وتتحدى ربها! واللهِ يا أمة الإسلام

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

(٢) **صحيح**: هـ: (٢١٥)، حم: (٣/ ١٢٧)، ك: (١/ ٧٤٣)، لس: (٢١٢٤)، هب: (٢/ ٥٥١)، حل: (٣/ ٦٣)، [«ص.ج» (٢١٦٥)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٣٠)، م: (٧٩٦).

(٥) **صحيح**: م: (٧٨٠).

طالما أنتم تتحدون الله ﷻ فلن تشموا رائحة المطر، إلا إذا رجعتم إلى الله، وإذا نزل المطر فأخشى أن ينزل علينا بعذابٍ لا برحمة! وإذ نزل المطر نزل من أجل البهائم والأطفال وكبار السن الصالحين، فاتقوا الله.

**خامساً**: القرآن تجارة رابحة: لأن من تمسك به، وعمل بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ويقول ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدها: كتاب الله وسنتي**»(١).

**سادساً**: القرآن تجارة رابحة: لأنه يهدي صاحبه لأقوم الطرق، فهو يهدي صاحبه إلى صراط مستقيم، وإلى سبيل السلامة؛ فهو يخرج صاحبه من الظلمات إلى النور، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

**سابعاً**: القرآن تجارة رابحة: لأنه يشفي القلوب التي في الصدور من أمراض الشهوات والشبهات، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

**ثامناً**: القرآن تجارة رابحة: لأنه يشفع لصاحبه يوم القيامة. يقول ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٢).

***يا أمة القرآن!*** القرآن هو النور المبين، وهو الصراط المستقيم، وهو

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥) [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٨٠٤).

الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

**العنصر الثاني: نتائج سيئة بسبب الإعراض عن القرآن الكريم:**

ليعلم الذين أعرضوا عن كتاب الله ماذا سيحل بهم:

**أولاً**: سينتقم الله ﷻ من المعرضين عن القرآن الكريم، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]، أي: إنا من المعرضين عن القرآن منتقمون.

**ثانياً**: المعرض عن القرآن يختم الله على قلبه فلا يهتدي إلى الحق والهدى أبداً، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧]. فالمعرض عن القرآن كالدابة لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

**ثالثاً**: المعرض عن القرآن يعيش في الدنيا معيشة ضنكاً، ويحشر يوم القيامة أعمى، فيا من هجرتم كتاب الله، أعرفتم لم نعيش اليوم في هذه الدنيا عيشة ضنكاً؟ إن السبب هو الإعراض عن القرآن، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

**رابعاً**: المعرض عن القرآن الكريم تتسلط عليه الشياطين، قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٨].

**خامساً**: المعرض عن القرآن الكريم توعده الله بالعذاب في الدنيا

والآخرة: ففي الدنيا قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ ـ أي: عن القرآن ـ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

**أما في الآخرة:** فيقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

فاتقوا الله عباد الله وأقبلوا على القرآن واحذروا الإعراض عن القرآن، وها أنتم تقبلون على شهر كريم، شهر رمضان، شهر القرآن، فارجعوا إلى الله وأقبلوا على كتاب ربكم.

**العنصر الثالث: واجب المسلم نحو القرآن الكريم:**

***أمة الإسلام!*** القرآن الكريم كلام الله، نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

• القرآن الكريم تجارة رابحة لن تبور، القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

• ولقد أوصى الرسول ﷺ بالقرآن فقال: «**عليكم بكتاب الله**»(١)، وقال في وصيته ﷺ: «**وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**»(٢)، أي: راحتك، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ﴾ ـ أي: شرفكم ـ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فالقرآن شرف وعز لك في الدنيا، ونحن يوم أَن تمسكنا بالكتاب والسنة فتحنا العالم من شرقه إلى غربه، وكُنا إذا تكلم المسلم منا لا يتكلم أحد، لكن يوم أن تركنا كتاب ربنا وسنة نبينا أصبحنا من أذل الناس، وإذا تكلمنا فلا يسمع لنا أحد، وهؤلاء الكفرة إخوان القردة والخنازير يتكلمون ويسمع لهم، وإذا قالوا نُفِّذَ ما قالوا فوراً، ونحن معشر

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ١٧٢)، طب: (٣/ ١٢٠)، [«س.ص» (١٤٧٢)].
(٢) **حسن**: حم: (٣/ ٨٢)، [«ص.ج» (٢٥٤٣)].

المسلمين أصبحنا غثاء كغثاء السيل، والسبب هو أننا أعرضنا عن كتاب ربنا، ولقد ابتغينا العزة من الشرق فأذلونا! وابتغينا العزة من الغرب فأذلونا! ووالله لن تكون عزة لنا إلا بالإسلام والتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا، كما قال الفاروق: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)(١).

**فمن الواجب على المسلم نحو القرآن:**

**أولاً**: أن يتلوه حق تلاوته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] فجعل ﷻ ترتيل القرآن علامة على الإيمان، وإنك لتأسف عندما تجد الإنسان في مجلس ما يفتخر بأنه يحمل شهادة الدكتوراه فإذا ما طلبت منه أن يقرأ شيئاً من كلام الله عجز عن ذلك! وإن قرأ قرأ كما يقرأ جريدة الأخبار! فكيف سيلقى هذا الإنسان ربه يوم القيامة؟!.

• وأمر الله رسوله أن يتلو القرآن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

• وأمره أن يصرح بذلك الأمر، فقال تعالى له: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢].

فعلى المسلمين أن يتعلموا ويدرسوا القرآن، ولا يكون ذلك إلا في بيوت الله، فعليك أن تتواضع وتجلس في دروس العلم لتتعلم كيف تتلو كتاب الله لتؤجر على كل حرف بعشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء.

**ثانياً**: على المسلمين أن يتدبروا القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]. فعليك أن تفهم ما تقرأ، وأعجب ممن يقرأ القرآن والله يلعنه في القرآن فلا يتوب

---

(١) **صحيح موقوف**: ك: (١/ ١٣٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٩٣)].

ولا يتذكر!! وهذا أكبر دليل على أنه لا يفهم ما يقرأ، فإنك تراه من أكلة الربا ويتعامل بالربا ليلاً ونهاراً مع أنه يفتح القرآن ويقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] ومع ذلك فلا يترك الربا، وهذا دليل على أنه لا يفهم ما يقرأ، ولعله يقرأ في القرآن: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ومع ذلك تراه يأتي إلى المسجد تقود به زوجته المتبرجة السيارة ثم تأتي بعد الصلاة لتأخذه فيركب بجوارها وكأنه ما قرأ هذه الآية!! قد ختم الله على قلوبهم، والقرآنُ إذا فهمه الإنسان وقر في قلبه، وإذا وقر في قلبه نفعه، ولقد أنكر الله ﷻ على الذين لا يتدبرون القرآن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

**ثالثاً:** على المسلمين أن يتخلَّقوا بما جاء في القرآن، سُئِلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «**كان خلقه القرآن**»[(١)]، فالواجب علينا أن نتخلق بأخلاق القرآن في كلامنا وأعمالنا وتصرفاتنا، وفي بيعنا، أَما أَنْ نقرأ القرآن ونصلي ثم إذا خرجنا إلى خارج المسجد كانت أعمالنا مخالفةً للقرآن فإن هذا لا يليق بمسلم!

**رابعاً:** على المسلمين أن يتحاكموا إلىٰ الكتاب والسنة ويطبقوهما فيما بينهم لأن الخير كل الخير في تطبيق الكتاب والسنة، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: ردوه إلى الكتاب والسنة.

***أمة الإسلام!*** عودوا إلى القرآن، وتمسكوا به واعملوا بما جاء فيه، ولا تكونوا ممن اشتكاهم الرسول إلى ربه فقال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

**اللهم رد المسلمين إلى كتابك وسنة نبيك**

---

(١) **صحيح:** م: (٧٤٦)، حم: (٦/٢١٦)، د: (١٣٤٢)، ن: (١٦٠١).

٢١٩

# المجرم الثالث والثلاثون
# الجار السيء

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثالث والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الجار السيء».**

***أتعرفونه يا عباد الله؟*** إنه الذي يعتدي على جاره، إنه من لا يعرف لجاره حقاً، إنه من يؤذي جاره بلسانه أو عينه أو سمعه، إنه من يؤذي جاره بأولاده، ولقد كثرت الشكوى من جيران لا يتقون الله ﷻ في جيرانهم، وكل يشتكي جاره.

***أمة الإسلام!*** الذي يؤذي جاره ويعتدي عليه مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق جاره وذلك:

**أولاً**: لأن الإسلام جاء يأمر بالإحسان إلى الجار، ويوصي به، فالله ﷻ في كتابه يأمر عباده بأن يحسن كل منهم إلى جاره، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]. فمِنْ أفضل الأعمال بعد عبادة الله ﷻ أن تحسن لوالديك، وأن تحسن للأقارب، وأن تحسن لجار الجنب، وأن تحسن للجار ذي القربى: (وهو الجار الذي بينك وبينه قرابة) والجار الجنب: (هو جارك الذي ليس بينك وبينه قرابة) وعليك أن تحسن إلى هذا وذاك.

- وجبريل عليه السلام كان يوصي رسولنا ﷺ بالجار، ويشدد في ذلك

يقول ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[١] أي: ظننت أن سيجعل للجار حقاً بأن يرث جاره إذا مات.

• ورسولنا الكريم ﷺ يوصي أمته بالجار، ويربي أصحابه على الإكرام والإحسان للجار، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»[٢]، فالإحسان إلى الجار علامة الإيمان والإساءة إلى الجار علامة على ضياع الإيمان.

• ويقول ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله ـ تعالى ـ خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله ـ تعالى ـ خيرهم لجاره**»[٣] ويقول ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»[٤]، أي: لا تكن أيها الجار بخيلاً وأطعم جارك، ويقول ﷺ: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاةٍ**»[٥]، أي: لا تحقر الجارة شيئاً تقدمه إلى جارتها هدية ولو أن تقدم لها عظمة عليها قليل من اللحم. والهدية بين الجيران تورث المحبة، ويقول ﷺ: «**لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبةً في جداره**»[٦]، فالذي يؤذي جاره مجرم لأن الله ﷻ أمر بالإحسان إلى الجار ووصى به فخالف هو أمر الله.

**ثانياً:** الذي يؤذي الجار مجرم لأن الإسلام قد حذر من إيذاء الجار والاعتداء عليه، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**»[٧]، ولكن مع ذلك فهناك الكثير ممن يشتكون جيرانهم

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٩)، م: (٢٦٢٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٨).
(٣) **صحيح**: ت: (١٩٤٤)، حم: (٢/ ١٦٧)، مي: (٢٤٣٧)، خز: (٢٥٣٩)، حب: (٥١٨)، ك: (١/ ٦١٠)، خد: (١١٥)، هب: (٧/ ٧٧)، [«ص.ج» (٣٢٧٠)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٦٢٥).
(٥) **صحيح**: خ: (٢٤٢٧)، م: (١٠٣٠).
(٦) **صحيح**: خ: (٢٣٣١)، م: (١٦٠٩).
(٧) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

فأحدهم يشتكي جاره ويقول: إنه يضع الأقذار له في خزان الماء! وآخر يقول: جاري يسلط شبابه لينظروا إلى بناتي! وهذا يقول: جاري يرفع صوت مفسديونه فلا نستطيع النوم! وهناك جار لا يحلو له الطبل والرقص إلا ليزعج الجيران! وآخر يفصل الكهرباء عن جاره، وآخر يسكبُ على جاره الماء، وآخر يؤذي ويتفنن في إيذاء جيرانه بطرق شتى! وهذا يتجسس على جاره! وهذا يأكل لحم جاره في المجالس!

والرسول ﷺ يقول: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»(١) بوائقه: أي غدره وخيانته، وظلمه وعدوانه، ويقول ﷺ: «**ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»(٢).

● كيف لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينام وقد امتلأت بطنه وبطون أولاده بالطعام وجاره بجنبه يتلوى هو وأولاده من الجوع؟!.

● كيف لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يأتي باللحم فيشويه والرائحة يشمُّها جيرانه، فلا يطعمهم ثم ينام شبعان، وجاره يتلوى من الجوع؟!

أين الإيمان؟ إلى أي حد وصلنا؟! إلى أي مستوى نزلنا؟! أنسينا بأن الإحسان إلى الجار دليل الإيمان، وأنه قربة نتقرب بها إلى الله عز وجل.

● وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوةٍ أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: «**ما تقولون في السرقة؟**» قالوا: حرمها الله ورسوله، فهي

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٠)، م: (٤٦).

(٢) **صحيح**: ك: (٢/١٥)، خد: (١١٢)، طب: (١٢/١٥٤)، ع: (٥/٩٢)، هب: (٣/٢٢٥)، [«ص.ج» (٥٣٨٢)].

حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»(١)، فما هذا الذي نسمعه، تأتي المرأة وتشتكي سرقة في بيتها، ثم يتبين أن السارق أحد الجيران!! بل وربما كان من الأقارب الذين يدخلون البيت ويؤتمنون على ما فيه!! وهذا رجل يعود من سفره فإذا بجاره يخونه في عرضه!! فما هذا الذي وصلنا إليه؟!!.

قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «**لا خير فيها هي من أهل النار**»(٢)، تصلي بالليل والناس نيام، وتتصدق في السر والعلانية، وتصوم صيام التطوع، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فكلما جلست في مجلس أخذت تأكل وتنهش لحم الجيران كما يفعل الكثيرين ممن لا خلاق لهم ولا دين لهم فلا يجلسون في مجلس إلا ونهشوا لحوم الجيران.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: لقد أتى علينا زمان ـ أو قال: ـ حينٌ ـ وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم اليوم الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كم من جارٍ متعلق بجاره** ـ يعني: يوم القيامة ـ **يقول: يا رب! سَل هذا: لم أغلق عني بابه، ومنعني فضله**»(٣)، فانظر إلى جيرانك يا عبد الله هل سيتعلقون بك يوم القيامة لأنك تغلق الباب دونهم؟

• ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وأباهُ**»(٤)، فهل وقع ذلك في زماننا؟ الجواب: نعم، إذاً لقد أزفت الأزفة، واقترب الوعد الحق، لقد اقتربت الساعة وانشق القمر.

---

(١) **صحيح**: حم: (٦/٨)، خد: (١٠٣)، طب: (٢٠/٢٥٦)، بز: (٦/٥٠)، هب: (٧/٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٤٩)].

(٢) **صحيح**: خد: (١١٩)، حم: (٢/٤٤٠)، حب: (٥٧٦٤)، ك: (٤/١٨٤)، هب: (٧/٧٨)، [«س.ص» (١٩٠)].

(٣) **حسن**: خد: (١١١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٦٤)].

(٤) **حسن**: خد (١١٨)، [«س.ص» (٣١٨٥)].

• ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(١).

• ويقول ﷺ: «**وما من جار يظلم جاره ويقهره حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله إلا هلك**»(٢).

أي إن جار السوء هذا سيهلك عاجلاً أو آجلاً، فإن كنت ممن يؤذي جيرانه فأبشر بالهلاك في الدنيا والآخرة، وإن كنت ممن يحسن إلى جاره فأبشر بجنة عرضها السموات والأرض.

ولقد اهتم الإسلام بالجار الصالح اهتماماً عظيماً، فليحرص كل منا على جاره الصالح، حتى لقد جعل الرسول ﷺ الجار الصالح من علامات السعادة والجار السيء من علامات الشقاء وأسبابه.

• يقول ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، الجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق**»(٣)، فعلى المسلم أن يحرص على حُسن اختيار الجار قبل الدار.

• ***عبادَ الله!*** وقد علمنا ﷺ كيف نتعامل مع الجار السيء.

• يقول أبو هريرة رضي الله عنه: جاء رجل فقال: (يا رسول الله، إنَّ لي جاراً يؤذيني، فقال: «**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق**»، فانطلق الرجل فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جارٌ يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال لي: «**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق**» فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم اخزه، فبلغه ـ أي: الجار السيء ـ فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك)(٤)، وفي رواية أخرى: (أنه

---

(١) **صحيح**: م: (٤٦).

(٢) **صحيح الإسناد**: خد: (١٢٧)، [«ص.خد» (٩٤)].

(٣) **صحيح**: حب: (٤٠٣٢)، هب: (٧/ ٨٢)، حل: (٨/ ٣٨٨)، [«ص.ج» (٨٨٧)].

(٤) **حسن صحيح**: حب: (٥٢٠)، ك: (٤/ ١٨٣)، خد: (١٢٤)، هب: (٧/ ٧٩)، [«ص.خد» (٩٢)].

ذكر للنبي ﷺ ما قال الناس فقال ﷺ: «**إن لعنة الله فوق لعنتهم**»، ثم قال للذي شكا: «**كفيت**»[(١)]. وهكذا فالجار السيء يعرض نفسه للعنة الله، ولعنة الناس.

فيا أخا الإسلام إذا منَّ الله عليك بجار صالح فعض عليه بالنواجذ فإنه يذكرك بالله إذا نسيت، ويعينك إذا ذكرت، وينفعك في السراء والضراء، وإذا ابتليت بالجار السيء فاصبر وادع الله في جوف الليل أَن يصلحه، وإن استمر في ظلمك فادع الله أن يقصم ظهره، فالله ﷻ قد وعدَ بأن يستجيب للمظلوم إذا دعا على ظالمه.

***عباد الله!*** قال العلماء: الجيران ثلاثة:

١ ـ الجار المسلم القريب، وهذا له حق الجوار والقرابة والإسلام.

٢ ـ الجار المسلم غير ذي قرابة، وهذا له حق الجوار وحق الإسلام.

٣ ـ والجار الكافر، وهذا له حق الجوار، فاتقِ الله في جارك القريب، واتقِ الله في جارك الذي ليس بقريب، واتقِ الله في جارك الذي ليس بمسلم، وأحسن إليه فربما بإحسانك إليه أن يدخل في دين الله ويسلم ويكون عبداً لله صالحاً، فكم من إنسان دخل في الإسلام بسبب جاره المسلم الذي أحسن إليه؟! ولكن إياك أن تتعاون مع جارك الكافر على الإثم والعدوان، أو أن تشجعه على معصية الله، كأن تُهَنِّئَه بعيده المحرم شرعاً، أو تمشي في جنازته، أو تجالسه على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير...

***عباد الله!*** ما هو حق الجار على أحدنا؟

**أولاً**: إذا استعانك فأعنه، أي: إذا طلب منك العون فقدمه له.

**ثانياً**: إذا استقرضك فأقرضه، إذا طلب منك مالاً قرضاً فاعطه لأنه جار لك وله حق عليك.

---

(١) **حسن صحيح**: خد: (١٢٥)، هب: (٧/ ٧٩)، [«ص، خد» (٩٣)].

**ثالثاً**: إذا مرض فعُدْه، لأن من حق المسلم على المسلم إذا مرض أن يعوده، والمسلم له حق الإسلام وحق الجوار.

**رابعاً**: وإذا دعاك إلى طعام فأجب دعوته.

**خامساً**: إذا ذكر الله فأعِنْهُ، وإذا نسي فذكره، والجار الصالح هو من يوقظِ جاره لصلاة الفجر، ويقول له: هيا إلى الصلاة، الجار الصالح هو من إذا رأى جاره يسمح لبناته بالتبرج ذهب بكل أدب يذكره وينصحه لوجه الله.

الجار الصالح هو الذي إذا رأى جاره قد جاء بوسائل الفساد إلى بيته نصحه قائلاً: تريد أن تدخل الفساد بيدك في بيتك!؟ اعلم أَنك إن مت من ليلتك هذه فأنت خائن لرعيتك، وقال له: الرجل الذي يتقي الله في رعيته هو الذي يأتي بكل ما يصلح بيته في حياته وبعد موته، والخائن لرعيته هو الذي يدخل إلى بيته ما يفسدهم في حياته وبعد موته.

**سادساً**: أن تفرح لفرحه، وأن تحزن لحزنه، فإذا نزلت به نعمة فعليك أن تفرح لفرحه، وإذا نزلت به مصيبة فعليك أن تحزن لحزنه، ومن العجيب في بلاد المسلمين أن ترى في العمارة الواحدة وفي نفس الوقت أناسٌ في الطابق الأسفل يغنون ويرقصون، وجيرانهم في الطابق الأعلى يبكون وينوحون!!

**سابعاً**: ألّا تؤذيه بلسانك ولا برائحة طعامك.

**ثامناً**: أن تحفظه في ماله وعرضه في حضوره وغيابه، فلا تتفنن في إيذاء جارك في أثناء غيابه ولا تتعدى على زوجته وأولاده الضعفاء وتظن أن الله يغفل عنك أيها الجار الظالم القوي، فإن الله ﷻ يستجيب للمظلوم إذا دعا عليك.

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**



## ٢٢٠

# المجرم الرابع والثلاثون ـ المستجيب للشيطان والمنتمي لحزبه

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الرابع والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الذي استجاب للشيطان وانضم لحزبه»**، فالاستجابة للشيطان والانضمام إلى حزبه جريمة.

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: الناس في هذه الدنيا حزبان لا ثالث لهما.

**العنصر الثاني**: الاستجابة للشيطان والانضمام إلى حزبه في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثالث**: ففروا إلى الله.

**العنصر الأول: الناس في هذه الدنيا حزبان لا ثالث لهما:**

١ ـ حزب الله.

٢ ـ حزب الشيطان.

فحزب الله: هم الذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وهم الذين استجابوا لله ولرسوله ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم.

وهم الذين إذا أمرهم الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا.

وهم الذين يعبدون الله وحده، ويتبعون الرسول ﷺ وحده ويسلكون سبيل الصحابة رضي الله عنهم وحدهم.

هؤلاء هم حزب الله، الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

حزب الله، هم الذين قال الله فيهم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢١، ٢٢].

- أما حزب الشيطان: فهم الذين عبدوا الشيطان من دون الله.

وهم الذين استجابوا للشيطان إذا دعاهم لما يخزيهم.

وهم الذين إذا أمرهم الله ورسوله قالوا: سمعنا وعصينا.

وهم الذين سلكوا سبيل المجرمين وتركوا سبيل المؤمنين.

هؤلاء هم حزب الشيطان الذين قال الله فيهم: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ١٨ ـ ٢٠].

فانظر يا عبد الله هل أنت ممن يستجيب للشيطان؟ هل أنت ممن إذا أمرك الشيطان ائتمرت وإذا نهاك انتهيت؟ هل أنت ممن إذا أمرك الله ورسوله قلت: سمعنا وعصينا؟.

ثم اعلم أن حزب الله هم المفلحون في الدنيا والآخرة، وهم الغالبون في الدنيا، وحزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

**العنصر الثاني: الاستجابة للشيطان والانضمام إلى حزبه جريمة نكراء يرتكبها الإنسان في حق نفسه وفي حق البشرية جميعاً، لم؟:**

**أولاً**: لأن الإنسان إذا استجاب للشيطان وانضم إلى حزبه وجند نفسه ضمن حزب الشيطان يكون بذلك قد سلك طريقاً إلى النار، وسلك سبيلاً إلى جهنم وبئس المصير. يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٥، ٦]. فالذي انضم إلى حزب الشيطان أياً كان اسمه، وأياً كانت رايته، وكيفما كانت إعلاناته فهو من أصحاب السعير، والكفر ملة واحدة لا تتجزأ، هدفها القضاء على الإسلام وأهله.

ويخبرنا ربنا جل وعلا عن خطبة الشيطان في حزبه وهم مجتمعون في نار جهنم إذ يقول لهم: يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢].

**ثانياً**: الانضمام إلى حزب الشيطان جريمة؛ لأن الشيطان يدعو حزبه إلى كل شر.

١ ـ الشيطان يدعو إلى الكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

٢ ـ الشيطان يدعو إلى الردة، فهو يريد منك أن ترتد عن الإسلام، وأن تترك دين الإسلام وأن تعود إلى الكفر والضلال، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ [محمد: ٢٥].

● وهذا الذي ارتد بعد أن جاءه الذكر والإيمان سيندم يوم القيامة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

٣ ـ الشيطان يدعو حزبه إلى عبادته، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر ناصحاً: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤]. ويوبخ ربنا جل وعلا الذين عبدوا الشيطان يوم القيامة، فيقول الله تعالى لهم: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٤].

٤ ـ الشيطان يصد الناس عن سبيل الله، ويدعوهم إلى النار والضلال ويصدهم عن الصراط المستقيم، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

٥ ـ الشيطان يدعو إلى الفحشاء ويأمر بالمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور: ٢١].

٦ ـ الشيطان يأمر بالتبرج وينهى عن الحجاب، فالسفور والعري الذي نراه في بلاد المسلمين من عمل شياطين الإنس والجن، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]. فالذي يأمر بكشف العورة وإظهار السوأة هو الشيطان، والذي يأمر بستر العورة والحجاب هو الله عز وجل.

٧ ـ الشيطان يأمر بتغيير الخلقة، قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ

فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فيأمر المرأة أن تغير خلقتها فترى كثيراً من النساء قد اصطنعت الحواجب، وصبغت الشفاه، واصطنعت الأعين، فترى هذه المرأة بعينين سوداوين هذا اليوم، وغداً تراها بعينين خضراوين، وبعد غد تراها بلون آخر!! ما الذي نزل بكم يا معشر المسلمين؟ وللأسف الشديد ترى الرجل يصلي في المسجد ويقرُّ ابنته وأخته وزوجته على أن تغير من خلق الله، فتقص شعرها وتتشبه بالرجال، وتنتف حاجبيها لتصير كالشيطانة، وتضع على وجهها ما لا يعلمه إلا الله!! الشيطان يأمرها أن تضع هذا الأحمر على الشفاه، وفي اليوم الثاني يأمرها أن تضع الأسود، سود الله وجهها في نار جهنم إذا لم تتب إلى الله، فما الذي أصابنا يا أمة الإسلام؟.

ٱبن آدم! أما تنظر إلى ابنتك وزوجتك ماذا فعلت بنفسها مِنْ تغيير في خلق الله طاعة للشيطان الذي قال: ﴿وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

***عبادَ الله!*** هذه الخلقة التي نحن عليها هي التي خلقها الله ﷻ فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. فلم لم ترضى صاحبة العيون الزرقاء بلونهما؟! لم تغير؟! أما تخشى هذه المرأة التي تضع في عينها في كل يوم عدسة أن تصاب «بالعمى»؟!

• أما تخشى هذه المرأة التي تضع على وجهها هذه الألوان أن تصاب «بسرطان الجلد»؟!.

• أما تخشى هذه المرأة التي في كل يوم تغير من لون شعرها أن تصاب «بالصلع»؟!.

وقد أصيبت الكثيرات بذلك ولكن لم يتذكروا ولم ينتهوا؛ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

***عباد الله!*** إن الاستجابة للشيطان والانضمام إلى حزبه جريمة **وعلاجها في:**

**العنصر الثالث: ففروا إلى الله، ولكن كيف ذلك؟!**

**أولاً**: بعبادته وحده ﷻ: فعليك أن تكون عبداً لله وحده، ومن عبد غير الله انضم لحزب الشيطان، ومن عبد الله وحده فهو من حزب الله، والله ﷻ قال للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، فكن عبداً لله.

**ثانياً**: عليك بذكر الله دائماً؛ استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، لأننا إذا أعرضنا عن ذكر الله استحوذ علينا الشيطان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦].

**ثالثاً**: فروا إلى الله بالاستعاذة به ﷻ من الشيطان الرجيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦] أي: التجئ إلى الله واحتم بحمى الله وقل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، أي: يا رب إني ألتجئ إليك من كيد الشيطان، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

**رابعاً**: فروا إلى الله بالإخلاص لله في العبادة، فالإخلاص حصن حصين، إذ يحفظك الله ﷻ بإخلاصك في العبادة من كيد شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فأخلصوا في عبادتكم لله، وأقبلوا على عبادة الله، وانشغلوا بذكر الله لتحصنوا أنفسكم من هذا العدو المبين الذي يتربص بكم الدوائر بالليل والنهار من خلال شياطين الإنس والجن.

**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم**
**أن يحفظنا وإياكم من كيد شياطين الإنس والجن**

٢٢١

# المجرم الخامس والثلاثون ـ الغافل

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدث عن المجرم الخامس والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الغافل».**

***أتعرفونه يا عباد الله؟!*** إنه الغافل عن عبادة ربه! الغافل عن ذكر ربه! الغافل عن الموت! الغافل عن القبر.

الغافل عن الوقوف بين يدي ربه! الغافل عن الحساب والجزاء! الغافل عن الميزان والصراط! الغافل عن الجنة والنار!!

وربنا جل وعلا يقول: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

أمـا واللهِ لـوَ عَـلِـمَ الأنـامُ ... لِمَا خلقوا لما هَجَعُوا وناموا
لـقْـد خـلـقُـوا لأمـرٍ لـو رأتْـهُ ... عـيونُ قلوبهِمْ تـاهـوا وهـامـوا
مـمـاتٌ ثـمَّ قـبـرٌ ثـمُّ حـشـرٌ ... وتـوبـيـخٌ وأَهـوالٌ عـظـامُ
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلُّوا من مخافته وصاموا
ونـحـنُ إذا أمُـرِنَـا أو نـهـينـا ... كـأهـلِ الـكـهـفِ أيـقـاظٌ نـيـامُ

نعم، نحن في غفلة!! ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ ـ أي: وأنت في الدنيا ـ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ٢٢].

***عباد الله!*** ١ ـ الغافل مجرم في حق نفسه، لأنه سلك بغفلته طريقاً إلى النار وبئس المصير، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

٢ ـ الغافل مجرم في حق نفسه، لأنه بغفلته غفل عن الآخرة، وغفل عن يوم الدين، وما أدراك ما يوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله.

إن الآخرة لا تخطر للغافل على بال، فهو في سكرته وغفلته بالليل والنهار، ولا هم له إلا أن يجمع الدنيا لينفقها على شهواته، ولذلك قال رب العزة: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٦، ٧].

٣ ـ الغافل مجرم في حق نفسه، لأنه بغفلته هذه قد حرم نفسه من الانتفاع بالمواعظ والتذكرة ودروس العلم، فالغافل لا يفكر في أن يسمع موعظة أو يأتي لدرس من دروس العلم، أو أن يسمع كلام الله، وحتى إذا جاء لموعظة أو لخطبة جمعة حضر وسمع وقلبه نائم وغافل عن ذكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

٤ ـ الغافل مجرم في حق نفسه، لأنه يعرض نفسه للهلاك والدمار، يقول ربنا جل وعلا في كتابه بعد أن أهلك فرعون وقومه: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦].

**السبب في الانتقام منهم:** أنهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين.

٥ ـ الغافل مجرم في حق نفسه، لأنه سيندم يوم القيامة ندماً شديداً في وقت لا ينفع فيه الندم.

• فإذا خرج الغافل من قبره كان ممن يقولون: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

• وإذا وقف الغافل في أرض المحشر كان ممن يقولون: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٤].

• وإذا وضع الكتاب الذي سُجِّلت فيه الأعمال كان ممن يقولون: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

• وإذا وقف الغافل على أبواب جهنم كان ممن يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، ولكن هيهات هيهات! فلن ينفع الندم صاحبه يوم القيامة، فعلى العاقل أن يستيقظ من غفلته قبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

***عباد الله!*** الغفلة طريق إلى النار، الغفلة سبب للدمار والهلاك، الغفلة تمنع صاحبها أن يتذكر أو يتعظ، الغفلة تجعل صاحبها لا يفكر في الآخرة، أو في لقاء ربه.

• من أجل ذلك كله حذر ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يكون من الغافلين، فقال تعالى لرسوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

• وحذر ربنا جل وعلا عباده كذلك أن يكونوا من الغافلين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الغفلة تدمر صاحبها، وكم من الناس من هم في غفلة؟! ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

• إنهم في غفلة عن الوقت: ولمَّا غفلوا عن قيمة الوقت ضيَّعوه في معصية الله.

• ولما غفلوا عن قيمة الصحة ضيَّعوها في معصية الله، والرسول ﷺ يقول: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(١)].

• ولما غفلوا عن قيمة المال أنفقوه في معصية الله!! ولما غفلوا عن قيمة العمر ضيعوه في جمع الدنيا الفانية!!

ولكن وصف أهل الجنة ـ كما وصفهم الله لنا في كتابه ـ مغايرٌ لذلك، فلقد وصفهم ربنا جل وعلا بعدة صفات منها:

١ ـ أنهم إذا نودي للصلاة سارعوا إلى ذكر الله.

٢ ـ أنهم إذا سمعوا القرآن وجلت قلوبهم، وازدادوا باستماعهم إليه إيماناً، وقالوا: سمعنا وأطعنا.

٣ ـ أنهم إذا دعوا للجهاد قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله.

٤ ـ أنهم إذا ذُكِّروا تذكروا فلا شاغل لهم إلا الآخرة، ولا همَّ لهم إلا أن يرضوا ربهم، فهم قد علموا وأيقنوا أنهم خلقوا في هذه الدنيا لعبادة الله وليس للهو واللعب، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

فاتقوا الله عباد الله، وليفكر كل منا في وقته أين يذهب؟ وفي صحته أين تذهب؟ يفكر هل يستجيب لنداء الله إذا نودي للصلاة؟ هل ينفق ماله في مرضاة الله؟ هل يربي أولاده على مائدة القرآن؟ هل يتذكر الموت؟ هل يفكر في الآخرة؟ إن أهل الجنة هم من إذا تذكروا الجنة أو النار قاموا فصلوا بالليل، كما وصفهم ربهم جل وعلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦].

**اللهم أنقذنا من غفلتنا**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٩).



# المجرم السادس والثلاثون
# المفسد في الأرض

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم السادس والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المفسد في الأرض».**

***أتعرفونه يا عباد الله؟!*** إنه من يسعى في الأرض فساداً، سواءاً بعقيدته الفاسدة أو بعمله الحرام، أو بماله الحرام، ومع ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦].

***عباد الله!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** رسالة إلى المفسدين في الأرض فيها تذكير وتحذير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**العنصر الثاني:** العاقل من اتعظ بغيره.

**العنصر الثالث:** انقلبت الموازين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**العنصر الأول: رسالة إلى المفسدين في الأرض فيها تذكير وتحذير:**

**أولاً:** نذكرهم بأن الله ﷻ لا يحب الفساد ولا يحب المفسدين، كما أخبرنا في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]،

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

**ثانياً**: نذكرهم أن الله ﷻ حذر عباده من الإفساد في الأرض في كتابه وعلى لسان رسله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

**ثالثاً**: نذكرهم أن الإفساد في الأرض من أخلاق المنافقين ومن شيمهم وطبائعهم، قال تعالى في سياق الحديث عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

**رابعاً**: نذكرهم أن الإفساد في الأرض من أخلاق اليهود وطبائعهم، فما من فساد في الأرض، وما من نار تشعل على سطح الأرض، وما من نفس تقتل على وجه الأرض إلا ووراءها اليهود، والله أخبرنا بذلك في كتابه: فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

**خامساً**: نحذر الذين يفسدون في الأرض، بأن الله ﷻ أعد للمفسدين في الأرض عذاباً أليماً في الدنيا قبل الآخرة، قال ـ تعالى ـ: **﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾** [المائدة: ٣٣].

ثم هذا هو جزاء المفسدين، وهذا ما يجب أن يكون جزاءً للروس

الملاحدة، ولكن أين أنتم يا أمة الإسلام؟ فهذا هو جزاؤهم لأنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟! إنهم يقتلون شعباً بأكمله ويبيدونه بلا جريمة ارتكبها إلا أنهم قالوا: (لا إله إلا الله)!! ما هي الجريمة التي ارتكبها شعب الشيشان في نظر العالم الظالم الساكت حتى يفعل الروس ما يفعلونه في الشيشان مِنْ تدمير وقتل للأطفال والنساء؟! السبب هو أن شعب الشيشان مسلم!! لأنه يقول: (لا إله إلا الله)!! لأنه أبى أن يركع ويسجد لغير الله!!

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٤٨ ـ ٥٣]. فالهلاك والدمار والخزي والعار على الذين يفسدون في الأرض في الدنيا قبل الآخرة.

**سادساً**: نحذر الذين يفسدون في الأرض بأن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً أليماً، ونخبرهم أن الإفساد في الأرض طريق إلى النار وبئس المصير. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ١٦]. وهذا ينطبق على هؤلاء الروس الملاحدة لأنهم يقولون: بـ (لا إله) وينكرون الله، فهم قد

كفروا ولم يكتفوا بكفرهم، ولكنهم قتلوا ودمروا وشردوا شعباً يقول: (لا إله إلا الله)، فبصدهم عن سبيل الله يزيدهم الله عذاباً فوق العذاب، وهذا العذاب في الدنيا، وعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون!!

***عباد الله!*** الإفساد في الأرض جريمة، فاحذروا وتذكروا وإياكم أن تكونوا من المفسدين، وإياك يا أخي المسلم أن تكون محباً أو معيناً للمفسدين في الأرض.

**العنصر الثاني: العاقل من اتعظ بغيره:**

مع أَن الله ﷻ أخبرنا أَنه لا يحب المفسدين، ولا يحب الفساد وحذرنا من الإفساد في الأرض، وبيَّن لنا أنه أعد للمفسدين عذاباً أليماً، في الدنيا قبل الآخرة، وبيَّن لنا أن الإفساد طريق إلى النار. ومع ذلك كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، والله ﷻ يخبرنا في كتابه أنه يعلم المفسد من المصلح، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: ٦٣].

● وأخبرنا الله ﷻ أنه لم يسوِ بين المفسد والمصلح، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]. فالله ﷻ للمفسدين بالمرصاد، فيأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر، ولهم في الآخرة عذاب أليم.

**وبالمثال يتضح البيان:**

والعاقل من اتعظ بغيره.

**المثال الأول:** هذا قارون الذي أفسد في الأرض بماله، وكم من الناس في هذا الزمان من يفسد في الأرض بماله؟! فإذا أعطاه الله مالاً زنا، وأكل الربا، وقام بشراء آلات الفساد لنفسه ولبيته، ودعم كل ما تتبرج به نساؤه وبناته!! وعصى الله ﷻ بماله في السفر (شمات الهواء)

إلى بلاد الكفر!! فانظروا إلى قارون واعتبروا، كيف أعطاه الله مالاً فأفسد في الأرض بماله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ـ والبغي: إفساد في الأرض وتَعدٍّ للحدود ـ قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ ـ [القصص: ٧٦] هذا المال والغنى دفعه إلى الإفساد في الأرض فنصحه قومه ـ ويا ليته انتصح!! ـ فقالوا له: يا قارون ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ ـ أي: بالمال ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ـ أي: تقرب بهذا المال إلى الله واعمل به لدار الآخرة ـ ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ أي: لا تنس أن تتمتع في الدنيا بما هو مباح وبما هو حلال، أي: يا قارون لا تنس أن ما تأخذه من الدنيا معك إلى الدار الآخرة هو الكفن وهو نصيبك من الدنيا!! ـ أرأيتم هذا الذي دخل محمولاً على الأعناق أمامكم الآن؟ إنه قد انتقل إلى الدار الآخرة وها هو لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة! إنه لم يأخذ من الدنيا معه إلا الكفن ـ وقالوا له أيضاً ـ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، فلم يستجب لنصيحة قومه.

**انظروا إلى النتيجة**: لقد دمره الله وأهلكه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

**مثال آخر:**

هذا هو فرعون الذي أفسد في الأرض بجاهه وسلطانه ومنصبه، حتى قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ـ يستهزئ بموسى ـ ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

• والله ﷻ يخبرنا في كتابه أن فرعون علا في الأرض وكان من المفسدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾ [القصص: ٤].

لقد أفسد في الأرض بقوته وسلطانه ومنصبه، كما يفعل الكثير من المفسدين في هذا الزمان العجيب، وكما يفعل الروس اليوم فإنهم يجربون أسلحة الدمار المحرمة دولياً على شعب الشيشان الأعزل من السلاح! إنهم يجربون أسلحة الدمار على النساء والصغار وكبار السن! والعالم من مشرقه إلى مغربه ينظر إليهم ويسمع ولا أحد يتكلم!! فأين هي حقوق الإنسان التي «زعموا» أنهم يعملون بها؟! أين هي الإنسانية؟ أين هي الرحمة؟ شعب يباد والعالم لا يتكلم، عالم ظالم، وإعلام أشد ظلماً؛ يصور شعب الشيشان بأنه هو المفسد، وأن الروس هم الذين يريدون الإصلاح!! فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولكنها سنن الله في الكون ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤].

***عباد الله!*** ولمّا علا فرعون وأفسد في الأرض بمنصبه **كانت النتيجة**: أن دمره الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢]. فإن فرعون لم يكتفِ بأنه ذبح الأطفال واستحيى النساء، بل خرج هو وجنوده خلف موسى ومن معه يريد أن يقضي عليهم!! وهذا تماماً عين ما يفعل الروس الآن في شعب الشيشان، ولكنها سنن الله في أرضه، والعاقبة للمتقين وسنرى يوماً أسود في جنود الروس.

***أمة الإسلام!*** في سورة القصص بعد أن قص الله علينا أن فرعون علا في الأرض، وأفسد بمنصبه وبجاهه وسلطانه، وبعد أن قص الله علينا في نفس السورة خبر قارون وكيف أنه أفسد في الأرض وعلا بماله، قال ربنا جل وعلا في آخر السورة: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

أما الذين علوا في الأرض وأفسدوا فيها فإنهم لن يشموا رائحة الجنة إلا أن يتوبوا.

**إخوة الإسلام! وهذه أمثلة على الإفساد في الأرض لتكونوا منها على حذر إذا أردتم الجنة حقاً.**

**أولاً**: فساد العقيدة «الشرك» من الإفساد في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢]. بـ (لا إله إلا الله) تصلح الأرض، وإذا كفر الناس بـ (لا إله إلا الله) فسدت الأرض، فَمَن هو المصلحُ الروس أم الشيشان؟!.

**ثانياً**: اتباع الهوى من الإفساد في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧١].

**ثالثاً**: السحر من الإفساد في الأرض، والسحرة مفسدون في الأرض، قال موسى للسحرة بعد ما جاءوا بسحرهم، قال لهم: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

**رابعاً**: السرقة من الإفساد في الأرض؛ فإن فيها اعتداء على أموال الناس، والدليل على أن السرقة من الإفساد في الأرض ما جاء في قصة يوسف عليه السلام، فعندما أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون، أقبلوا عليهم وقالوا: ماذا تفقدون؟ فأجابوا: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يوسف: ٧٣].

**خامساً**: قطيعة الرحم من الإفساد في الأرض، فالعاق لوالديه مثلاً مفسدٌ في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

**سادساً**: تأخير زواج البنات ـ حتى يظفر ولي الأمر بالزوج الغني

صاحب المنصب ـ من الإفساد في الأرض أيضاً. لأن رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوِّجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١) إذا جاءك صاحب الدين والخلق فزوجه وإياك أن تؤخر زواج ابنتك لتنتظر صاحب المال والمنصب، والسيارة والعمارة!! لا تسأل إلا عن صاحب الدين والخلق، فإذا جاءك فوافق وزوج، وإياك أن تؤخر زواج الفتاة، لأنك إذا أخرت زواجها أفسدت في الأرض، وإياك أن تؤخر زواج هذه الفتاة فتدعو عليك إذا ما نزل بك الموت فتقول: «اللهم أحرم أبي الجنة كما حرمني الزواج»!!

**سابعاً**: المعاصي والتبرج من الإفساد في الأرض؛ لأنه بمثابة الشرارة الأولى لفاحشة الزنا، والزنا إفساد في الأرض، والخمر إفساد في الأرض، والنميمة إفسادٌ في الأرض، والربا إفساد في الأرض، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، أي: بالمعاصي.

**العنصر الثالث: انقلبت الموازين ولا حول ولا قوة إلا بالله:**

المفسدون في الأرض في هذا الزمان يَدَّعون الإصلاح، ويتهمون المصلحين في الأرض بالإفساد، ونحن في مصيبة عظيمة إذ إن الموازين قد انقلبت، وهذا يدل على أَنه قد أزفت الأزفة، واقتربت الساعة، وقد أخبر ﷺ بذلك، قال له رجل: متى الساعة؟ قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»(٢).

وقال ﷺ: «**سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدَّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في**

---

(١) **حسن**: ت: (١٠٨٤)، هـ: (١٩٦٧)، طب: (٢٢/ ٢٩٩)، طس: (١/ ١٤١)، هق: (٧/ ٨٢)، [«س.ص» (١٠٢٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٩).

**أمر العامة»**[(١)]، أي: الرجل التافه يتكلم في أمور المسلمين المهمة والكبيرة، فهل وقع ذلك يا عباد الله؟. نعم، والمفسدون في الأرض يدَّعون الإصلاح فيها ويتهمون المصلحين بالإفساد.

**وبالمثال يتضح البيان:**

في كتاب ربنا: أخبرنا الله عن المنافقين، وأخبرنا أنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، فهم في الظاهر مسلمين وفي الداخل إخوان الشياطين، يحبون نزول المصائب بالمسلمين، وإذا نزلت بالمسلمين مصيبة فرحوا!! وإذا جاءوا إلى الصلاة جاءوا كسالى يراءون الناس، وقد كفروا بالله ورسوله، ولا ينفقون إلا وهم كارهون، وقال كبيرهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، والله ﷻ شهد وكفى بالله شهيداً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ومع ذلك إذا قيل لهم ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، وإذا قيل لهم: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، وهكذا تنقلب الموازين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٣]، يريدون بالسفهاء أصحاب رسول الله ﷺ.

**مثال آخر:** فرعون الذي أخبر الله ﷻ عنه بأنه من المفسدين في الأرض ومع ذلك انقلبت الموازين عند فرعون فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ

---

(١) **صحيح**: هـ:(٤٠٣٦)، حم: (٢/ ٢٩١)، ك: (٤/ ٥١٢)، طب: (١٨/ ٦٧)، [«ص.ج» (٣٦٥٠)].

﴿أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ـ لم يا فرعون؟ ـ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]!! فرعون يخشى أن يظهر الفساد في بلاده بسبب موسى! ـ وهذا ما يدعي مثله الروس اليوم، فإذا ما سألناهم لم تقتلون شعب الشيشان؟ فإنهم سيقولون كما قال فرعون من قبلهم: نخشى أن يظهروا في الأرض الفساد!! لقد انقلبت الموازين، فإياكم أن تنخدعوا.

ثم لمّا نصح ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه قوم فرعون وقال لهم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] فماذا قال فرعون؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، انقلبت الموازين!! وإذا انقلبت الموازين فانتظر الساعة.

**مثال من الواقع اليوم**: هؤلاء الروس الكفرة الذين يقتلون شعب الشيشان المسلم لأنه يقول: (لا إله إلا الله)، ولأنه يرفض أن يركع أو يسجد لغير الله، والإعلام يصوِّر لنا بأن الروس على حقٍّ فيما يفعلون وأنهم لا يريدون إلا مصلحة البلاد!! وهكذا انقلبت الموازين!! فنقول لشعب الشيشان: صبراً، فإن العاقبة للمتقين، ونذكرهم وإياكم أن الله ﷻ قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

واللهِ إن نصر الله قريب رغم أنف المفسدين في الأرض، وإن المستقبل لهذا الدين، وإن رايات الإسلام سترفرف في بلاد روسيا من مشرقها إلى مغربها، وعلى بلاد أمريكا من مشرقها إلى مغربها.

ولن يبقىٰ بيت مدر ولا حجر إلا وسيدخله هذا الدين إن شاء الله تعالى، والوقت لا يتسع أن نحدثكم عن هذه البشرى فنؤجل الحديث عنها إلى الجمعة القادمة إن شاء الله، إن كان في العمر بقية.

**اللهم ثبت إخواننا في الشيشان وانصرهم على عدوهم**



## المجرم السابع والثلاثون
## المُعْتَقِد أن المستقبل ليس للإسلام

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نتحدث عن المجرم السابع والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الذي يزعم ويظن أن المستقبل ليس للإسلام»**.

الذي يزعم ويظن أن المستقبل لغير الإسلام مجرم وفي قلبه مرض، لأنه قد أبطن الكفر حباً لأهله، وأظهر الإسلام خوفاً من أهله.

- وهذا المجرم جاهل بالكتاب والسنة.
- هذا المجرم يثبِّط الهمم العالية.
- هذا المجرم مجند من قِبَلِ الكفر ليعمل لصالح الكفرة.
- هذا المجرم جنديٌ من جنود الشيطان.

***أمة الإسلام!*** وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: الكفر ملة واحدة فاحذروا!!

**العنصر الثاني**: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.

**العنصر الثالث**: المستقبل للإسلام والمسلمين رغم أنف الكفرة والمنافقين.

**العنصر الرابع**: هذا هو طريق العزة والنصر والتمكين في الأرض.

***عبادَ الله!*** **العنصر الأول**: الكفر ملة واحدة فاحذروا!!

- فالكفر هو الكفر سواءً عند الروس أو عند الأمريكان أو عند من شابههم.

• الكفر هو الكفر قديماً وحديثاً.

• الكفرة والكفر حقيقة واحدة وإن تشكل أو تلون أو جاءنا بأشكال جديدة قد يظن الجهلة أنها تمر على العقلاء من المسلمين أو تخدعهم ولكن هيهات!!

• فالكفر ملة واحدة هدفهم: (أبيدوا الإسلام وأهله).

• الكفر ملة واحدة وأهله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله.

فكثير من المؤسسات، والجمعيات، والهيئات التي في ظاهرها قائمة لخدمة الإنسانية هي في الباطن ليس لها هدف إلا القضاء على الإسلام وأهله.

• ولقد علمنا ذلك من كتاب ربنا، الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

• وعلمنا ذلك من سنة نبينا ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

• وعلمنا ذلك من الواقع المشهود والذي لا يختلف فيه اثنان على أن الكفر وأمم الكفر قد اجتمعت جميعاً للقضاء على الإسلام والمسلمين.

***عباد الله!* ففي كتاب ربنا:**

يقول الله ﷻ: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ثم ما هي النتيجة؟ ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

أما تسمعونهم وهم يقولون: أحرقوا أرض الإسلام، دمروا المسلمين «أبيدوا الإسلام»، هذا ما يخرج من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨]، يقولون بأفواههم: النظام الجديد للعالم، الهيئة الفلانية لحقوق الإنسان، الهيئة الفلانية لخدمة المحتاجين في الظاهر الخدمة الإنسانية، وفي الباطن القضاء على الإسلام والمسلمين!! ولقد انخدع بكلامهم ـ وللأسف الشديد ـ الكثير من المسلمين ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] أيها المسلمون كيف تحبونهم والله ﷻ يقول لكم: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. هذه هي حقيقة حالهم إن تصبكم أو تنزل بكم حسنة تحزنهم وتؤلمهم، أما إذا نزلت بكم مصيبة وتفرقتم وجعتم، وأصبحتم لا قيمة لكم فإن هذا يفرحهم ويسرهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ويقول ﷺ: «**يوشك الأمم** ـ أي: الكافرة بكل أشكالها وألوانها ـ **أن تداعى عليكم** ـ أي: يدعو بعضها بعضاً فتُجيب ـ **كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائلُ: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[١].

***عباد الله!*** **في هذا الحديث العظيم يخبرنا رسول الله ﷺ.**

**أولاً**: أن الكفار على ملة واحدة يدعو بعضهم بعضاً للقضاء على الإسلام والمسلمين.

**ثانياً**: أن ديار المسلمين منبع الخيرات والبركات التي تحاول أمم

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٧)، حم: (٥/٢٧٨)، لس: (٩٩٢)، هب: (٧/٢٩٧)، [«س.ص» (٩٥٨)].

الكفر الاستيلاء عليها، ولذلك شبهها الرسول ﷺ بالقصعة المملوءةِ بالطيِّب من الطعام والتي قد أغرت الأكلة فتواثبوا عليها كلٌ يريد لنفسه نصيب الأسد منها.

**ثالثاً**: أن أمم الكفر لم تَعُدْ تهاب المسلمين لأنهم قد فقدوا مهابتهم بين الأمم، ولذلك قال ﷺ: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم».

**رابعاً**: عناصر قوة الأمة الإسلامية ليس في كثرة عَدَدِها وعُددِها وخيلها ورجلها، بل في عقيدتها ومنهجها لأنها أمة العقيدة، ولأنها حاملة لواء التوحيد، ولذلك يقول ﷺ في الحديث: «بل أنتم يومئذٍ كثير»، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

**خامساً**: أن أمم الكفر لن تستطيع استئصال أمة الإسلام ولو اجتمعوا عليها من أقطارها.

ولعلكم ترون ذلك يا عباد الله، لعلكم ترون كيف ينادي بعضهم بعضاً ويجتمعون في هيئة الأمم المتحدة ـ زعموا ـ ويصوتون على ما يحبون، ويمتنعون إذا كان الأمر لصالح الإسلام والمسلمين، ويقولون: هذا هو النظام الجديد للعالم!!

**العنصر الثاني: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ:**

***عباد الله!*** بنا أو بغيرنا سيعود، رسول الله ﷺ بعثه الله في مكة يدعو الناس إلى هذا الدين العظيم، ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، فقام ﷺ يدعو الناس إلى هذا الدين العظيم فما آمن معه في مكة إلا القليل وكانوا مستضعفين في مكة، واجتمع الكفار عليهم من كل مكان للقضاء على هذا الدين الجديد وللقضاء على كل من آمن مع محمد ﷺ، فمن الصحابة من مات تحت وطأة التعذيب ـ لتعلموا أن الإسلام يقوم على أكتاف الرجال ولا يقوم

على أكتاف الضعفاء المساكين ـ وقدم روحه رخيصة في سبيل الله، وجاء بعضهم من شدة ما وقع عليه من تعذيب الكفار يشتكي إلى رسول الله ﷺ، يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه**» ـ وبشرهم الرسول ﷺ أنهم سيفتحون البلاد، وقلوب العباد فقال لهم ـ: «**والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١). بشرهم وهم ضعفاء في مكة بأن هذا الدين سيصل إلى كل مكان وكانوا يعلمون أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، فأيقنوا بأن ذلك سيكون بإذن الله.

● ولم يكتفِ بذلك ﷺ بل بشرهم ـ وهم مستضعفون في مكة ـ بأنهم سيفتحون مصر، واليمن، والشام، والعراق والقسطنطينية والبيت الأبيض بيت كسرى، وقد تم ما وعدهم به يقول ﷺ: «**إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً**»(٢)، وقد فتحوها، وقال لهم ﷺ: «**يُفتح اليمن، فيأتي قوم يُبسُّون، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»(٣)، أي: إذا فتحت اليمن فهناك، من أهل المدينة من يأخذ بأهله ويذهب إلى هذه البلاد المفتوحة المسلمة الجديدة لما فيها من خيرات الدنيا، والرسول ﷺ يقول: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»(٤).

ويقول ﷺ: «**ثم يفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٤٣).
(٣) **صحيح**: خ: (١٧٧٦)، م: (١٣٨٨).
(٤) **صحيح**: خ: (١٧٧٦)، م: (١٣٨٨).

**أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»**(١) وقد فُتحت كل هذه البلاد كما أخبر بذلك ﷺ.

• وسئل ﷺ: «أي المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رومية؟ فقال ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**»(٢) وقد فتحت قسطنطينية، وقال ﷺ: «**عُصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض، بيت كسرى**»(٣)، أي: مجموعة قليلة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض (بيت كسرى) وقد فتحوه، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أخبرهم بذلك الرسول ﷺ وهم في مكة والكفار يسومونهم سوء العذاب، لكنهم مع ذلك كانوا يوقنون بأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، فتم ما وعدهم به وفرحوا بنصر الله وفتحوا حتى البيت الأبيض بيت كسرى ـ وسيفتح بإذن الله في واشنطن، وسيفتح بإذن الله في موسكو. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ٦] ـ ولذلك أمتن الله عليهم بذلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

بدأ الإسلام غريباً ـ ومع ذلك فتح المسلمون الدنيا من مشرقها إلى مغربها بهذا الدين العظيم ـ وسيعود غريباً كما بدأ.

**العنصر الثالث: المستقبل للإسلام والمسلمين رغم أنف الكفار والمنافقين.**

• لأن الله ﷻ وعدنا بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ

---

(١) ما سبق.

(٢) **صحيح**: حم: (٢/١٧٦)، مي: (٤٨٦)، ك: (٤/٥٩٨)، ش: (٤/٢١٩)، [«س.ص» (٤)].

(٣) **صحيح**: م: (١٨٢٢).

ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] ولقد أخبرنا بذلك ﷺ في سنته.

يقول الله ﷻ في كتابه مبشراً عباده المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: ١٧٢]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٣].

وقال ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض**»(١)، فنحن نبشر هذه الأمة في كل مكان ونبشر المستضعفين في الأرض في كل مكان بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، ويقول ﷺ: «**إن الله زوى** ـ أي جمع وضم ـ **لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها**»(٢).

وإذ رأى ﷺ مشرقها ومغربها، فإن قلنا: سترفرف راية الإسلام على موسكو وعلى واشنطن فلا تتعجب! إنه وعد الله.

ويقول ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً**

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ١٣٤)، حب: (٤٠٥)، ك: (٤/ ٣٤٦)، هب: (٥/ ٣٣٤)، حل: (١/ ٢٥٥)، [«ص.ج» (٢٨٢٥)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٢٥٢)، ت: (٢١٧٦)، حم: (٤/ ١٢٣)، حب: (٦٧١٤)، ش: (٦/ ٣١١)، [«ص.ج» (١٧٧٣)].

**يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر**»[١]، فما من بيت على وجه الأرض إلا وسيدخله هذا الدين، ويقول ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**»[٢]، فالنصر قادم، والعزة والتمكين ستظل في الأرض لهذا الدين، بكم وبغيركم سيصل الدين إلى كل مكان، فشرفوا أنفسكم وكونوا من حملة هذا الدين.

- **هذا الطريق إلى العزة والنصر والتمكين، هذا هو العنصر الرابع في حديثنا لهذا اليوم، فكيف نتحصل عليه؟**

**أولاً**: بالعقيدة الصحيحة، وبالإيمان الصادق، وبالابتعاد عن الشرك فلا حزبيات ولا تكتلات فارغة!! قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٥٥] أي: من يحملون في قلوبهم عقيدة صادقة، عقيدة التوحيد، أما الذين يحملون في قلوبهم الشرك، أو الذين يدعون الأموات من دون الله، أو الذين يستغيثون بالمقبورين، أو الذين يطلبون النصر من عند غير الله فلن ينصرهم الله أبداً.

وقال ﷻ في آخر الآية: ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

**ثانياً**: الطريق إلى النصر والتمكين يكون بالاتحاد والاعتصام والابتعاد عن الفرقة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فهذه الحزبيات والجماعات وهذه الأفكار التي تخرج على الساحة الإسلامية في كل يوم تفرق الأمة، فهي وبال على الأمة، فلا تختلفوا وإلا ستهلكوا!!

---

(١) **صحيح**: حم: (٤/ ١٠٣)، ك: (٤/ ٤٧٧)، هق: (٩/ ١٨١)، [«س.ص» (٣)].

(٢) **صحيح**: حم: (٤/ ٢٧٣)، لس: (٤٣٨)، [«س.ص» (٥)].

**ثالثاً**: الطريق إلى النصر والتمكين يكون بالحرص على العمل الصالح وبالابتعاد عن المعاصي، لأن الله عز وجل قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، فنحن بالأعمال الصالحة نحيا حياة طيبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وأحلى حياة يحياها المسلم بعزة وكرامة عندما يشعر أن الكلمة صارت له، وأن صوته هو الذي يُسمع، وأن العالم كله تحت أمره، أَما اليوم والكفرة هم الذين يديرون العالم، وهم الذين يتكلمون، وهم الذين يُسمع لهم، فإنا عن الحياة الطيبة لبعيدون، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

وكل ذلك بسبب ما نقترف من المعاصي بالليل والنهار، أيها المسلم**!** كيف تسهر بالليل على الأفلام الهابطة عبر شاشات المفسديون من خلال القنوات الهابطة، وأنت تعلم أن إخوة لك في الشيشان ـ أو في أي بلد مسلم ـ يذبحون، والأعراض تنتهك هناك**!؟** أشهد بالله أنك ضعيف الإيمان، وأنك بعيدٌ عن هدي الإسلام، وأنك لا تشعر بطعم الإسلام**!!**

• أين نحن من قوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»؟[١].

• أين نحن من قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبَّك بين أصابعه[٢].

ابن آدم**!** إذا عجزت أن تساعد المسلمين بمالك فما عليك إلا أن تقوم بالليل تبكي وتقول: اللهم انصرهم على أعدائهم، وعليك أن تتوب من المعاصي فالمعاصي سبب للذل، قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).

ـ عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

**رابعاً**: الطريق إلى النصر والتمكين يكون بالولاء والبراء، بالولاء لله ولرسوله ولكل المؤمنين، والبراء من الكفر والكفرة والمنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤ ـ ٥٦].

***أمة الإسلام!*** هذا هو طريق النصر فاسلكوه، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فإذا أردتم العزة والتمكين والنصر فعليكم:

١ ـ أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً.

٢ ـ أن تتبعوا الرسول وحده ولا تبتدعوا في دين الله.

٣ ـ أن تسلكوا سبيل الصحابة وحدهم، واحذروا الحزبية البغيضة التي تُربي الشباب على كُره بعضهم لبعض.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

٢٢٤

## المجرم الثامن والثلاثون
## المُستَحِل للغناء والمعازف (أي: الموسيقى)

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثامن والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه المُستحل للغناء والمعازف (الموسيقى).**

الغناء والمعازف مرض خطير انتشر بين المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ فأمرض قلوبهم وأفسدها.

- فمن المسلمين اليوم لا ينام إلا على أنغام الموسيقى!!
- ومن المسلمين اليوم لا يدرس إلا على أنغام الموسيقى!!
- ومن المسلمين اليوم لا يتزوج ولا يرضىٰ أبداً بالزواج إلا أن يتم على أنغام الموسيقى!!
- ومنهم من أدمن الغناء وأحب أهله حتى إنه يقدم روحه فداءً إذا ما سمع بموت أحد المغنين المشهورين!!

فيا للعجب كيف وصلت هذه الأمة إلى هذا المستوى!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: الغناء والمعازف ـ أي الموسيقى ـ في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني**: الحكمة من تحريم الغناء والموسيقى.

**عبادَ الله! العنصر الأول ـ الغناء والموسيقى في ميزان الكتاب والسنة:**

فاسمعوا وعوا؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**أولاً**: الدليل من كتاب ربنا على تحريم الغناء والمعازف.

١ ـ يقول الله ﷻ لإبليس: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

• ذهب جمهور المفسرين إلى أن صوت الشيطان في هذه الآية هو الغناء واللهو واللعب.

• وقال مجاهد رحمه الله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (هو الغناء والمزامير)[1].

وانظر يا أخا الإسلام: إلى مجموعة من الناس قد اختلط فيها الرجال بالنساء ـ كما تراهم في عرس ما ـ والشباب بالشابات، وهم في تبرج، وسفور، وعري، ورقص، كل ذلك على أنغام الغناء والموسيقى، انظر إلى حالهم لترى تماماً كيف أن الشيطان قد استفزهم، فإنك تراهم يرقصون، ويرتفعون وينخفضون جهة اليمين وجهة الشمال وكل ذلك من فعل الشيطان بهم ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾.

٢ ـ يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٦، ٧].

• سُئل ابن مسعود رضي الله عنه عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فقال: (هو الغناء واللهِ الذي لا إله إلا هو)، يرددها ثلاث مرات[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٢).

• وسُئل ابن عباس رضي الله عنه عن ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فقال: (هو الغناء وأشباهه)[١].

• وسُئل عكرمة رحمه الله عن ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فقال: (هو الغناء)[٢].

يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١].

سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٦١] فقال: (هو الغناء بلغة حِمْيَر، سمد لنا: أي: غنى لنا)[٣].

وقال مجاهد رحمه الله: (هو الغناء، يقول أهل اليمن: سمد فلان إذا غنى)[٤].

**ثانياً**: الدليل من السنة المطهرة على تحريم الغناء والمعازف ـ الموسيقى.

قوله ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِر** ـ أي الفروج وهذا كناية عن استحلال الزنا ـ **والحرير والخمر والمعازف** ـ وهي آلات الطرب، أي: الموسيقى ـ **ولينزلن أقوام إلى جنب علم** ـ أي جبل ـ **يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم** ـ يعني الفقير ـ **لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً، فَيبيتهُم اللهُ، ويضع العلم** ـ أي الجبل ـ، **ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[٥]. هذا دليل صحيح صريح على تحريم المعازف وهي جميع آلات اللهو والطرب ويظهر ذلك جلياً فيما يلي:

١ ـ في قوله ﷺ: «**يستحلون**»، دليل واضح على أن المذكورات الأربعة ليست حلالاً شرعاً ومنها «**المعازف**».

٢ ـ لأن استحلال الحِرَ والحرير والخمر والمعازف بفعلها أوجب المسخ والعذاب على من استحلها، ولا يُعذبُ الله إلا على فعل محرم ولو

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٢).
(٤) المصدر السابق.
(٥) **صحيح**: خ: (٥٢٦٨).

كانت حلالاً لكان تعذيب الله للناس عليها ظلماً، والله ﷻ منزه عن الظلم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

• يقول ﷺ: «**ليشربن أُناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، ويضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير**»(١)، كما تسمعون اليوم يسمونها بالمشروبات الروحية، يقول أحدهم: أشربها لأنها تغذي الروح!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

انظروا عباد الله، هل حدث هذا في بلاد المسلمين؟ قوم يجلسون في سهرة حمراء يشربون الخمر يضرب على رؤوسهم ـ أي: أمامهم وهم ينظرون ـ بالمعازف ـ أي الموسيقى ـ والقينات ـ أي المغنيات، فالموسيقى تضرب، والمغنية المتبرجة تغني وترقص، فماذا تنتظرون من هؤلاء؟ هل سيحررون الأقصى؟!!

في جوف الليل وبدلَ أن تراهم في السحر يستغفرون تراهم يسكرون ويسهرون على الموسيقى والغناء!!

يقول ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم عليَّ الخمر والميسر والكوبة، وقال: وكل مسكر حرام**»(٢). والكوبة هي الطبل.

ويقول ﷺ: «**في هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذف**» قال رجل من المسلمين: يا رسول الله! متى ذلك؟ قال: «**إذا ظهرت القيان** ـ أي: المغنيات ـ **والمعازف** ـ أي الموسيقى ـ **وشربت الخمور**»(٣).

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠٢٠)، حب: (٦٧٥٨)، طب: (٣/ ٢٨٣)، ش: (٥/ ٦٨)، هب: (٥/ ١٦)، [«ص.ج» (٥٤٥٤)].

(٢) **صحيح**: د: (٣٦٩٦) حم: (١/ ٢٧٤)، حب: (٥٣٦٥)، طب: (١٢/ ١٠١)، ع: (٥/ ١١٤)، هق: (٨/ ٣٠٣)، [«س.ص» (٢٤٢٥)].

(٣) **حسن لغيره**: ت: (٢٢١٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٧٩)].

ويقول ﷺ: **«إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء...»** ـ وذكر منها ـ: **«وشربت الخمور، وَلُبِسَ الحرير، واتخذتِ القيناتُ والمعازفُ»**(١).

وقال ﷺ: **«يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب فيصبحون وقد مسخوا قردة وخنازير...»** وذكر فيه: **«بشربهم الخمر، وأكلهم الربا، واتخاذهم القينات، ولبسهم الحرير وقطيعتهم الرحم»**(٢).

وقال ﷺ: **«إذا استحلت أمتي ستاً فعليهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»**(٣).

وقال ﷺ: **«لا يحل بيع المغنيات، ولا شراؤهن، ولا تجارة فيهن، وثمنهم حرام»**(٤).

**ثالثاً**: الدليل من أقوال السلف والتابعين على تحريم الغناء والمعازف.

***عباد الله!*** اعلموا أن جمهور السلف ـ من الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء، والفقهاء قديماً وحديثاً ـ متفقون على تحريم الغناء والمعازف.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (الدفُ حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام)(٥)، هذا الدف الذي أصبح تجارة عند بعض

---

(١) **ضعيف**: ت: (٢٢١٠)، طس: (١/ ١٥٠)، [«ض.ج» (٦٠٨)، [للاستزادة انظر: كتاب «تحريم آلات الطرب» للإمام الألباني (ص٦٦)].

(٢) **حسن**: ك: (٤/ ٥٦٠)، لس: (١١٣٧)، هب: (٥/ ١٦)، [«س.ص» (١٦٠٤)].

(٣) **حسن لغيره**: طس: (٢/ ١٧)، هب: (٤/ ٣٧٧)، حل: (٦/ ١٢٣)، [«ص.غ.ه» (٢٠٥٤)].

(٤) **حسن**: ت: (١٢٨٢)، هـ: (٢١٦٨)، طب: (٨/ ١٨٠)، هب: (٦/ ١٤)، [«س.ص» (٢٩٢٢)].

(٥) هق: (١٠/ ٢٢٢).

الشباب، فيضربون به ويغنون ما يسمونه (بالأناشيد الإسلامية)!! وما سمعنا ولا قرأنا في كتاب أبداً أن شعراً ما كان يسمى بالأناشيد الإسلامية وإنما هذا اسم أحدثوه وابتدعوه كمثل ما نسمع اليوم: (البنك الإسلامي، الديمقراطية الإسلامية، الاشتراكية الإسلامية، الشُرت الإسلامي، الغناء الإسلامي)!! لقد ابتدعوا الأسماء وظنوا أنهم بهذا يُحلّون الحرام! ونسوا أن الأسماء لا تغيِّر مِنْ حقائق المسميات شيئاً!! وذلك أيضاً كتسميتهم للربا بالفوائد!! وللخمر بالمشروبات الروحية!!

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب).

وقال الحسن البصري: (ليس الدفوف من أمر المسلمين في شيء).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الأئمة الأربعة متفقون على تحريم المعازف التي هي آلات اللهو، كالعود ونحوه ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف بل يحرم عندهم اتخاذها).

وسُئل بعض العلماء ـ هل أنتم تُرخصون في الغناء؟ فقال: (معاذ الله، ما يفعل هذا عندنا إلا الفُسَّاق)، وقال الحكيمي كما في «شعب الإيمان»: (وضرب الدف لا يحل إلا للنساء ـ أي: في الأعراس والأعياد ـ لأنه في الأصل من أعمالهن وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده، يأمره أن يربيهم على بُغض (المعازف ـ أي: الموسيقى) فكتب: (لِتكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتُها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بها، ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب).

هذا هو الاهتمام الحقيقي بالأولاد، فهو يأمر المربي أن يُبَغِّض إليهم الغناء والمعازف، فانظروا عباد الله إلى الفرق العظيم بيننا وبينهم، فاليوم

الكثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ قد أدخل آلات الفساد إلى بيته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولولا الحرج لذكرت الأسئلة التي توجَّه إليَّ عبر الهاتف من الشباب والشابات، ونساء الرجال الذين سمحوا بوضع هذه الأجهزة على بيوتهم، ولم يعلموا ماذا يحدث في غيابهم؟ والله لولا الفضيحة لذكرت على المنبر ما يحدث في غيابك أيها مسلم، بسبب وضعك لهذا الجهاز في بيتك! ومع ذلك تقول: أنا أسيطر على الموقف!! نعم قد تسيطر عليه أثناء وجودك! أما في غيابك فلا، وبعد موتك فلا، فالذي أدخل هذه الأجهزة لأولاده في البيت قد أفسدهم، وإن مات على ذلك مات غاشاً لرعيته، والنبي ﷺ يقول: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١).

***أمة الإسلام!*** اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أولادكم ونسائكم.

إن الواجب على المسلم إذا سمع (قال الله) و(قال رسول الله) أن يقول: سمعنا وأطعنا، ولا يسأل ولا ينتظر أن يعرف الحكمة من التحليل أو التحريم للأمر، لأن الله لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، ولذلك وصف ربنا جل وعلا المؤمنين الصادقين فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

### العنصر الثاني ـ ما هي الحكمة من تحريم الغناء والموسيقى؟

**أولاً**: لأن الغناء مع الموسيقى يمرض القلوب، أما القرآن فإنه يحيي القلوب المريضة، ويصلح القلوب الفاسدة، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، والغناء يفسد القلوب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٨٥٣)، م: (١٨٢٩).

• انظروا عباد الله: إلى رجل يعيش مع القرآن يحفظه ويتغنى به، ويقوم به من الليل، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، فإنك ترى هذا الإنسان إذا دُعِيَ إلى الجهاد في سبيل الله كان من السابقين، إذا دُعِي إلى الإنفاق في سبيل الله كان من السابقين، وهكذا يفعل القرآن بأصحابه وأهله.

• وفي المقابل رجل امتلأ قلبه بالغناء، فهذا إذا دُعِيَ إلى فاحشة كان من السابقين إليها، وإذا دُعِيَ إلى ترك الصلاة كان من السابقين إلى ذلك، وتراه وقد أخذ ينفق ماله على الراقصات والمغنيات، فيجلس هؤلاء المجلس ويضرب على رؤوسهم بالموسيقى والغناء، وترقص الراقصة أمامهم فترى من هؤلاء من يقوم ـ وهو مخمور ـ ويخرج من جيبه مالاً كثيراً ويضعه بَيْن ثديي الراقصة!! ما الذي حركه؟ إنه فساد قلبه بالغناء والموسيقى، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب)، فصيانةً لنا حرَّم الإسلام علينا الغناء والموسيقى وحفاظاً على قلوبنا.

**ثانياً**: لأن الغناء مع الموسيقى لهو باطل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [لقمان: ٦].

وقد سُئل ابن مسعود رضي الله عنه عن ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ فقال: (هو الغناء والذي لا إله إلا هو)[(١)] ثلاثاً.

• وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ فقال: (هو الغناء وأشباهه)[(٢)].

**ثالثاً**: لأن الغناء مع الموسيقى زورٌ ولغوٌ، والله عز وجل وصف المؤمنين عباد الرحمن فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢]، فهم لا يجلسون في مجالس الزور، وهي كل مجالس الباطل، ومجالس الغناء منها.

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٩٩.

(٢) تقدم تخريجه ص٢٩٩.

**رابعاً**: لأن الغناء مع الموسيقى باطل، والباطل ضد الحق، والحق أحق أن يتبع، والباطل أحق أن يجتنب، (قال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنه: ما تقول في الغناء: أحلالٌ هو أم حرام؟ فقال: لا أقول حراماً إلا ما في كتاب الله، فقال: أفحلال هو؟ فقال: لا أقول ذلك، ثم قال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك).

***عبادَ الله!*** ولكن ومع الأسف الشديد لقد أصبحَ الباطل حقاً في هذا الزمان ـ الذي انقلبت فيه الموازين ـ فالغناء أصبح يُسَمَّىٰ فنّاً، ومِنْ خلال الإعلام الظالم يُلَمَّع المغني الساقط والمغنية الساقطة والموسيقا، وتشوَّه صورة علماء المسلمين!!

ومن الأمثلة على ما في الغناء من الباطل:

• امرأة في السبعين من عمرها تقف أمام الرجال ـ مع أنها في هذا السن يجب أن تكون مع الله في صلاة وذكر وقرآن وحج وعمرة ـ لكنها تقف تحت أنغام الموسيقى وتقول: (خدني في حنانك خدني)!! بالله علكيم لو أن رجلاً رأى امرأته تقف في الشارع وتقول للناس مثل هذا الكلام فماذا عساه أن يقول لها؟ وماذا سيقول لها الناس الذين في الشارع؟ لا بد أنهم سينكرون عليها هذا الكلام ويقولون لها استحيي يا أمة الله! لكنها حين تقول هذا الكلام على مسمع من العالم يشار إليها بالبنان وتسمى «بكوكب الشرق»!! أفلا نتعجب من هذا القلب للموازين!! هكذا يزنون الباطل بميزانٍ باطل، هكذا يُلمعون التافهين في عالم الباطل، وإلَّا فإنَّ هذا الكلام كلام باطل وقلة أدب، وهذا مما يدل على انعدام الحياء.

• مُغَنٍ آخر يقف أمام الناس وعلى مسمع ومرأى من الدنيا يقول: (قدر أحمق الخطىٰ).

ومن أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر مات كافراً، ومع ذلك يقف هذا الذي يدعي الإسلام ويقول: (قدر

أحمق)!! ومن فتيات المسلمين من انتحرت عند سماعها لخبر موته... لتُدعى شهيدة العندليب!!! ومع ذلك ترى الكثيرين يصفقون ويطربون لسماع هذا الكلام الباطل!! أعرفتم لم حرم الإسلام الغناء والموسيقى؟ لأنه يجر إلى الكفر والباطل والمنكر.

**خامساً:** حُرّم الغناء لأنه بريد الزنا ورقية الزنا.

- قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الغناء رُقية الزنا)(١).

- وقال يزيد بن الوليد: (يا بني أمية، إياكم والغناء فإنه ينقض الحياء، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا)(٢).

فكم من حُرَّةٍ صارت بالغناء من البغايا، وكم من حُرٍّ أصبح بالغناء عبداً للصبيان أو الصبايا.

**سادساً:** حرم الإسلام الغناء والموسيقى، لأن الغناء صوت الشيطان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وجمهور المفسرين على أن الصوت المذكور هنا هو الغناء.

**سابعاً:** الغناء هو مزمار الشيطان، تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «دخل رسول ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاثٍ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، فدخل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فانتهرني وقال: مِزمارُ الشيطان عند رسول الله ﷺ؟! فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: **دعهما...**»(٣) ـ الشاهد: أن الرسول ﷺ لم ينكر على أبي بكر تسمية الغناء بمزمار الشيطان، فيا من تستمع الغناء، ويا من تستمع الموسيقى، ويا من تقول: كيف أزوج ولدي بدون الغناء والموسيقى؟! وتقول: اتركونا نريد أن نفرح!! اقول لك: يا أخي كيف تفرح بمعصية الله!؟ تبدأ عرسك

---

(١) هب: (٤/ ٢٨٠). (٢) هب: (٤/ ٢٨٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٧١٦)، م: (٨٩٢).

بمعصية الله، ثم بعد ذلك عندما لا تشعر بالسعادة تقول: ما السبب؟ نقول لك: أنت السبب!! إذ كيف بعدما سمعتم أَدلة تحريم الغناء والموسيقى يأتي أحدكم بآلات اللهو والموسيقى إلى بيته ليفسد أولاده وزوجته؟! فاتقوا الله في أنفسكم وأولادكم ونسائكم.

**فإذا سأل سائل:**

**ما الحكم في غناء الصوفية الذين يسهرون عليه ويرقصون ويغنون ويشطحون حتى يصل بهم الحال كما يصل بأصحاب الخمور؟**

**الجواب**: نقول: إنه حرام ولا يجوز، فإنهم يتقربون إلى الله ببدعة ابتدعوها، فاستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله! وفعلهم هذا لا يوجد في الكتاب ولا في السنة، ولم نسمع هذا عن أحد من السلف والعلماء.

**وإذا سأل سائل:**

**وماذا تقول في الأناشيد الإسلامية التي نسمعها ـ كما يزعمون ـ في الأعراس الإسلامية تصحبها الموسيقى وتُغَنَّى بطريقة غناء أصحاب الباطل؟**

**الجواب**: نقول: إنها حرام ولا تجوز، لأنها اشتملت على المعازف، ولقد لحنوها كما تلحن أغاني الباطل، أما إذا كان شعر يحض على المروءة والرجولة والشهامة والجهاد في سبيل الله وتغنى به الرجل بدون آلات الطرب والموسيقى أحياناً فلا بأس بذلك، أما إذا رافقه الدف أو آلات الطرب وقام به الشباب يغنون كما تغني المغنيات فهذا حرام فإن هذا الغناء يفسد القلوب، وهذا مما يحول أيضاً بينهم وبين القرآن، ولا يجتمع القرآن والغناء في قلب واحد أبداً.

• وكم أتألم لشباب قد بدءوا في حفظ القرآن، ثم اتجهوا اليوم إلى حفظ الأناشيد الإسلامية ـ كما يزعمون ـ ثم أخذوا يذهبون إلى الأعراس ليأخذوا عرضاً من أعراض الدنيا مقابل هذه الأناشيد، وتركوا في المقابل حفظ القرآن!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

• ويُسمح بالغناء مع الدف للنساء فقط في الأعراس والأعياد، فلقد جاءت النصوص تبيح ذلك لهن. أما أن يفعل ذلك الشباب والرجال فلا، لأن الدف يُرخص فيه للنساء في الأعراس وللجواري في الأعياد فقط، فمن فعل ذلك من الشباب والرجال فقد تشبه بالنساء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء...)[(١)].

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

**اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه**

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٥٤٦).



# المجرم التاسع والثلاثون ـ الفاسق

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم التاسع والثلاثين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الفاسق»**.

الفاسق: من خرج عن طاعة ربه.

الفاسق: من لم يستجب لله ورسوله.

الفاسق: من أمره الله فلم يأتمر، ونهاه فلم ينتهِ.

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول:** الفاسق في ميزان الكتاب والسنة.

**العنصر الثاني:** الفاسق مجرم.

**العنصر الثالث:** المؤمن والفاسق هل يستويان مثلاً؟

**العنصر الأول: الفاسق في ميزان الكتاب والسنة.**

الفاسق تخرَّج من مدرسة إبليس، لأن إبليس هو أول من فسق عن أمر ربه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

والفُساق الذين يتخرجون من مدرسة إبليس، ويتدربون على يد إبليس كثيرون جداً، يملئون الأرض، يخبرنا بذلك ربنا جل وعلا في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

***عباد الله!*** الفساق كثيرون جداً، وهم يسعون في الأرض فساداً، ولذلك فهم سبب لكل شر، وهم سبب لخراب الديار، وهم سبب لهلاك البلاد والعباد. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٦، ١٧]، وقال ربنا جل وعلا في موضع آخر: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، أي: لتعتبروا.

**فانظروا على سبيل المثال:**

- قوم نوح فسقوا عن أمر ربهم بتكذيبهم نوحاً عليه السلام، فقال الله عز وجل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٤٦].

- وقال الله عز وجل عن فرعون وقومه: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

- وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل: ٥٢].

الفاسق تخرَّج من مدرسة إبليس، والفسقة على وجه الأرض كثيرون جداً يسعون في الأرض فساداً، فهم سبب لهلاك البلاد والعباد.

***عباد الله!*** اعلموا أن من الفسقة من يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً، ومن الفسقة من لا يخلد في النار بل يخرج منها بعد أن يعذب، إن كان قد مات على التوحيد، فقولنا في الفسق تماماً كما نقول في الكفر والظلم والنفاق.

- فالكفر عندنا؛ كفر دون كفر، «كفر أكبر، وكفر أصغر».
- والظلم عندنا؛ ظلم دون ظلم، «ظلم أكبر، وظلم أصغر».

- والنفاق عندنا، نفاق دون نفاق، «نفاق أكبر، ونفاق أصغر».
- والفسق عندنا، فسق دون فسق، «فسق أكبر، وفسق أصغر».

***عباد الله!*** فهناك فسق أكبر صاحبه يخلد في النار، ولا يخرج منها أبداً، وفسق أصغر صاحبه لا يخلد في النار ولكنه يعذب بارتكابه للكبائر، ثم يخرج من النار إذا مات على التوحيد.

***عباد الله!*** ونضرب أمثلة لهؤلاء الذين فسقوا فسقاً أكبر، وهؤلاء الذين فسقوا فسقاً أصغر.

**أولاً**: إبليس فاسق كما سمعتم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: ٥٠].

**ثانياً**: الكافر فاسق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩].

**ثالثاً**: أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فسقة، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

**رابعاً**: المنافق فاسق، قال ـ تعالى ـ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ إلى أن قال رب العزة في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون: ١ ـ ٦].

**خامساً**: الذي يتبع هواه ويحكم بغير ما أنزل الله فاسق، فالهوى إله يعبد من دون الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

**سادساً**: القاذف للمحصنات المؤمنات فاسق.

• الذي يقذف امرأة بالزنا دون أن يأتي بأربعة شهداء ـ مثلاً: إذا قال الرجل عن امرأة: إنها زانية فهو فاسق، وإذا قال عن رجل آخر إنه زانٍ فإنه فاسق ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤]. والقذف كثير على ألسنة الناس في هذا الزمان في مجالسهم!!

• من رمى امرأة بالزنا دون أن يأتي بأربعة شهداء فهو فاسق، وهو مردود الشهادة وحده في الإسلام أن يجلد ثمانين جلدة على ظهره أو أن يأتي بأربعة شهداء.

• وهذا القاذف ملعون في الدنيا والآخرة، ويعذب يوم القيامة عذاباً شديداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥]، فأمسك عليك لسانك.

• والقذف عدهُ الرسول ﷺ من الموبقات، فقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ فذكر منها ـ: «**وقذف المحصنات المؤمنات**

**الغافلات»**(١)، فإياك أن تؤذي الناس بلسانك، يقول ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢)، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «**كف عليك هذا**»، قال: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»(٣)؟!.

**سابعاً**: النمام الذي ينقل الكلام بين الناس ليفسد بين الأحبة فاسق، فإياك أن تكون من النمامين الفسقة.

• ***عباد الله!*** أحب الأعمال إلى الله الإصلاح بين الناس، وأحب الأعمال إلى الشيطان الإفساد بين الناس، ولذلك حذرنا ربنا من هذا النمام الفاسق الذي يفسد بين الناس قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وفي قراءة ـ فتثبتوا ـ لِمَ يا ربنا؟ ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

• فكم من رجل قتل رجلاً آخر بسبب ما نُقِلَ له من الكلام؟ كثير!

• وكم من إنسان سجن بسبب نقل الكلام؟.

• وكم من إنسان أصبح عاقاً لوالديه بسبب نقل الكلام؟

• وكم من إنسان طلق زوجته بسبب نقل الكلام؟

• وكم من إنسان أرضى زوجته وعق أمه بسبب نقل الكلام؟

ولذلك يقول ﷺ: «**وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»(٤) وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩). (٢) **صحيح**: خ: (٦١١٩)، م: (٤١).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/٢٣٧)، ك: (٢/٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، طب: (٢٠/٧٣)، هب: (٣/٣٨)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧١١)، م: (٢٥٢٦).

**للبرآء العنت**»[(١)].

**ثامناً**: «البذيء» الذي يسب ويشتم ويؤذي المسلمين بلسانه فاسق. يقول ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(٢)]. وكم تسمع من الناس مَنْ يسب أمه ويسب والده، أو يسب زوجته وأولاده، أو يسب الناس؟!

**العنصر الثاني: الفاسق مجرم في حق نفسه، وذلك:**

لأنه عرض نفسه للعذاب والخزي في الدنيا والآخرة.

**أما في الدنيا**: فالخزي والعذاب للفاسق، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥].

**أما في الآخرة**: فإن الفساق ينتظرهم عذاب أليم في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة: ٢٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

**العنصر الثالث ـ المؤمن والفاسق هل يستويان مثلاً؟**

وهذا سؤال يحتاج إلى جواب، المؤمن والفاسق هل يستويان مثلاً؟

المؤمن الذي سلك طريق الإيمان الذي يوصله إلى الجنة، والفاسق الذي سلك طريق الشيطان الذي يوصله إلى النار هل يستويان مثلاً؟

---

(١) **حسن**: حم: (٤/ ٢٢٧)، خد: (٣٢٣)، طب: (٢٤/ ١٦٧)، هب: (٧/ ٤٩٤)، [«ص. خد» (٢٤٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٨)، م: (٦٤).

المؤمن الذي يدفعه إيمانه الذي في قلبه إلى الأعمال الصالحة والفاسق الذي يدفعه شيطانه إلى المعاصي هل يستويان مثلاً؟!

**ويأتيكم الجواب على هذا السؤال:** من كتاب ربنا جل وعلا، فاسمعوا يا عباد الله، يقول الله ﷻ واصفاً الفسقة، وواصفاً المؤمنين ثم يأتي السؤال ويأتي الجواب من كلام ربنا فلتنتبهوا يا عباد الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ١٢ ـ ٢١].

ولذلك قال ربنا جل وعلا في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

***عباد الله!*** المؤمن الذي يتجافى جنبه عن المضاجع في جوف الليل يصلي لله، هل يستوي هو ومن جلس ينظر إلى الأفلام الهابطة عبر شاشات المفسديون؟! هل يستويان مثلاً؟! أجيبوا أنفسكم يا أمة الإسلام.

- المرأة التي تلبس جلبابها استجابة لأمر ربها هل تستوي مع المرأة

المتبرجة التي تبيع لحمها في الشوارع؟! هل تستويان مثلاً؟

• الرجل الذي يحافظ على أداء الصلوات الخمس في المسجد هل يستوي هو ومن ضيع الصلاة؟

• الرجل الذي يتحرى الحلال في تجارته، والرجل الذي يتعامل بماله في الربا هل يستويان مثلاً؟

***عباد الله!*** الله ﷻ يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، ويكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان. فإياكم أن تسلكوا سبيل الفسقة ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا أن تكونوا من الفسقة، واحذروا أن تتخرجوا من مدرسة إبليس، واحذروا أن تكونوا ممن يفسدون في الأرض، واتقوا النار، وابتعدوا عما يوصل إلى النار، وعليكم بطريق المؤمنين الصادقين الصالحين، فالناس يوم القيامة فريقان، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

**اللهم أعز الإسلام والمسلمين**

❁ ❁ ❁

٢٢٦

# المجرم الأربعون ـ السارق

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «السارق».**

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** السارق: هو الذي يعتدي على أموال الناس بالسرقة.

السارق: الذي يعتدي على بيوت الناس بالسرقة.

السارق: الذي يعتدي على جيوب الناس بالسرقة.

***عباد الله!*** السرقة مرض خطير انتشر كثيراً في هذا الزمان العجيب حتى تجرأ الذين يقومون بهذا العمل الخبيث أن يسرقوا المصلين في بيوت الله وهم خارجون من أبواب المساجد!! وهذا مؤشر يشير إلى الشر، ولذلك وانطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ**﴾ [المائدة: ٢]، وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(١) فهذه رسالة نوجهها إلى كل سارق ـ ذكراً كان أو أنثى ـ، فيها تذكير وتحذير وتبشير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

***عباد الله!*** نقول للسارق، ذكراً كان أو أنثى:

أيها السارق: نذكرك أن السرقة حرامٌ قد حرمها الله ورسوله إلى يوم القيامة، والدليل من كتاب ربنا: قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾**﴾

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).

[المائدة: ٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢]. وقد بايع النبي ﷺ النساء على ما في هذه الآية: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ ...﴾ الآية، وبايع النبي ﷺ الرجال أيضاً على ما في هذه الآية.

• عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا**»، وقرأ آية النساء الآية: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[(١)].

• وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[(٢)].

والعجب العجاب أن يأتي هذا السارق إلى المسجد ويصلي معنا، وربما جاء لسماع الموعظة، ومع ذلك إذا خرج مع المصلين فعلى أبواب المسجد يمد يده الخبيثة ليسرق من جيوب المصلين!!

• وقال ﷺ: «**ألا إنما هن أربع: أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا**»[(٣)]، فالسرقة حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام إلى يوم القيامة والسرقة من الجيران أشد حرمة، فإذا سرق أحدهم شيئاً من بيوت جيرانه أو من جيوب المصلين الذين جاوروه في الصلاة فهي أشد حرمة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦١٢)، م: (١٧٠٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣٤٣)، م: (٥٧).
(٣) **صحيح**: حم: (٤/٣٣٩)، ك: (٤/٣٩١)، طب: (٧/٣٩)، [«س.ص» (١٧٥٩)].

«**ما تقولون في الزنا**»؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: «**ما تقولون في السرقة؟**»، قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»(١).

**أيها السارق**: نذكرك أَنك بهذا الفعل الخبيث ملعون، يقول ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»(٢).

**أيها السارق**: نذكرك أَنك ظالم، والظلم ظلمات يوم القيامة، ومن ظلم قيد شبر طوقه بسبع أراضين يوم القيامة، والدليل على أن السارق ظالم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩] أي: من بعد ما سرق.

دليل آخر من كتاب ربنا على أن السارق ظالم، عندما نادى المؤذن على إخوة يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: ٧٠ ـ ٧٥]. أي: كذلك نجزي السارقين، فالسارق ظالم، وأي ظلم بعد أن تعدى على أموال الناس وممتلكاتهم؟!

**أيها السارق**: نذكرك بأنك من المفسدين في الأرض، قال ـ تعالى ـ:

---

(١) **صحيح**: حم: (٦/ ٨)، خد: (١٠٣)، طب: (٢٠/ ٢٥٦)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٤٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٠١)، م: (١٦٨٧).

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾. فدل هذا على أن السارق من المفسدين في الأرض، والله ﷻ قد توعد المفسدين في الأرض بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣].

**أيها السارق:** نذكرك بحد السرقة في الإسلام، يا من تسرق في أي وقت تشاء، ومن أي بيت تشاء، افعل ما شئت إن الله بما تعملون بصير، ونذكرك أيها السارق أن حد السرقة في الإسلام هو قطع اليد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال ﷺ: «**اقطعوا في ربع الدِّينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك**»(١). وقال ﷺ: «**تقطع اليد** ـ يعني يد السارق ـ **في ربع دينار فصاعداً**»(٢).

***إخوة الإسلام!*** لو أن رجلاً أُصيب بمرض خبيث في قدمه، فذهب إلى الأطباء فقالوا له: لو قطعنا هذا الجزء المريض سلم الجسد، فالعقلاء جميعاً يقولون: اقطعوا هذا الجزء المريض ليسلم الجسد أليس كذلك؟!.

● فهذه اليد من السارق مريضة وهي يد خبيثة فلو قطعت سلم الجسد، لأن السارق إذا قطعت يده تاب إلى الله، وإذا قطعت هذه اليد الخبيثة عاش الناس في أمن وأمان. ولذلك جاء الشرع يأمر بقطع يد السارق لأن هذه اليد التي امتدت إلى أموال الناس «خبيثة»، ولأن الإسلام جاء للمحافظة على الدين والنفس والعرض والمال، فاليد التي تمتد لسرقة

---

(١) **صحيح**: حم: (٦/ ٨٠)، هق: (٨/ ٢٥٥)، [«ص.ج» (١١٨١)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٠٧)، م: (١٦٨٤).

هذا المال تقطع أيّاً كانت، ولمن كانت، وهذا الحد حق الله ولا يجوز أبداً لأي إنسان أن يشفع في هذا الحد.

تقول عائشة رضي الله عنها: (كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع، وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلُها أسامةَ بنَ زيدٍ رضي الله عنهما فكلموه، فكلم رسول الله ﷺ فيها فقال النبي ﷺ: «**أتشفع في حدٍ من حدود الله؟!**»، ثم قام ﷺ فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايْم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(١)]. فقطع يد المخزومية.

حد الله لا يجوز لأحد أن يشفع فيه، ولا يجوز لولي الأمر أن يتوقف عن تنفيذ هذا الحد، فما بالنا يا أمة الإسلام وقد عطلنا حدود الله، وتركنا شرع الله، ورضينا بالقوانين الوضعية التي لا أمن فيها ولا أمان!! فالمصائب حلت علينا يوم أن تركنا شرع الله وتوقفنا عن إقامة حدود الله التي فيها الأمن والأمان!!.

***عباد الله!*** جربنا قوانين الشرق فما شعرنا بأمن ولا أمان! وجربنا قوانين الغرب فما شعرنا بأمن ولا أمان! أفلا نرجع يا أمة الإسلام إلى ديننا وإلى شرعنا؟! فالذي خلقنا هو الله، والذي شرَّع لنا هو الله، والخالق أعلم بمصالح عباده، ولو أنَّ السارق تقطع يده ـ والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ـ لعاش الناس في أمن وأمان.

انظروا عباد الله إلى كثير من الناس اليوم ماذا يضعون على نوافذ بيوتهم وأبوابها؟ وماذا يضعون تحت رؤوسهم عند النوم، إنهم في خوف، ورعب، وجزع وفزع! إنهم لا يشعرون بأمان على مال ولا عرض في كل أنحاء بلاد المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ والسبب يا عباد الله؟ أَننا تركنا

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٨٨)، م: (١٦٨٨).

شرع الله ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإياكم أن تتعدوها، إياكم أن تشفعوا فيها، فلم لا نرضى نحن الرعية بتطبيق شرع الله علينا؟ ولم لا يقبل الراعي أن يطبق شرع الله؟ ما هو السبب؟ أما يريدون الأمن والأمان، إذا قطعنا يد السارق اطمأنَّ الناس، وعاشوا في أمن وأمان، وارتاح رجال الأمن وارتاح الراعي، فنحن عندما نطبق شرع الله نقضي على السرقة ونحافظ على أموال الناس.

**ثم أيها السارق:** نحذرك من الإفلاس يوم القيامة، فإنك إذا نجوت من العقوبة على السرقة الأولى فلن تنجو في الثانية، وإذا نجوت في الثانية فلن تنجو في الثالثة، وإذا نجوت في الثالثة فلن تنجو من الله يوم القيامة، وهناك ترد المظالم إلى أهلها، وهناك يأخذ الذي سرقت منه المال بتلابيبك ويقول: يا رب خذ لي حقي من هذا السارق!! ويوم القيامة لا درهم ولا دينار إنما هي الحسنات.

يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١).

**أيها السارق!** نحذرك من الفضيحة يوم القيامة، يوم تبلى السرائر فلقد أخبرنا ﷺ أن السارق والغالَّ ـ والغال هو: السارق من الغنيمة ـ يأتي يوم القيامة يحمل ما سرق وما غل على رقبته، فقد قال ﷺ: «**لا ألفيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

**أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك..»**(١) الحديث. والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إن الذي يسرق سيارة يأتي يوم القيامة يحملها على عنقه، والذي يسرق بعيراً يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه، والذي يسرق فرساً يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه، والذي يسرق ذهباً أو فضة يأتي يوم القيامة يحملها على عنقه.

**أيها السارق!** ونحذرك من النار، فقد أخبرنا ﷺ أنه عندما رأى النار، رأى فيها السارق يعذب بما سرق، فاتقوا الله عباد الله وتوبوا إلى الله.

***عباد الله!*** نقول للسارق: اتقِ الله في نفسك، واعلم بأن الله يراك، وأن الله مطلع عليك فهو يراك حين تتسلق على بيوت الناس!! وحين تمد يدك في الزحام إلى جيوب الناس!!

**وأخيراً نبشرك أيها السارق:** بأن الله من فضله وكرمه قد فتح باب التوبة أمام العصاة على مصراعيه، فمن تاب من كفره تاب الله عليه، ومن تاب من شركه تاب الله عليه، ومن تاب من الزنا تاب الله عليه، ومن تاب من السرقة تاب الله عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩]. وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعدُ**»(٢).

**أيها السارق:** تب إلى الله، ولكن اعلموا أن لقبول توبة السارق شروط:

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٩٠٨)، م: (١٨٣١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٢٥)، م: (٥٧).

**الشرط الأول**: الإخلاص في التوبة لله، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التحريم: ٨]، فيجب أن يكون الدافع من داخلك للتوبة هو الخوف من الله، أما إذا تبت من السرقة خوفاً من الأمن أو من الشرطة أو من القانون، فتوبتك ليست خالصةً لله؛ فلا بد أن يكون الدافع من الداخل، وأن تترك السرقة خوفاً من الله، وخوفاً من عذاب الله وعقابه، وطمعاً في جنته.

**ثانياً**: الإقلاع عن السرقة، أي: أن تترك السرقة بجميع أشكالها.

**ثالثاً**: الندم على فعلها، أي: أن تندم على أنك أكلت أموال الناس، ودخلت بيوتهم وظلمتهم.

**الرابع**: العزم على أن لا تعود إلى السرقة مرة ثانية.

**الخامس**: أن تكون توبتك هذه قبل أن تنام في فراش الموت، وقبل أن تطلع الشمس من مغربها، لأنك إن تبت عند الموت ردت عليك توبتك، وإن تبت بعد طلوع الشمس من مغربها ردت عليك التوبة.

**الشرط السادس**: أن ترد ما أخذت إلى أهله أو أن تستسمحهم في الدنيا قبل الآخرة. يقول ﷺ: «**لتؤدنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١]، وإن عجزت أن ترد الأموال إلى أصحابها لأنهم قد ماتوا مثلاً أو لأنك لا تعرفهم، فعليك أن تخرج هذا المال من مالك وتتصدق به على الفقراء والمساكين والأجر بإذن الله يصل إلى أصحاب هذه الأموال، فإذا فعلت ذلك تاب الله عليك، وإن بقيت مصراً على السرقة فحدك في الدنيا قطع اليد، وفي الآخرة سيكون بانتظارك العذاب الأليم.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).



# المجرم الحادي والأربعون
# الآمن من مكر الله

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الحادي والأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الآمن من مكر الله»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه من ترك الطاعات، وأقبل على المعاصي بالليل والنهار، فإذا قيل له: اتقِ الله، قال: إن الله غفور رحيم!!

● إنه من اتخذ دينه لهواً ولعباً، فإذا قيل له: اتقِ الله، قال: إن الله واسع المغفرة!!

● إنه من تجرأ على أكل الحرام، وتجرأ على الزنا والربا.

● إنها من تبرجت وزنت وعصت ربها، فإن قيل لها: اتقي الله، قالت: إن الله غفور رحيم!! زنا، ربا، تبرج، خمر، ترك للصلاة، ومع ذلك يقول أحدهم: إن الله غفور رحيم!!

***عباد الله!*** ونحن نقول لهذا المجرم الذي أمن مكر الله:

**أولاً**: ويلك آمن: أنسيت أن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]،

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

فالله غفور رحيم لمن أطاعه وتاب إليه واتبع سبيله، وهو سبحانه وتعالى شديد العقاب لمن زنا وسرق وعق والديه، ولمن تبرجت، ولمن بارز الله بالمعاصي.

**ثانياً:** ويلك آمن: أنسيت أن الله عز وجل حذرنا في كتابه من أن نأمن مكره، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٩٦ ـ ١٠٠].

أفأمن العصاة مكر الله؟ أفأمن الذين يسهرون تلك السهرات الحمراء مكر الله؟ أفأمن من يعكفون في كل ليلةٍ على الزنا والخمر مكر الله؟ أفأمنوا أن يأتيهم عذاب الله بياتاً وهم نائمون؟ أو أمنوا أن يأتيهم بأسه سبحانه وتعالى ضحى وهم يلعبون؟ ولكنهم إذ أمِنوا مكر الله، فالله عز وجل يخبر فيقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. احذر يا ابن آدم! أن تأمن مكر الله، احذر أن تظن أن الجنة في جيبك فتقصِّر في الصلاة وتتعدى حدود الله، وتتجرأ على المعاصي، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥ ـ ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٨].

أيها السارق، أيها الزاني، أيها الفاسق، أيها المفسد في الأرض أيها الآكل للربا، كيف أمنت أن يخسف الله بك الأرض فتتجلجل فيها إلى يوم القيامة؟! أيها المتكبر على خلق الله، أيها المبارز لله بالمعاصي بالليل والنهار كيف أمنت مكر الله؟

**ثالثاً:** ويلك آمن: كيف تأمن مكر الله؟

• وها هم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون يقول الله تعالى في وصفهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

• وها هم الأنبياء صفوة الخلق يخافون ربهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] رغباً في الجنة، ورهباً أي: خوفاً من النار.

• وها هو رسولنا ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يقول الله له: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

ويقول ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُقَّ له أن تئِطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله** ـ تعالى ـ»(١).

ويلك آمن: أأمنت مكر الله فجئت بآلات الفساد إلى بيتك، وقضيت طوال يومك في جمع المال من الحلال والحرام، وبالليل أنت عاكف على ما يأتيك عبر شاشات المفسديون التي تبث برامجها عبر القنوات الفضائية

---

(١) **حسن**: ت: (٢٣١٢)، هـ: (٤١٩٠)، حم: (٥/ ١٧٣)، ك: (٤/ ٦٢٣)، [«ص.ج» (٢٤٤٩)].

«الستالايت»؟! إنك تعصي ربك بالليل والنهار، فلا صلاة ولا صيام، ولا زكاة ومع ذلك تقول: إن الله غفور رحيم!

• ويلك آمن: ها هو رسول الله ﷺ يقول: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**»[(١)].

يقول: كيف أنعم وأطمئن لهذه الدنيا؟ كيف أفرح؟ كيف أضحك وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ...!!

انظروا يا عباد الله إلى الفارق، الرسول ﷺ يقول: كيف أنعم؟ ونحن في كل يوم نقبل على المعاصي، ونبارز الله بالمعاصي!!

انظروا معي إلى هذا الفساد الذي بدأ يملأ بيوت المسلمين ويزداد يوماً بعد يوم وانظروا إلى التنافس فيما بين الناس على الشر، فإذا جاء أحدهم بـ «الستالايت» ففي اليوم الثاني يدخل جاره الآخر «ستالايت»! مثله، ويا ليت الجار رأى جاره يقوم في جوف الليل يقرأ القرآن ويبكي ففعل مثله ونافسه، ولكن المصيبة أن تنافسهم تنافس في الشر، والتنافس يا عبادَ الله لا يكون إلا في الخير.

وعباد الرحمن أهل الجنة، يخبرنا ربنا جل وعلا عن حالهم التي كانوا عليها في الدنيا، فاسمعوا يا عباد الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٦].

وإنني لفي حرج من أن أذكر على المنبر تلك الأسئلة التي توجه من النساء والبنات بعد نظرهن ومتابعتهن لما يأتي عبر الستالايت، وأنت

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤٣١)، حم: (٣٢٦/١)، حب: (٨٢٣)، ك: (٦٠٣/٤)، طص: (٤٩/١)، ش: (٧٦/٦)، هب: (٣٠٩/١)، [«س.ص» (١٠٧٩)].

أدخلت هذا الجهاز في بيتك وأراك تقول: أنا أسيطر على الموقف! أنا أثق بزوجتي وابنتي وابني! ولكنك لا تدري بما يحدث في غيابك وأنت في العمل! ولا تدري ما يحدث وأنت في سفرك! ونحن تأتينا الأسئلة ولكن؟! بعد أن وقعت الطامة الكبرى، ولكنني أمتنع من ذكر ذلك حياءً، ولكن إذا ازداد الأمر خطورةً وانتشر الوباء فسأذكر ذلك حتى يعلم هذا الجاهل الذي أدخل هذا الجهاز في بيته كيف أن هذا الجهاز يهدم بيته.

• وها هم أهل الجنة كانوا طوال ليلهم في هذه الدنيا يصلون فتراهم سجداً وقياماً، ماذا يريدون؟ ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] كانوا يخافون من النار، ونحن طوال اليوم وطوال الليل عاكفون على شاشات المفسديون وما يأتي فيها عبر القنوات الفضائية ومع ذلك نقول: إن الله غفور رحيم!! يا شيخ والله إن عندنا سجادة للصلاة!! يا شيخ والله إن عندنا مصحف في البيت!! أهذا هو كل الدين؟

أين الصلاة؟ أين الصيام؟ أين الزكاة؟ أين الحجاب؟ يقول الله ﷻ واصفاً لأهل الجنة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦] ويقول عن حالهم وهم في الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٧١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: **«لا يا بنت أبي بكر، ـ أو ـ يا بنت الصديق ـ ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يُتَقَبَّل منه»**(١).

الذين يؤتون ما آتوا بالليل والنهار وقلوبهم وجلة؛ فهم يعبدون الله ﷻ ويخافون، فإياك أن تغتر بعملك فتأمن مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

● وقلنا لرجل ذات يوم: لم لا تصلي ولم لا تزكي؟ فقال لنا: لم أصلي ولم أزكي وقد بنيت مسجداً لله يكفيني ذلك! فهذا يمن على الله أن بنى مسجداً لله!!

أيها المسكين! وما يدريك أن الله ﷻ قد قبل منك هذا العمل؟ إن الإخلاص هو سر النجاح، والعبرة بحسن الخاتمة فما أدراك على أي شيء تموت؟ فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة.

**رابعاً:** ويلك آمن، كيف تأمن مكر الله؟ أنسيت كيف يتعامل الله مع العصاة؟

يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٤٠]، انظر أيها الآمن كيف أخذ الله فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم، أي: في البحر، وتأمل كيف كان عاقبة الظالمين، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]،

---

(١) **صحيح:** ت: (٣١٧٥)، هـ: (٤١٩٨)، حم: (٦/ ١٥٩)، ك: (٢/ ٤٢٧)، طس: (٤/ ١٩٨)، هب: (١/ ٤٧٧)، [«ص.هـ» (٣٤٠٣)].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، ويقول ﷺ: «**إن الله ﷻ يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، **ثم قرأ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾[1].

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

ويلك آمن: أتغتر بمالك ومنصبك، أتغتر بعشيرتك وجاهك وسلطانك؟!

أيها الآمن من مكر الله:

لا شيء مما ترى تبقىَ بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدَ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كلِ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوض هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

• ويلك آمن: أنسيت الموت الذي يأتيك بغتة!؟ أنسيت القبر!؟ أنسيت التوبيخ يوم القيامة والعرض على الله؟.

أمـا والله لـو عـلـمَ الأنـامُ ... لِمَا خلقوا لما هجعوا وناموا
لـقـد خُـلِـقُـوا لأمـرٍ لـو رأتْـهُ ... عيونُ قلوبِهِمْ تاهوا وهاموا
مـمـاتٌ ثـمَ قـبـرٌ ثـمَ حـشـرٌ ... وتـوبـيـخٌ وأهـوالٌ عِـظَـامُ
ليوم الحشر قدْ عملتْ رجالٌ ... فصلوا من مخافتِهِ وصاموا
ونـحـنُ إذا أُمِـرْنَـا أو نُـهـيـنـا ... كـأهـلِ الـكـهـفِ أيـقـاظٌ نـيـامُ

• ويلك آمن: أنسيت يوم القيامة؟ أنسيت أن لك موعداً في أرض المحشر تحمل فيه أوزارك على ظهرك؟

• ويلك آمن: أنسيت يوماً يتخلى عنك فيه الصديق والزوجة والولد

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج: ١ ـ ١٨].

مثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُريانا ... مستوحِشاً قلقَ الأحشاءِ حيرانا
والنارُ تلهب منْ غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاةِ وربُ العرشِ غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مَهَل ... فهلْ ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأت ولم تُنْكِر قراءته ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمونَ غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دار الخلدِ سكانا

**عباد الله!** من خاف في الدنيا أَمِنَ يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣]، ومن أمِنَ في الدنيا خاف يوم القيامة.

**عباد الله!** والخوف المحمود من الله ﷻ هو الخوف الذي يدفعك إلى الطاعة ويمنعك من المعصية.

فعبادُ الرحمن يقومون الليل لأنهم يخافون من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

والمؤمنون خافوا من الله فأطعموا الطعام للفقراء والمساكين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

والخوف دافع للمحافظة على صلاة الفجر مثلاً، وكم ممن يجلسون أمامي الآن ضيعوا صلاة الفجر، فهم لا يصلونها في جماعة أبداً وكأنهم قد أُذن لهم أن يصلوها في بيوتهم؟! كم من الناس منع الزكاة وترك الصيام؟!

وأنتم تعرفون قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحدرت صخرة على باب الغار فأغلقته، فما الذي منع الأول من أن يعق والديه؟ إنه الخوف من الله، وما الذي منع الثاني من أن يزني بابنة عمه؟ إنه الخوف من الله، وما الذي منع الثالث من أن يأكل أجر الأجير؟ إنه الخوف من الله.

**عباد الله!** الخوف من الله منعهم من معصية الله، والله ﷻ رحمة بنا يخوفنا في كتابه، فيقول ﷻ في وصف أهل النار: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

وأخبرنا الله ﷻ أن من خاف في الدنيا أَمِنَ يوم القيامة ودخل الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٦، ٢٧]، فإياك أن تكون من الذين أَمِنوا مكر الله، وكن من الذين يخافون الله بالليل والنهار، وانظر إلى نفسك يا عبد الله فإن وجدت إقبالاً على الطاعة وابتعاداً عن المعصية ووقوفاً عند حدود الله فاعلم أن في قلبك خوفاً من الله، وإن وجدت في نفسك إدباراً عن الطاعات وإقبالاً على المعاصي وتضييعاً لأوامر الله وتعدياً لحدود الله، فاعلم أنك آمن من مكر الله، ولا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

٢٢٨

# المجرم الثاني والأربعون
# القانط من رحمة الله

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **ومو‌عدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثاني والأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «القانط من رحمة الله».**

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه اليائس من رحمة الله! إنه من أسرف في المعاصي، وفرط في جنب الله، وظن واعتقد أن الله لن يغفر له فمنعه ذلك من التوبة والرجوع إلى الله؟! وهذا مجرم في حق نفسه. وانطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(١). فهذه رسالة نوجهها إلى كل قانطٍ من رحمة الله فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

**نقول:** أيها القانط من رحمة الله، احذر القنوط من رحمة الله، واحذر اليأس من رحمة الله وذلك:

**أولاً:** لأن القنوط من رحمة الله ضلال مبين، فهو ضلال عن طريق الحق كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فالضال هو الذي ييأس ويقنط من رحمة الله.

**ثانياً:** احذر أيها القانط من رحمة الله القنوط من رحمة الله لأن

---

(١) **صحيح:** م: (٥٥).

القنوط يجر صاحبه إلى كل شر، ويجر صاحبه إلى الكفر والضلال وإلى العذاب الأليم، ولذلك وصف ربنا جل وعلا الكفار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩].

وقال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

**ثالثاً**: احذر أيها القانط من رحمة الله القنوط واليأس من رحمة الله لأن الله عز وجل نهى عن ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى على لسان الملائكة: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥].

- ثم أيها القانط من رحمة الله نذكرك بما يلي:

**أولاً**: بأن رحمة الله واسعة، فما الذي يمنعك من التوبة والرجوع إلى الله؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

ويقول ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»(١)، وفي رواية: «**إن رحمتي غلبت غضبي**»(٢) وفي رواية: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»(٣). ويقول ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٦٩)، م: (٢٧٥١).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٢٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٩٨٦).

«**إن لله ـ عز وجل ـ مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله ـ عز وجل ـ تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة**»(١).

• وقال عمر رضي الله عنه: قَدِمَ على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار**»؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(٢). فرحمة الله واسعة فما الذي يمنعك من الرجوع إلى الله أيها القانط واليائس من رحمة الله؟

• وهذا الأعرابي الذي دخل على رسول الله ﷺ في المسجد فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال ﷺ له: «**لقد حجَّرتَ واسعاً**(٣)»، أي: لقد ضيقت واسعاً. ويقول ﷺ: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحدٌ؛ ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»(٤).

**ثانياً**: نذكرك أيها القانط واليائس من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعاً، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي هذه الآية دعوة من الله عز وجل إلى جميع العصاة من الكفرة والمشركين والمنافقين وغيرهم أن يتوبوا ويعودوا إلى الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٤)، م: (٢٧٥٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٥٣)، م: (٢٧٥٤).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٦٤).
(٤) **صحيح**: م: (٢٧٥٥).

وفي الآية أيضاً: إخبار من الله بأنه ﷻ يغفر الذنوب جميعاً مهما كانت ومهما كثرت.

• يخبر ابن عباس رضي الله عنه: (أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن ولو تخبرنا أن لِمَا عملنا كفارةٌ؟ فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(1) [الزمر: ٥٣]).

• أيها القانط من رحمة الله: أنسيت أن الكافر إذا تاب من كفره تاب الله عليه وغفر ذنبه؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] إلٰهنا ما أرحمك! ما أحلمك! إن الكفار بعد ما فعلوا بالمسلمين والإسلام ما فعلوا إذا تابوا إليك قبلت منهم وغفرت لهم!!

• أيها اليائس من رحمة الله: أنسيت أن المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام وعادى المسلمين، وقاتل مع الكفار ضد المسلمين لو تاب من نفاقه تاب الله عليه؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

• أيها القانط من رحمة الله إن الله قد فتح باب التوبة أمام اليهود والنصارى بعد أن قالوا ما قالوا ولو تابوا لتاب الله عليهم، اليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

والنصارى قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: ٦٨]، وقالوا:

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٢)، م: (١٢٢).

﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقالوا: المسيح هو الله، وقالوا: ثالث ثلاثة، وبعد ذلك بعد أن قالوا ما قالوا فتح الله أمامهم باب التوبة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤]!! فأنت أيها المسلم المفرط في جنب الله المقبل على المعاصي أحق وأولى أن تتوب وترجع إلى الله.

أنسيت أن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات بغير حق، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات لو تابوا بعد ما فعلوا لتاب الله عليهم وغفر لهم؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج: ١٠]. يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة).

• أيها القانط من رحمة الله: أنسيت أن الله عَزَّ وَجَلَّ غفر للرجل الذي قتل مئة نفس وأدخله الجنة لأنه رجع إلى الله وتاب قبل أن ينزل الموت بساحته فتاب الله عليه، وغفر له وأدخله الجنة، وهو لم يسجد لله سجدة ولكنه تاب وأناب إلى الله وهو في صحته وعقله قبل أن ينام في فراش الموت فتاب الله عليه.

• أيها القانط من رحمة الله أبشر فإن الله يغفر الذنوب جميعاً، يقول الله في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك**»[(١)]، أبعد ذلك تيأس وتقنط من رحمة الله؟!.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته**»[(٢)].

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٦٧)، مي: (٢٧٨٨)، طص: (٢/ ٨٢)، [«ص.غ.هـ» (١٦١٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٠٨)، م: (٢٧٦٨).

فتصور أن رجلاً من أهل الفضل يعاتبك فيما بينك وبينه، أَظُنُّ أَنَّكَ ستتمنى عندها أن تبلعك الأرض من شدة ما سيعتريك من الخجل والحياء! فتصور أنك بين يدي الجبار يوم القيامة وهو يقررك بذنوبك: عبدي أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر وأنت تزني؟ فتقول: نعم يا رب. فيقول: عبدي سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، وذلك لأنك قد تبت قبل موتك منها، فعلى كلٍ منا يا عباد الله أن يستحضر الذنوب التي اقترفها، وعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه، حتى إذا ما وقفت يا عبد الله بين يدي ربك ليس بينك وبينه ترجمان وأقررت له بهذه الذنوب التي تجرأت على فعلها ولم يرك أحد إلا الله، فانتظر الجود والكرم من الله ﷻ لأنك قد تبت منها في الدنيا: «وإني أغفرها لك اليوم»، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧]

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ليغفرن الله ﷻ يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر). يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

***عباد الله!*** تكلمنا في الجمعة الماضية عن المجرم الحادي والأربعين **(الآمن من مكر الله)** وهو المُقبلُ على المعاصي، والذي فرط في جنب الله، ومع ذلك يأمن مكر الله ويقول: يُغفر لي! فمنعه ذلك الأمن من مكر الله من أن يتوب إلى الله فكان التفريط.

واليوم تكلمنا عن المجرم الثاني والأربعين وهو **(القانط من رحمة الله)** الذي أقبل على المعاصي، وفرط في جنب الله، ومن شدة الخوف وكثرة الذنوب قنط من رحمة الله فمنعه هذا اليأس والقنوط من أن يتوب إلى الله وهذه أيضاً مصيبة أخرى.

فالأمن من مكر الله جريمة تمنع من التوبة، والقنوط من رحمة الله، جريمة تمنع من التوبة، والمؤمن الذي يعبد الله والذي يريد الجنة حاله ما بين ذلك فلا إفراط ولا تفريط، فهو لا يأمن الأمن الذي يدفعه إلى

المعاصي، ولا يخاف الخوف الذي يمنعه من التوبة فلا يتوب، إنما هو يعبد الله بين الخوف والرجاء، يخاف من الله خوفاً يدفعه إلى العمل والابتعاد عن المعاصي، ويرجو رحمة الله رجاء يدفعه إلى العمل ويمنعه من المعاصي، وهكذا علمنا ربنا جل وعلا في كتابه فهو يدعونا بالترغيب والترهيب.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ ـ وهذا ترهيب ـ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨] وهذا ترغيب.

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ـ ترغيب ـ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] ـ ترهيب ـ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ ـ ترغيب ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] ـ ترهيب ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ويقول ﷺ كما سمعتم: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد** ـ وهذا ترهيب ـ **ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»(١) ـ وهذا ترغيب ـ، ويقول ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله** ـ ترغيب ـ **والنار مثل ذلك**»(٢) ـ ترهيب ـ. وهكذا أيها المسلم عليك أن تعيش في هذه الدنيا بين الخوف من الله والرجاء في رحمة الله.

وهكذا كان حال الأنبياء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، أي رغباً في الجنة، ورهباً من سخط الله وعذابه، قال العلماء: المؤمن وهو في الدنيا في صحته وقوته يُغَلِّبُ الخوف على الرجاء فيكون الخوف هو الأكثر ليدفع صاحبه إلى العمل وإلى الابتعاد عن المعاصي.

أما في فراش الموت فيغلِّب الرجاء على الخوف ويتذكر رحمة الله ويتذكر مغفرة الذنوب من الله، لأنه في وقت لا عمل فيه، فإنه يحسن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٢٣).

الظن الآن لأنه بعد قليل سيلقى الله، فنحن في هذه الدنيا ونحن في صحتنا وعافيتنا ينبغي أن يكون الخوف لدينا أكثر؛ لأن من خاف قام لصلاة الفجر، ومن خاف حافظ على صلاة الجماعة، ومن خاف ترك الربا، ومن خاف ترك الزنا، ومن خاف ترك قطيعة الرحم، ومن خاف ترك المعاصي كل ذلك خوفاً من الله ومن عذابه وسخطه، ومع ذلك على العبد أن يكون لديه رجاء يدفعه إلى الطاعة، وإلى الأعمال الصالحة، فيرجو جنة الله ويرجو مغفرة الله ورحمته.

**اللهم فقهنا في ديننا**

❀ ❀ ❀

٢٢٩

# المجرم الثالث والأربعون
# العالم المُضِل

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدث عن المجرم الثالث والأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «العالم المُضِل»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** هو الذي يرتدي زي العلماء، ويخرج على الناس بزي العلماء، ولكنه في الحقيقة إذا وُزِنَ بميزان الكتاب والسنة فهو من أجهل الجهلاء.

**العالم المُضِل**: خطرُه على الأمة عظيم، وشره مستطير، إنه أخطر على الأمة من الدجال، يقول أبو ذرٍ ﵁: كنت مخاصراً للنبي ﷺ يوماً إلى منزله فسمعته يقول: «**غيرُ الدجال أخوفُ على أمتي من الدجال**». يقول أبو ذر: فلما خشيت أن يدخل، قلت: يا رسول الله: أيُّ شيءٍ أخوف على أمتك من الدجال؟ قال ﷺ: «**الأئمة المضلون**»(١)، فالعالم المُضِل إمام في الضلالة يدعو الناس إلى كل شر، فهو أخطر على الأمة الإسلامية من الدجال كما سمعتم، كيف لا، وقد حذرنا النبي ﷺ من الدجال وأخبرنا بصفاته وبأنه أعور، ومكتوب على جبهته كافر يقرؤها القارىء والأمي.

أما هؤلاء علماء الجهل والضلالة الذين يخرجون على الناس عبر القنوات الفضائية التي ـ وللأسف الشديد ـ دخلت إلى كل بيت فيحلوا ما

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ١٤٥)، [«س.ص» (١٩٨٩)].

حرم الله، ويفتحون أبواب الشر على مصراعيها على الأمة الإسلامية، فهؤلاء شرهم وخطرهم عظيم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

والرسول ﷺ أخبرنا عن هؤلاء وأخبرنا متى يظهرون في الأمة فقال ﷺ: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(١)].

فضلوا هم بجهلهم، وأضلوا الناس بفتاويهم التي يفتونها بلا علم فأحلوا ما حرم الله.

وحديثنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: العالم المُضِل مجرم في حق نفسه.

**العنصر الثاني**: العالم المُضِل مجرم في حق الناس.

**العنصر الثالث**: العالم المُضِل مجرم في حق أمته الإسلامية.

**العنصر الأول**: العالم المُضِل مجرم في حق نفسه وذلك.

**أولاً**: لأنه يتعلم لغير الله، فهو يريد بعلمه الدنيا الفانية، يريد أن يشار إليه بالبنان، يريد أن يتصدر المجالس، ولذلك تراه هو الذي يُلَمَّعُ عبر القنوات الفضائية «الستالايت»، وهو الذي يفتي الناس فتراه يحلل ما حرم الله ويحرم ما حلل الله، ويرضي أذواق الناس ورغباتهم، فهو إنما أراد بعلمه الدنيا، ولم يرد به وجه الله فهو مجرم في حق نفسه لأنه حَرمَ نفسه الجنة، وعَرّضَ نفسه لسخط الله.

يقول ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[(٢)]، أي:

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠٠)، م: (٢٦٧٣).

(٢) **صحيح**: د: (٣٦٦٤)، هـ: (٢٥٢)، حم: (٢/٣٣٨)، حب: (٧٨)، ك: (١/١٦٠)، هب: (٢/٢٨٢)، [«ص.ج» (٦١٥٩)].

ريحها، ويقول ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»(١). وقد ضرب الله مثلاً في كتابه للعالم الضال الذي يتعلم علم الدين من أجل الدنيا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] ـ أي: أراد بعلمه هذه الدنيا الفانية ـ ﴿**وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

**ثانياً**: العالم المُضِل مجرم في حق نفسه، لأنه لم ينتفع بهذا العلم الذي يحمله فهو إنما تعلمه للدنيا. وقد أخبرنا الله ﷻ عن هؤلاء الذين يعلمون الناس ولكنهم لم ينفعوا أنفسهم بعلمهم أنهم لا عقل لهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾**﴾ [البقرة: ٤٤].

ويقول ﷺ: «**مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه**»(٢).

• وضرب الله مثلاً لهذا العالم الضال الذي لم ينتفع بعلمه فقال ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥]. فمثل العالم الذي تعلم علم الدين ولم ينتفع به كمثل الحمار يحمل الأسفار على ظهره ولا ينتفع بما فيها من علم.

**ثالثاً**: العالم المُضِل مجرم في حق نفسه، لأنه يخالف ما يقول:

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٥٤)، هـ: (٦٥٣)، مي: (٣٧٤)، ك: (١/ ١٦١)، طس: (٦/ ٣٢)، هب: (٢/ ٢٨٣)، [«ص.ج» (٦١٥٨)].

(٢) **صحيح**: طب: (٢/ ١٦٥)، [«ص.ج» (٥٨٣١)].

وقد أخبرنا ﷺ عن هذا الصنف من الناس فقال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحىٰ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(١).

**العنصر الثاني**: العالم المُضِل مجرم في حق الناس، لأنه يفتي بغير علم فيضلل الناس، أما تسمعونهم وفي كل يوم يظهر أحدهم على الناس عبر القنوات الفضائية فيفتي لهم بحل الربا! ويفتي لهم بحل الغناء والموسيقى! ويفتي لهم بحل النظر إلى المرأة الأجنبية! ويفتي لهم بحل العمل في البنوك الربوية! فهو يفتح أبواب الشر على الأمة الإسلامية وعلى الناس كلهم، فهو ضال مُضَلِّلٌ للناس، وصدق فيه قول النبي ﷺ: «**حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(٢).

***عباد الله!*** والفتوى بغير علم جريمة، والقول على الله بغير علم جريمة شنعاء وذلك:

**أولاً**: لأن القول على الله بغير علم حرام بل هو من أصول المحرمات، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

**ثانياً**: لأن القول على الله بغير علم يكون باتباع أمرٍ من الشيطان، فالذي يفتي بغير علم ويُحِلُّ ما حرم الله قد استحوذ عليه الشيطان وعصى الرحمن، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٠)، م: (٢٦٧٣).

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]. من الذي يأمرك أن تقول على الله بغير علم؟ من الذي يدفعك أن تتكلم وتفتي بغير علم؟ إنه الشيطان.

**ثالثاً:** لأن القول على الله بغير علم ظلم من أعظم أنواع الظلم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

**رابعاً:** لأن القول على الله بغير علم إثمٌ ووزرٌ يحمله المفتي على ظهره ويحمل أوزار من أضلهم يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. والله ﷻ في كتابه حذر من الفتوى بغير علم وحذر من القول على الله بغير علم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [يونس: ٥٩، ٦٠]، نقول لهذا العالم الضال المُضِل: آلله أذن لكم؟ ما هو دليلك على هذا الذي أحللته للناس؟.

***عباد الله!*** أنسيَ هؤلاء الذين يفتون الناس بغير علم ماذا سيفعل الله بهم يوم القيامة؟! لقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنه سيسوِّد وجوههم يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال تعالى محذراً من القول على الله بغير علم: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

ورسولنا ﷺ كذلك يحذر من القول على الله بغير علم ويحذر من الفتوى بغير علم، يخبرنا ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ أصابه جرح في رأسه ثم احتلم، فأمروه بالاغتسال، فاغتسل فمات فبلغ

ذلك النبي ﷺ فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال؟ إنما كان يكفيه أن يتيمم**»(١).

الفتوى بغير علم تقتل، الفتوى بغير علم تضر، وكم من إنسان قُتل بسبب فتوى من عالم مُضِل؟! وكم من إنسان تورط في أكل الربا بسبب ما يقرأ وما يسمع عبر «الستالايت» من علماء السوء الذين يفتون بأن الربا حلال؟! وكم من إنسان وقع في الزنا بسبب ما سمع من الغناء الذي جعله علماء السوء حلال؟! كما أفتوا بأن الاختلاط والتبرج حلال فانتشر بسبب فتواهم هذه الزنا؟! «**قتلوه قتلهم الله**»، لقد قال ﷺ: «**ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم**». وقال ﷺ: «**من أُفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**»(٢).

● والصحابة رضي الله عنهم كانوا يخافون من الفتوى ومن القول على الله بغير علم، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (يا أيها الناس! اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أسلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾)(٣) [ص: ٨٦].

● وسُئل أحدهم سؤالاً فقال: لا أعلم. فقيل له: ألا تستحيي أن تقول لا أعلم؟ قال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالت: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

● وهذا ابن عمر سُئل يوماً عن مسألة فقال: لا أعلم، ثم خرج

---

(١) **صحيح**: د: (٣٣٦)، هـ: (٥٧٢)، حم: (١/ ٣٣٠)، مي: (٧٥٢)، ك: (١/ ٢٨٦)، قط: (١/ ١٨٩)، هق: (١/ ٢٢٧)، [«ص.ج» (٤٣٦٢)].

(٢) **حسن**: د: (٣٦٥٧)، حم: (٢/ ٣٦٥)، ك: (١/ ١٨٤)، خد: (٢٥٩)، هق (١٠/ ١١٢)، [«ص.ج» (٦٠٦٨)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٧٩٨).

فرحاً يفرك يديه ويقول: سُئل ابن عمر فقال: (لا أعلم). نعم، فرح لأنه انتصر على نفسه؛ لأن الشيطان يأمرك ويدفعك لنفي الجهل عن نفسك والنفس الأمارة بالسوء أيضاً تدفعك إلى أن تفتي بغير علم، فإذا انتصرت على شيطانك وعلى نفسك وقلت فيما لا تعلم: الله أعلم، كان ذلك خيراً لك عند ربك.

أما الذين يفتون بغير علم، ويحلون ما حرم الله في كل يوم، حتى خرجوا على الناس بدين جديدٍ ليس فيه من الإسلام إلا الاسم فأولئك نقول لهم: يقول الله ﷻ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦].

أيها العالم المُضِل، هل تشك بأنك ستقف بين يدي الله ﷻ؟ ويسألك عن علمك وعن فتواك؟! ٱتقِ الله أيها العالم المُضِل، وقبل أن تفتي في مسألة ما اعرض نفسك وفتواك على الجنة والنار، فإن وجدت الفتوى تقربك من الجنة فتكلم، وإن وجدت الفتوى تقربك من سخط الله والنار فأمسك وقل: الله أعلم.

**العنصر الثالث**: العالم المُضِل مجرم في حق أمته، لأنه يفتح أبواب الشر على مصراعيها على الأمة بفتاويه المخالفة للكتاب والسنة.

**وبالمثال يتضح البيان:**

• الله سبحانه وتعالى حرم الشرك وأخبرنا أنه يغفر الذنوب جميعاً عدا الشرك، وحرم الله ﷻ سلوك الطرق التي توصل إلى الشرك، وأغلق الإسلام الأبواب التي من خلالها يصل الناس إلى الشرك، فحرم الإسلام أن تحلف بغير الله، وحرم الإسلام أن تذبح لغير الله، وحرم الإسلام أن تذهب إلى العرافين والسحرة والكهنة، وحرم الإسلام أن تطوف بغير الكعبة، وحرم الإسلام أن تطوف بقبور الأولياء والصالحين، وحرم الإسلام أن تتوسل بالأموات إلى الله. كل ذلك حتى لا تصل إلى الشرك الأكبر وتتورط فيه ومع ذلك يأتي هذا العالم الضال ويفتح هذه الأبواب

على مصراعيها فيُحِلُّ للناس أن يذهبوا إلى السحرة والدجالين ويقول: لا بأس، فيُحِلُّ للناس أن يتوسلوا بالأموات إلى الله، فيُحِلُّ للناس أن يذبحوا للأولياء والصالحين، وأن يحلفوا بغير الله وهكذا أوقع الناس في الشرك.

**مثال آخر:**

حرم الله ﷻ علينا الزنا، وحرم علينا أن نقترب منه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، فحرم الله سلوك الطرق التي توصل إلى الزنا، وأغلق الأبواب التي تؤدي إليه، فجاء الإسلام يحرم النظر إلى المرأة الأجنبية، ويحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ويحرم التبرج، ويحرم مصافحة المرأة الأجنبية، ويحرم على المرأة أن تتزين وهي تخرج إلى الشارع، وحرم على المرأة أيضاً أن تتعطر وتخرج فتمر بالرجال كل ذلك حتى لا يقع الزنا ثم يأتي هذا العالم الضال ويفتح هذه الأبواب على مصراعيها فيقول: لا مانع للشاب أن يدرس ويجلس بجوار الفتاة في الجامعة، فأحل الاختلاط الذي حرمه الإسلام!! ويقول أحدهم: لا مانع للرجل أن ينظر إلى المرأة الجميلة في الشارع ليتفكر من خلالها في خلق الله، ولا مانع من النظر إلى صور النساء!!

انظروا يا عباد الله، كيف أفتى بجواز النظر إلى المرأة الأجنبية ثم قال: لا مانع للمرأة أن تتزين وتخرج إلى الشارع بشرط أن تغطي شعرها!! وقالوا: لا مانع من شراء آلات الغناء والموسيقى فلا دليل على تحريمها!! مع أن الغناء والموسيقى بريد الزنا فهم بذلك فتحوا أبواب الشر على مصراعيها، ووقع كثير من الناس في الزنا بسبب فتوى هذا العالم الضال.

**مثال ثالث:** الربا حرمه الله وأعلن الحرب على فاعله، ولا يوجد في كتاب الله إعلانٌ للحرب من الله ﷻ على عاصٍ من العصاة إلا على آكل الربا، ولعن الإسلام آكل الربا وموكله وشاهديه ومن اقترب منه ومع ذلك يخرج هذا العالم الجاهل عبر القنوات الفضائية على الناس ويفتي بجواز

أكل الربا، وجواز التعامل مع البنوك الربوية، وجواز العمل ووضع الأموال في البنوك الربوية، فهو ضال مُضِلٍ للناس، ومنكم من وقع وتورط في الربا بسبب هذه الفتاوى ثم ندم في وقت لا ينفع فيه الندم وقد حذرتكم سابقاً والله ﷻ يشهد على ذلك.

**مثال آخر:**

الخمر حرمها الله، ولعن شاربها، وحاملها، وعاصرها، والمحمولة إليه وكل من اقترب من الخمر فهو ملعون، ومع ذلك نرى إنساناً ممن يدعون العلم يفتي الناس بحرمة شرب الخمر فقط، وبأنه لا مانع من أن تحملها، ولا مانع أن تبيعها، ولا مانع أن تصنعها، ولكن لا تشربها! ولا أدري من أين جاءوا بهذه الفتوى الضالة؟! نقول: إنما هذا هو الجهل المتراكب بعضه فوق بعض، أَظنَّ هذا الجاهل أنه لن يخرج من هذه الدنيا، وأنه لن يرجع إلى الله، وأنه لن يقف بين يدي الله؟؟! لا والله، إن النار تُسعر، وأول ما تسعر بعالم كان قد ابتغى بعلمه هذه الدنيا الفانية، نعم، فأول ما تسعر به جهنم عالم يؤتى به فيقف بين يدي الله فيقرره بنعمه عليه وبنعمة العلم فيقول له: عبدي ماذا عملت بهذا العلم فيقول: يا رب تعلمتُ وعلمت الناس ابتغاء وجهك، فيقول له: كذبت إنما تعلمت وعلمت ليقال عنك عالم ـ، ليقال عنك قارىء ليشار إليك بالبنان، لتلمع عبر القنوات الفضائية، وتأخذ على ذلك أموالاً ـ وقد قيل، فيقول: خذوه على وجهه إلى نار جهنم[(١)].

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❃ ❃ ❃

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي عند م: (١٩٠٥).

٢٣٠

# المجرم الرابع والأربعون
# هو الذي يكفر المسلمين

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الرابع والأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الذي يكفر المسلمين»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي يتسرع في تكفير المسلمين، إنه الذي لا شاغل له إلا تكفير المسلمين وإصدار الأحكام عليهم.

***عباد الله!*** وظاهرة التسرع في التكفير منتشرةٌ بين الشباب في هذا الزمان، وهذا مؤشر يُنْذِر بالشر، لأن من كفر أخاه المسلم كان مجرماً في حق نفسه، ومجرماً في حق أخيه المسلم.

وانطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(١). فهذه رسالة نوجهها إلى الذين يتسرعون في تكفير المسلمين، فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

**أولاً**: أيها المتسرع في تكفير المسلمين، احذر مما أنت فيه؛ فقد حذر ﷺ من أن يكفر المسلم أخاه، فقال ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»(٢)، وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**»(٣)، أي: رجع عليه هذا القول،

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٥٣)، م: (٦٠).
(٣) **صحيح**: م: (٦١).

وقال ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فهو كقتله، ولعنُ المؤمن كقتله**»(١) وقال ﷺ: «**أيّما آمرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»(٢).

***أمة الإسلام!*** إن التسرع في تكفير المسلمين أمر عظيم:

• قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضحَ من شمس النهار).

• وقال بعض العلماء: (إذا وجدتم الرجل يطلق لسانه في تكفير المسلمين فاكتبوا على ظهره: لا يفلح أبداً).

ففي هذه الأحاديث السابقة وفي أقوال العلماء أعظم زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير يا شباب المسلمين؛ لأن من كفَّر أخاه المسلم فقد وقع في مصيبتين:

**المصيبة الأولى**: أنه بذلك يكون قد استحل دمه وماله وعرضه، والرسول ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»(٣).

**المصيبة الثانية**: أن من كفر أخاه المسلم يكون قد حكم على أخيه بأنهُ لن يغفر الله له أبداً، ولا يرحمه، ويخلده في النار، وهذا من أعظم البغي.

يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنبُ والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له أقصر فقال**: ـ أي: المذنبُ ـ **خلني**

---

(١) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٩٣)، [«ص.ج» (٧١٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٦٠). (٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

**وربي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال** ـ أيْ: المجتهدُ ـ **واللهِ لا يغفرُ الله لك، أو لا يدخلك الله تعالى الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته»(١).

كلمة واحدة أوبقت آخرته ودنياه وذلك عندما قال له: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الجنة.

• فيا أيها المتسرع في تكفير من حولك، كيف تحكم على إنسان بأنه لن يغفر الله له، وأنه لن يرحمه؟! كيف تحكم على مسلم أنه يخلد في النار؟!.

• أيها المتسرع في التكفير، احذر من تكفير المسلمين لأنهم يفعلون الحرام، واعلم أن من فعل الحرام وهو يعتقد في قلبه حرمته فهو عاصٍ لله ولرسوله وهو مستحق للعذاب والوعيد، ولكنه لا يكون كافراً بذلك ولا نخرجه من الملة بسبب ارتكابه للمعصية، و**الدليل على ذلك**:

• ما رواهُ البخاري في «صحيحه» [باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة]: عن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يُضْحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي قد جلده في الشراب ـ أيْ: في شرب الخمر ـ فأُتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٩٠١)، حم: (٢/ ٣٢٣)، حب: (٥٧١٢)، هب: (٥/ ٢٨٩)، [«ص.ج» (٤٤٥٥)].

**ورسوله»**(١). فهذا رجل من الصحابة يشهد له رسول الله ﷺ بأنه يحب الله ورسوله مع كثرة شربه للخمر، ولما لعنه أحد الصحابة نهى النبي ﷺ عن لعنه لأنه لم يكن يُرد بذلك ـ أيْ بشربه للخمر ـ مخالفة الله ورسوله، ولم يكن قد استحل شربها بقلبه وإن كان قد استحلها بفعله فلم يخرجه الرسول عن الملة ولم يكفره.

ومع ذلك نقول لشارب الخمر اليوم هذا رجل شهد له النبي ﷺ أنه يحب الله ورسوله فمن يشهد لك اليوم ـ يا شارب الخمر المجاهر به ـ فاتقي الله وتب من المعصية، فإن المعاصي بريد الكفر كما أنّ النظرة بريد الزنىٰ.

أما من استحل الحرام المعلوم حرمته من الدين بالضرورة وأنكر حرمته فهو كافر خارج عن الإسلام.

واحذر أيها المتسرع في تكفير المسلمين أَن تكفر بعضهم لأنهم تركوا شيئاً من الواجبات. واعلم: أَنّ من ترك الواجب وهو يعتقد وجوبه فهو عاصٍ مستحق للوعيد وليس بكافر. و**الدليل على ذلك**:

يقول ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً كل سجلٍّ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كِفَّةٍ والبطاقة في كِفةٍ، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالىٰ شيء**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٩٨).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٦٣٩)، حم: (٢/٢١٣)، حب: (٢٢٥)، ك: (١/٤٦)، هب: (١/٢٦٤)، [«ص.ج» (١٧٧٦)].

• فهذا رجل لم يعمل خيراً قط، ولم تكن له حسنة سوى حسنة التوحيد ـ والتوحيد عمل القلب واللسان ـ فغفر الله له، وهذا يدل على أن ترك بعض الأعمال مع الاعتقاد يجعل صاحبها واقع تحت مشيئة الله إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له.

ولكن إذا استحل الحرام بقلبه فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، أما إن تركه وهو يُقر بوجوبه فهو عاصٍ لله ومستحق للوعيد والعذاب، وهذا ينقص إيمانه بذلك ولكن لا يدفعنا ذلك أن نخرجه من الملة، وأن نحكم عليه بأن الله لن يغفر له ولن يرحمه وسيخلده في النار؛ فإنَّ ذلك جريمة.

* أيها المتسرع في التكفير، نذكرك أَنه ليس كل من قال الكفر كفر، وليس كل من فعل الكفر كفر، فالواجب علينا يا شباب الإسلام إذا رأينا رجلاً فعل الكفر أو قال الكفر أن نقول: هذا قال كلمة الكفر أو هذا فعل فعل الكفر، أما الشخص المعين فهل كفر وخرج عن ملة الإسلام بقوله وفعله أم لا؟ هنا يجب علينا أن نتوقف حتى تقام عليه الحجة وتتوافر الشروط وتنتفي عنه الموانع، ولكن مِن مَن؟ من أهل الحل والعقد من العلماء الكبار، فإن رجع عن قوله بعدما أقاموا عليه الحجة وتاب وأناب إلى الله وإلا حكموا بردته وقتل استجابة لقوله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»(١).

فهذه مسألة كبيرة وخطيرة تترك للعلماء الكبار يقيمون الحجة على من قال الكفر أو فعله، أما نحن فما بعثنا قضاة على الناس نكفر هذا ونخرجه من الملة ونكفر ذاك، فربما كان الذي قال الكفر أو فعل الكفر مجتهداً مغفوراً له، فإنه إذا اجتهد في المسألة فأخطأ فهو مأجور، وربما كان جاهلاً لم تبلغه النصوص والأدلة، وربما كان له من الإيمان والحسنات عند الله أوجبت له رحمة الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٢٤).

**ومن الأدلة على ذلك:**

**الدليل الأول:** عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حُنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: ـ أي: حدثاء العهد في الإسلام ـ: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله!! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»[١].

فيتضح من هذه الحادثة أنَّ الذي طلبه هؤلاء شرك ولذلك شبهه رسول الله ﷺ بطلب بني إسرائيل من موسى حين طلبوا منه أَنْ يجعل لهم إلهاً، بل وأقسم على أنه مثله، ومع ذلك لم يحكم عليهم بالكفر؛ لأنهم لم يكونوا يريدون بذلك الخروج عن الإسلام ولا مخالفة النبي ﷺ.

**الدليل الثاني**: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال ﷺ: «**ما هذا يا معاذ**»؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تفعلوا، فإني لو أمرت أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده! لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها... ...**»[٢]، فها هو معاذ رضي الله عنه يسجد للنبي ﷺ، والسجود لغير الله كفر، ومع ذلك عذره ﷺ ولم يحكم عليه بالكفر، لأنه ـ أي معاذ ـ لم يرد بذلك الخروج عن ملة الإسلام.

**الدليل الثالث**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان رجل يُسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢١٨٠)، حم: (٥/ ٢١٨)، حب: (٦٧٠٢)، طب: (٣/ ٢٤٤)، ش: (٧/ ٤٧٩)، [«ص.ج» (٣٦٠١)].

(٢) **صحيح**: هـ: (١٨٥٣)، حب: (٤١٧١)، ك: (٤/ ١٩٠)، طب: (٥/ ٢٠٨)، هق: (٧/ ٢٩٢)، [«ص.غ.هـ» (١٩٣٨)].

**فأحرقوني، ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: يا رب خَشْيَتُك، فغفر له»**[1] وزاد أحمد: «... **ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد»**[2] ـ وهذا يدل على أن التوحيد عمل ـ فهذا رجل مؤمن بالله، خائف من عذابه، يظن أنه إذا ذريَّ في الريح فلن يجمعه الله وهذا شك منه في قدرة الله ـ على قول بعض العلماء ـ ومع ذلك غفر الله له لأنه لم يقل ذلك كفراً بالله، وقال بعض العلماء: (إن الرجل قال ذلك لفرط خوفه من عذاب ربه، فغطى الخوف على فهمه) ولذلك لم يكفر الرجل بهذا القول، والله تعالى أعلم.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (... فلما كان مؤمناً بالله في الجملة ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل صالحاً ـ وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه ـ غفر الله له بما كان فيه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح).

• وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: (.. وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله) وهذا يدل على أن الرجل كان مؤمناً موحداً وقع منه بعض الذنوب بجهله،

فعذره الله بهذا الجهل، وفي هذا رد على فئتين من الشباب المغرورين بما عندهم من علم ضحل:

**الفئة الأولى**: الذين يطلقون القول بأن الجهل ليس بعذر مطلقاً وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

**الفئة الثانية**: هم الذين يبدعون كبار العلماء والفقهاء، وربما كفَّروهم؛ لسوء فهم أو زلة وقعت منهم، لا يرقبون فيهم ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، وما ذلك إلا لجهلهم بحقيقة الكفر الذي يخرج به صاحبه من

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٩٤)، م: (٢٧٥٦).

(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٣٠٤)، [«س. ص» (٣٠٤٨)].

الإيمان؛ ألا وهو الجحد والإنكار لما بلغه من الحجة والعلم... ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٤٣٤): (لا يجوز تكفير كل من خالف السنة؛ فليس كل مخطئ كافراً؛ لا سيما في المسائل التي كثر فيها نزاع الأمة)[(١)].

***عباد الله!*** التسرع في تكفير المسلمين جريمة نكراء، والذي يكفر المسلمين مجرم في حق نفسه وفي حق أخيه المسلم.

***عباد الله!*** والناس مع التكفير طرفان ووسط: طرف يكفر بكل ذنب وهم الخوارج، وطرف لا يكفر بأي ذنب وهم المرجئة، والفريقان على ضلال، والوسط هم أهل السنة والجماعة، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وهؤلاء لا يكفرون بكل ذنب، ولكن يكفرون من وقع فيه إذا ٱستحله، ولذلك قال الإمام الطحاوي في عقيدته: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)، وفي هذا رد على الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ثم قال: (ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)[(٢)]، وهذا رد على المرجئة.

ومن العلماء من قال: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب)، ولكن إذا استحل بقلبه أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة يكفر ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب كما قالت المرجئة، ولكن نقول الذنب يضر الإيمان وينقصه، فالإيمان في عقيدتنا هو: (القول باللسان والاعتقاد في القلب والعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)، فالعمل بأنواعه كافة؛ عمل القلب، وعمل الجوارح، وعمل اللسان من حقيقة الإيمان. ولا نخرج أدنىٰ عمل منه ـ فضلاً عن أكبره وأعظمه ـ عن مسمىٰ الإيمان.

فالواجب يا شباب الإسلام، إذا قرأ أحدكم آية أو حديثاً فوجد فيها

---

(١) انظر: تعليق الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة تحت الحديث (٣٠٤٨) ففيه كلام نفيس مهم.
(٢) الطحاوية (ص٢٢٤).

إطلاق الكفر أو الظلم أو النفاق أو الفسق، فالواجب علينا أن نجمع النصوص التي جاءت في المسألة ونضم بعضها إلى بعض ونفهمها بفهم سلف الأمة ثم بعد ذلك نطلق الحكم.

**مثال:** يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(١).

فبالله عليكم هل هذا النفاق الذي ذكر في الحديث هو النفاق الذي ذكر في الآية؟ الجواب: لا.

النفاق الذي ذكر في الآية هو النفاق القلبي كنفاق ابن سلول الذي اعتقد الكفر وأظهر الإسلام، فهذا وأمثاله في الدرك الأسفل من النار، أما من اقترف شيئاً من شعب النفاق التي ذكرت في الحديث فإنه يكون قد ارتكب كبيرة وهو عاصٍ لله ومستحق للعذاب، ولكن لا يكون في الدرك الأسفل من النار.

ولذلك نقول: نفاق دون نفاق، أي: هناك نفاق يخرج من الملة، وهناك نفاق لا يخرج من الملة، وعلى ذلك فقس يا عبد الله وتعلم وتفقه في دين الله، يقول ﷺ: «**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢).

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).



# المجرم الخامس والأربعون
# المبغض والمعادي لرسول الله ﷺ

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الخامس والأربعين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الذي يبغض رسول الله ﷺ ويعاديه»**.

***أتعرفونه يا أمة الإسلام؟*** إنه الذي يرفض سنة رسول الله، إنه الذي يرفض الحق الذي جاء به رسول الله، إنه الذي يرفض الإسلام، إنه الذي يسخر من سنة رسول الله ويستهزئ بمن يعمل بسنة رسول الله ﷺ.

والذي يبغض رسول الله ﷺ مجرمٌ بنص القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان: ٣١].

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: إرسال الرسول ﷺ نعمة من أعظم نعم الله تعالى على البشرية عامة، وعلى المؤمنين خاصة.

**العنصر الثاني**: هجرة فيها النجاة.

**العنصر الثالث**: المرء يوم القيامة مع من أحب.

**العنصر الأول!** إرسال الرسول ﷺ نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على البشرية عامة وعلى المؤمنين خاصة.

***عباد الله!*** كان الناس قبل بعثة رسول الله ﷺ في ضلال مبين، كانوا في جاهلية وشر، في ظلمات بعضها فوق بعض، والله ﷻ صور لنا ذلك في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]. وقال حذيفة رضي الله عنه: (كنا في جاهلية وشر)(١)، فبعث الله ﷻ محمداً ﷺ سراجاً منيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى في كتابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فأخذ ﷺ يدعو الناس إلى هذا الدين العظيم، وإلى هذا النور سراً وجهراً، حتى أخذ هذا النور ينتشر في كل مكان، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

ونشهد أنه ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، ولذلك امتن الله ﷻ على المؤمنين ببعثة محمد ﷺ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١١)، م: (١٨٤٧).

وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* **كيف لا،** والله ﷻ أرسل رسوله رحمة للعالمين كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويقول ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»(١).

**كيف لا:**

* وقد جعل الله ﷻ رسوله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

* **كيف لا:** والرسول ﷺ كان أحرصُ على المؤمنين من أنفسهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال ﷺ: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه**»(٢). فما بال هؤلاء الذين يبغضونه ويعادونه، أو يبغضون سنته، أو يعادون دينه الذي جاء به بعدما جاءهم بالنور المبين، وبالصراط المستقيم، ودعاهم إلى جنة عرضها السموات والأرض، ودعاهم إلى سعادة الدنيا والآخرة؟!

**العنصر الثاني:** هجرة فيها النجاة.

الرسول ﷺ بعث في مكة والناس في ضلال مبين، يعبدون الأوثان والأصنام من دون الله، ويأكلون الربا ويأكلون مال اليتيم، ويأكلون الميتة ولحم الخنزير، ويشربون الخمر وينتهكون الأعراض، ويقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب، فجاء ﷺ فدعاهم إلى التوحيد، دعاهم إلى (لا إله إلا الله) ليخرجوا من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإيمان، وأمرهم بكل خير، وحذرهم من كل شر.

وظل ﷺ في مكة يدعو الناس فوقف الملأُ من قومه في وجهه

---

(١) **صحيح**: ك: (١/٩١)، ش: (٦/٣٢٥)، هب: (٢/١٦٤)، [«ص.ج» (٢٣٤٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٨٦٧).

وعادوه وآذوه، فهاجر ﷺ من مكة إلى المدينة هو وأصحابه؛ فراراً بهذا الدين العظيم، وحفاظاً على هذا الدين العظيم فتركوا الديار والأموال، وهناك في المدينة أقام ﷺ دولة الإسلام التي فتحت البلاد وقلوب العباد.

فالواجب على المسلمين في هذه الأيام وهم يستقبلون عاماً هجرياً جديداً بدل أن يملئوا الدنيا بالاحتفال بمناسبة العام الهجري الجديد تقليداً لأعداء الإسلام، فما عَلِمنا أن رسول الله ﷺ احتفل يوماً بهجرته من مكة إلى المدينة، وما علمنا أن أحداً من الخلفاء الراشدين المهديين أو من العلماء الربانيين الذين سلكوا سبيل رسول الله ﷺ احتفلوا يوماً بالعام الهجري، وإنما فعلناه ذلك نحن تقليداً لفعل النصارى الذين يحتفلون برأس العام الميلادي!!

● نقول: الواجب على المسلمين بمناسبة العام الهجري الجديد أن يهاجروا إلى هدي رسول الله ﷺ، هجرة فيها النجاة وفيها سعادة الدنيا والآخرة، ويتمثل ذلك فيما يلي:

**أولاً**: على المسلمين في كل مكان أن يسلكوا سبيل رسول الله ﷺ وصراطه المستقيم الذي سلكه هو وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

فالله عز وجل قال لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]، فاتبع الرسول ﷺ الشريعة التي جاءته من عند ربه هو وأصحابه الكرام، وتمسكوا بها وصبروا عليها حتى لقوا الله، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

***فيا أمة الإسلام!*** استمسكوا بهذا الدين، وبسنة رسول الله ﷺ، فإنكم على صراط مستقيم، واحذروا أن تتبعوا سبل اليهود والنصارى، واحذروا أن تسلكوا سبل الذين غضب الله عليهم، والذين ضلوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

• وقد حذر الله ﷻ الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل المصطفى ﷺ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

**ثانياً**: الواجب علينا أن نحب رسول الله ﷺ ونحب سنته أكثر من الأب والأم والمال والأهل والولد، لم؟ لأن الله قد حذرنا من أن نحب المال والأولاد والتجارة أكثر من حبنا لله ورسوله، فقال تعالى محذراً: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، ويقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»(٢).

• وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(٣).

***عباد الله!*** هذه هي المحبة الصادقة الصحيحة: فمحبتنا لرسول الله ﷺ لا تكون بالاحتفال بمولده، وبأكل الحلوى في مولده!!

---

(١) **صحيح**: خ: (١٥)، م: (٤٤).
(٢) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٢٥٧).

إن المحبة الصادقة تتمثل في اتباعه ﷺ، وفي اتباع منهجه، وفي التأسي بما جاء به من عند ربه.

**والدليل على ذلك:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

• فالاتباع هو دليل المحبة، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه، فإن اليهود قالت: إبراهيم منا، ولكنهم لم يتبعوه، والنصارى قالت: إبراهيم منا، ولكنهم لم يتبعوه، فكذبهم الله ﷻ وبيَّن أن أولى الناس بإبراهيم هم الذين اتبعوه، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].

وكذلك فإن أولى الناس بمحمد ﷺ للذين اتبعوه وسلكوا سبيله وتمسكوا بسنته وأحيوها بين الناس، وقال إبراهيم ﷺ مبيناً أن من اتبعه فإنه منه، وأخبرنا الله ﷻ بذلك في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

فمن تبع رسول الله ﷺ فهو منه، فإياك إياك أيها المسلم أن تصد عَنْ سنته، أو أن لا تمتثل لأمره، وإذا وجدت في نفسك امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ فاعلم أن الإيمان عندك في زيادة، وإن لم تمتثل لأمر رسول إليه ﷺ فاعلم أن الإيمان عندك ضعيف.

**ثالثاً**: علينا أن نهاجر هجرة فيها النجاة تتمثل في طاعته ﷺ.

• لأن في طاعته ﷺ الرحمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢].

• وفي طاعته ﷺ الهداية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

• وفي طاعته ﷺ الفوز العظيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

• وفي طاعته طريق الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ويقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(١).

**العنصر الثالث**: المرء يوم القيامة مع من أحب، فالذين أحبوا رسول الله ﷺ واتبعوا سنته، وسلكوا سبيله، ونصروه واتبعوا النور الذي جاء به، فهم المفلحون في الدنيا والآخرة، وهؤلاء مع رسول الله ﷺ في جنات النعيم، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، ومن أبغض رسول الله وعاداه فإنه سيكون في الوقت نفسه قد أحب أعداء الإسلام ووالاهم، والمرء يوم القيامة مع من أحب، فمن أحب الكفار كان معهم في جهنم، ومن أحب المشركين فهو معهم في جهنم، ومن أحب الفسقة والمبتدعة فهم معهم في جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] ـ أي: وأشباههم.

***عباد الله!*** وهؤلاء الذين دخلوا مع أعداء الإسلام في جهنم بسبب حبهم وطاعتهم لهم سيندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ ـ أي: بالرسول ﷺ والدين العظيم ـ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٨].

فيا عبد الله المسلم انظر من تحب، فمن أحب الصحابة حشر معهم، ومن أحب أعداء الإسلام حشر معهم، والمحبة تجعل الإنسان يتشبه بمن يحب، فالذين يحبون رسول الله يتخلقون بأخلاقه، ويتأدبون بآدابه ويسلكون سبيله، والذين يحبون أعداء الإسلام يتشبهون بهم في لباسهم، وفي مِشْيَتِهِمْ وفي بيوتهم، وفي كلامهم وفي طعامهم، والمرء يوم القيامة مع من أحب.

**اللهم فقهنا في ديننا**

❋ ❋ ❋



# المجرم السادس والأربعون
# المتعدي على حق الضعيفين (المرأة واليتيم)

***عباد الله!*** لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم السادس والأربعين والأخير من المجرمين أصحاب النار، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه المتعدي على حق الضعيفين والضعيفان هما: المرأة واليتيم.**

***أمة الإسلام!*** الاعتداء على حق الغير جريمة وحرام، والاعتداء على حق الضعيفين ـ المرأة واليتيم ـ أشد حرمةً وإثماً.

ولذلك حذر الإسلام من الاعتداء على حق الضعيفين: المرأة واليتيم، فقال ﷺ: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(١). «أُحَرِّجُ»: أي أُلحق الحَرَجَ وهو: الإثم بمن ضيَّع حقهما، وفي هذا تحذير وتهديد لمن تجرأ على حق الضعيفين: المرأة واليتيم.

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

**العنصر الأول**: الإسلام هو الذي أعطى المرأة حقها.

**العنصر الثاني**: اليتيم في ظل الإسلام.

**العنصر الثالث**: احذر يا ابن آدم أن تعتدي على الضعيف.

**العنصر الأول**: الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها، فإن

---

(١) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/ ٤٣٩)، ك: (١/ ١٣١)، هق: (١٠/ ١٣٤)، [«س.ص» (١٠١٥)].

المرأة كانت قبل الإسلام لا قيمة لها، ولا حق لها، فلقد كانت بالنسبة للرجل قبل الإسلام عار ودمار، فكان الرجل إذا بُشر بالأنثى اسود وجهه وتوارى من القوم أي: هرب منهم، فهو لا يستطيع أن يقابل قومه من سوء ما بُشر به، ثم هو بعد ذلك إما أن يمسك هذه الأنثى على هون أي: على مضض، وإما أن يدفنها في التراب، وهذه هي جريمة وأد البنات.

• فجاء الإسلام وحرم ذلك، وأخبرنا الله ﷻ عن حال الأنثى قبل الإسلام، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

فجاء الإسلام فكرم المرأة تكريماً عظيماً، وأعطاها حقها كاملاً، وأمر بالإحسان إليها بنتاً عند أبيها، وزوجةً عند زوجها، وأماً عند أولادها.

• جاء الإسلام فأمر الوالد أن يحسن إلى ابنته، وأن يربيها تربية حسنة، ووعده بالأجر والثواب من عند الله، كل ذلك تكريماً للمرأة، يقول ﷺ: «**من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار**»(١). وقال ﷺ: («**من عال جاريتين** ـ أي: بنتين ـ **حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**». وضمَّ أصابعه)(٢).

فإذا كبرت هذه الأنثى وتزوجت، فإن الإسلام يأمر الزوج أن يحسن إلى زوجته تكريماً للمرأة، فيقول الله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩]، وقال ﷺ في حجة الوداع بعد أن حَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنما هُنَّ عوان عندكم** ـ أي: أسيراتٌ ـ **ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن،**

(١) **صحيح**: خ: (١٣٥٢)، م: (٢٦٢٩).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٣١).

**فاهجروهنّ في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. ألا وإن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم: فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم: أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»**(١).

● وقال رجل: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**»(٢) كل ذلك تكريماً للمرأة.

● ويقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**»(٣).

ولذلك إذا وجدت رجلاً لا خير فيه لزوجته فاعلم أنه لا خير فيه لغيرها.

وقال ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**»، فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذَئِرنَ النساء على أزواجهن ـ أي: اجترأن ـ فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله ﷺ ـ أي: بأزواجه ﷺ ـ نساء كثيرٌ يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «**لقد طاف ـ أي: أحاط ـ بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم**»(٤)، أي: الذي يضرب زوجته ليسَ مِنْ خيار المسلمين.

فإذا كبرت المرأة وصارت أُماً فالإسلام يأمر الأولاد بالإحسان إليها

---

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، هق: (٧/ ٢٩٥)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

(٢) **صحيح**: د: (٤١٤٢)، حم: (٤/ ٤٤٧)، طب: (١٩/ ٤٢٧)، عب: (٧/ ١٤٨)، هق: (٧/ ٣٠٥)، [«ص.غ.هـ» (١٩٢٩)].

(٣) **صحيح**: ت: (١١٦٢)، حب: (٤١٧٦)، ع: (١٠/ ٣٣٣)، ش: (٥/ ٢١٠)، [«ص.ج» (١٢٣٢)].

(٤) **صحيح**: د: (٢١٤٦) مي: (٢٢١٩)، فع: (١٢٦٣)، [«ص.د» (١٨٧٩)].

وكل ذلك تكريماً للمرأة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[(١)].

وهكذا فالإسلام يأمر بالإحسان إلى المرأة عند أبيها، وعند زوجها، وعند أولادها وفي كل ذلك تكريمٌ للمرأة.

***عبادَ الله!*** وجاء الإسلام فأعطى المرأة حقها من الميراث، عند أبيها، وعند زوجها وعند أولادها، وتوعد ربنا جل وعلا الذين يتعدون حدود الله، ويحرمون المرأة من الميراث.

• فأعطى الإسلام للمرأة حقها عند أبيها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ونقول لمن حرم ابنته من الميراث: ألا تقرأ هذه الوصية؟! أما تقرأ هذه الآية؟! لا أقول لكم: ثمانون بالمائة من المسلمين حرموا الإناث وتعدوا حدود الله بل إنهم أكثر مِنْ ذلك، والبنت التي حرمها أبوها مِنْ حقها تقوم بالليل والنهار تدعو على أبيها قائلةً: اللهم احرم أبي الجنة كما حرمني حقي من الميراث!!.

• وأعطى الإسلام المرأة حقها من ميراث زوجها: فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

• وأعطى الإسلام المرأة حقها من الميراث من أولادها، فقال

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٢٦)، م: (٢٥٤٨).

ـ تعالى ـ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١١].

ربما يقول الأب الجاهل الذي حرم ابنته من الميراث: كيف أعطي مالي الذي تعبت في جمعه أنا وأولادي لفلان ـ يعني زوج ابنته ـ!؟ فنقول له: ويحك أيها الجاهل!! أعطيته عرضك وبخلت عليه بالمال؟!! عباد الله، الذي يحرم ابنته بحجة أنه يعطي ماله لفلان من الناس ـ الذي ربما كان من عشيرة أخرى ـ فهذا نقول له: أنسيت أن زوجتك هي ابنة لفلان، أنسيت أن زوجة ابنك هي ابنة فلان؟! أيها الآباء: اتقوا الله، فإنَّ هذا تقسيم الله، وهذا هو شرع الله فكيف تعرضون حدود الله على عقولكم؟!

ولذلك توعَّد ربنا جل وعلا وهدد الذين يَتعدّون حدوده، فقال تعالى بعد أن قسم وأعطى كل ذي حق حقه في الآيات الأولى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

فالذي حرم الأنثى سواء كانت ابنته، أو زوجته، أو أمه من الميراث تعدى حدود الله وعصى الله ورسوله، فاتقوا الله عباد الله واحذروا أن تعتدوا على حق الضعيفة، على حق المرأة.

**العنصر الثاني ـ اليتيم في ظل الإسلام:**

***عباد الله!*** جاء الإسلام يرعى اليتيم من اللحظة الأولى فأمر بالإحسان إلى اليتيم، والمحافظة على مال اليتيم لأنه ضعيف، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: ٩] فإياك أن تقهر اليتيم، فإنه ضعيف وإن الله مع الضعيف، ويقول ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة**

**هكذا»**، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[(١)]. وقال ﷺ: «**إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**أدنِ اليتيم منك** ـ أي: قربه ـ **وألطِفُه** ـ أي: ارفق به ـ **وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك فإن ذلك يُلَيِّنُ قلبك ويدرك حاجتك**»[(٣)].

***عباد الله!*** وجاء الإسلام يحذر من الاقتراب من مال اليتيم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠]، وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(٤)]. وقال ﷺ: «**اجتنبوا الكبائر السبع** ـ وذكر منها ـ **وأكل مال اليتيم**»[(٥)].

فاحذروا عباد الله أن تعتدوا على الضعيفين: المرأة واليتيم؛ فالاعتداء على حق الضعيف ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة ولو كان شيئاً يسيراً، يقول ﷺ: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيب من أراك**»[(٦)]، أي: سواكاً، فمن تورط ـ والذين تورطوا كثير ـ بظلم الضعيفين، فحرم ابنته أو زوجته، أو أمه، أو أخته من الميراث فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار،

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٩٨).

(٢) **حسن**: (حم: (٢/ ٢٦٣)، هب: (٧/ ٤٧٢)، هق: (٤/ ٦٠)، [«ص.ج» (١٤١٠)].

(٣) **حسن**: عب: (١١/ ٩٦)، حل: (١/ ٢١٤)، [«ص.ج» (٢٥٠)].

(٤) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

(٥) **حسن**: طب: (٦/ ١٠٣)، [«ص.ج» (١٤٥)].

(٦) **صحيح**: م: (١٣٧).

وعندها يعض الظالم على يديه، عندها تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، فلا تعامل يومئذٍ إلا بالحسنات والسيئات، يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(١).

**العنصر الثالث ـ احذر يا ابن آدم أن تعتدي على الضعيف:**

فالضعيف معه الله، والله ﷻ رب المستضعفين، والمرأة ضعيفة، واليتيم ضعيف فاحذر من الاعتداء عليهما، ولذلك قال ﷺ: «**اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين. اليتيم والمرأة**»(٢) وقال ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**»(٣). فيا أيها الأب الجاهل يا من حرمت ابنتك من الميراث إنها ضعيفة، والله إن أعطيتها حقها ودعت لك في جوف الليل لَيُخْلِفَنَّ الله عليك، ولتَفُوزَنَّ بسعادة الدنيا والآخرة، ولكن إذا اعتديت على حقها، وهي ضعيفة، فدعت عليك في جوف الليل فَلتُحرَمن سعادة الدنيا والآخرة.

أترضى يا عبد الله أن تقوم هذه المرأة في جوف الليل تبكي بين يدي الله وتقول: اللهم احرم أبي الجنة كما حرمني حقي من الميراث؟! أما تخشى يا عبد الله إذا اعتديت على مال اليتيم، وأكلته في بطنك ناراً تتأجج أن يقوم اليتيم في جوف الليل ويدعو عليك؟ يقول ﷺ: «**ابغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

(٢) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/ ٤٣٩)، ك: (١/ ١٣١)، هق: (١٠/ ١٣٤)، [«ص.ج» (٢٤٤٧)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٧٣٩).

(٤) **صحيح**: د: (٢٥٩٤)، ت: (١٧٠٢)، ن: (٣١٧٩)، حم: (٥/ ١٩٨)، حب: (٤٧٦٧)، ك: (٢/ ١١٦)، هق: (٣/ ٣٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٢٠٦)].

***ابن آدم!***

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِراً فالظُّلْمُ يَرْجِعُ عُقْبَاهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لمْ تَنَمِ

احذر أن تظلم ابنتك، احذر أن تظلم زوجتك، وكم من الناس من يظلم زوجته حين يتزوج عليها فلا يعدل، ويضربها، ويحرمها من حقها في المبيت، يقدم الأخرى على الأولى أو غير ذلك، فيأتي يوم القيامة وشقه مائل.

إياك إياك أن تظلم المرأة الضعيفة بنتاً أو زوجة أو أماً، وأحسن إلى المرأة وهي عندك صغيرة، أو زوجة، أو أمّاً تتقرب ببرها إلى الله ﷻ، فالرسول ﷺ بيَّن وأخبر أن الجنة قريبة من الأم، ولذلك قال ﷺ لرجل: «**الزم رجلها، فثم الجنة**»[(١)]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال ﷺ: «أَحِيٌّ والداك؟»، قال: نعم قال: «**ففيهما فجاهد**»[(٢)]، فليتقِ الله كل منا في المرأة فإنها ضعيفة، وليتقِ الله كل منا في اليتيم إن كان عنده يتيم، وليحسن إليهما وليتقرب بذلك إلى الله ﷻ.

وبهذا إخوة الإسلام نكون قد انتهينا من الحديث عن المجرمين أصحاب النار، نسأل الله في علاه أن ينجينا وإياكم من النار.

**اللهم أدخلنا الجنة ونجنا من النار**

❋ ❋ ❋

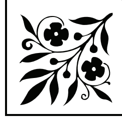
---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٧٨١)، طب: (٨/ ٣١١)، ش: (٦/ ٥١٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٨٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٨٤٢)، م: (٢٥٤٩).



# الأصل السادس
# الإيمان بالقضاء والقدر



# القضاء والقدر (١)

***عباد الله!*** منذ خمس سنوات تقريباً ونحن نتكلم في سلسلةٍ بعنوان **(العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون)**، وتبين لنا أن سعادة الدنيا والآخرة تتوقف على العقيدة الصحيحة.

***عباد الله!*** وقلنا: إن العقيدة الصحيحة تقوم على أركان ستةٍ:

**الركن الأول**: الإيمان بالله، وتكلمنا عنه.

**الركن الثاني**: الإيمان بالملائكة، وتكلمنا عنه.

**الركن الثالث**: الإيمان بالكتب السماوية، وتكلمنا عنه.

**الركن الرابع**: الإيمان بالرسل الكرام، وتكلمنا عن الرسل عامة، وعن أولي العزم خاصة.

**الركن الخامس**: الإيمان باليوم الآخر، وتكلمنا عن مشاهد يوم القيامة.

وقلنا: إن الناس يوم القيامة في أرض المحشر فريقان:

**فريق في الجنة**: وتكلمنا عن الجنة وعن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

**وفريق في السعير**: وتكلمنا عن النار دار البوار، وقلنا: إن من دخلها كان مجرماً، وتكلمنا عن المجرمين أصحاب النار سائلين المولى في علاه أن يباعد بيننا وبين النار كما باعد بين المشرق والمغرب، وانتهينا في الجمعة الماضية من الحديث عن آخر المجرمين.

***عباد الله!*** ونحن اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن

**الركن السادس**: من أركان العقيدة الصحيحة، ألا وهو: «**الإيمان بالقضاء والقدر**».

***عباد الله!*** على المؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأنه ـ سبحانه ـ يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه ـ سبحانه ـ قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدَّر آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكتب ما يصير العباد إليه من سعادة وشقاوة.

وقد عبر الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإيمان بالقضاء والقدر بهذه الأبيات:

مَا شِئْتَ كانَ وإنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ العِبَادَ علىٰ ما عَلِمْتَ ... وفي العلمِ يَجْرى الفتى والمُسِنْ
على ذا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ... وهَذَا أعَنْتَ وذا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌ ومِنْهُمْ سَعِيْدٌ ... ومِنهمْ قبيحٌ ومِنْهُمْ حَسَنْ

يقول: «وما شئت» أي: أنت يا رب، «كان» أي بأمرك لا محالة، لأن مشيئتك نافذة، و«إن لم أشأ» أنا العبد، و«ما شئتُ» أنا «إن لم تشأ» يا رب «لم يكن»، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئتك. «خلقت العباد على ما علمت»: أي: حسب ما سبق به علمُكَ الأزلي، «وفي العلم يجري الفتى والمسن»: أي: بمقتضى هذا العلم السابق، يجري ويعمل الصغير والكبير، ولا يخرج أحد عن ذلك. «على ذا مننت» رحمة وتفضلاً، «وهذا خذلت» حكمة وعدلاً، «وهذا أعنت» بمنك وفضلك، «وذا لم تعن» بحكمتك وعدلك. «فمنهم شقي» ممن سبقت له الشقاوة، «ومنهم سعيد» ممن سبقت له الحسنى والسعادة، «ومنهم قبيح ومنهم حسن»، فالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هو الذي يصورهم في الأرحام كيف يشاء.

***إخوة الإسلام!*** الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة الصحيحة، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

• ففي كتاب الله ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤].

• وفي السنة: قال ﷺ لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١). وقال ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٢).

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت الآية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾)(٣) [القمر: ٤٨، ٤٩].

• وأجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، قال الإمام النووي رحمه الله: (وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

• وقال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: (ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى)(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٨).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٦٤).
(٣) **صحيح**: م: (٢٦٥٦).
(٤) فتح الباري: (١١/٤٧٨).

***عباد الله!*** الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان، والعقيدةُ الصحيحة لا تنفع صاحبها إلا به، فهو ركنٌ مهم جداً في الدنيا والآخرة.

**والدليل على ذلك:**

١ ـ يقول الوليدُ ابن الصحابي الجليل عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه: (دخلت على أبي ـ عبادة ـ وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني، واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: ـ أي: الوليد ـ يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب، فجرى بتلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**». يا بني: إن مت ولست على ذلك دخلت النار)(١)، أي: إن مت وأنت لا تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، إن مت وأنت لا تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، دخلت النار.

٢ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنه: (القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله، وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحَّد الله، وكذب بالقدر نقص توحيده).

٣ ـ وقال الحسن البصري: (إن الله خلق خلقاً، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر).

وقال أيضاً رحمه الله: (من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام)، وقال رحمه الله في مرضه الذي مات فيه: (إن الله قدر أجلاً وقدر معه مرضاً، وقدر معه معافاةً، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق).

(١) **صحيح**: ت: (٢١٥٥)، حم: (٥/٣١٧)، لس: (٥٧٧)، [«ص.ت» (١٧٤٩)].

***عباد الله!*** وعرف العلماء القضاء والقدر، فقالوا: القدر هو: تقدير الله تعالى الشيء في الأزل، والقضاء هو: قضاؤه به عند وقوعه، ومنهم من قال العكس، ومنهم من قال: أنهما بمعنى واحد.

**والراجح**: أنهما إن قرنا جميعاً فبينهما فرقٌ كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد.

يعني: أن القضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، ولكن إذا اجتمعا، فالقدر هو ما قدره الله تعالى في الأزل والقضاء هو ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا فيكون القدر سابقاً والقضاء لاحقاً.

***عباد الله!*** **وهنا سؤالٌ مهم يحتاجُ إلى إجابةٍ وهو:**

**هل يجوز للمسلم أن يتعلم مسائل القضاء والقدر ويعلمها غيره، أو أن يسأل عن مسائل القضاء والقدر أم لا يجوز له ذلك لأن مسائل القضاء والقدر من أصعب الأبواب، والكلام والخوض فيها يبعث على الشك والحيرة، ولأن في مسائل القضاء والقدر زلت أقدامٌ كثيرة، وضلت أفهام عديدة؟**

**الجواب**: نعم يجوز للمسلم أن يتعلم مسائل القضاء والقدر ويُعلمها غيره، وذلك.

**أولاً**: لأن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان كما قال ﷺ لجبريل عليه السلام: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)]، فكيف يعرف المسلم هذا الركن من أركان الإيمان إذا لم يتعلمه ويُعلمه؟!.

**ثانياً**: لأن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ أساسيٌ من دين الإسلام الذي لا يقبل الله يوم القيامة ديناً غيره، والدليل على أن القضاء والقدر من دين الإسلام حديث جبريل المشهور، فبعد أن سأل جبريل عليه السلام

(١) **صحيح**: م: (٨).

محمداً ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**» فقال عمر: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١). فمعرفة مسائل القضاء والقدر ولو على سبيل الإجمال هي من دين الإسلام.

**ثالثا:** لأن الصحابة رضي الله عنهم سألوا رسول الله ﷺ عن أدق الأمور في مسائل القضاء والقدر.

• جاء في «صحيح مسلم» أن الصحابة قالوا: يا رسول الله: بيِّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال ﷺ: «**لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير**»، قالوا: ففيم العمل؟ فقال ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر**»(٢).

• فلو كان الكلام والسؤال في مسائل القضاء والقدر لا يجوز لمنعهم الرسول ﷺ من ذلك.

***عباد الله!*** فإذا كان الأمر كذلك فكيف نجمع بين هذه الأدلة وبين النصوص التي جاءت تحذر وتمنع من الخوض في مسائل القضاء والقدر.

١ ـ كقوله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(٣).

٢ ـ وغضب ﷺ غضباً شديداً عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»(٤).

***عباد الله!*** الجمع بينهما يظهر إذا علمنا أن النصوص التي جاءت تمنع وتحذر من الخوض في القضاء والقدر منصبةٌ على:

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٨). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٤٨).
(٣) **صحيح**: طب: (٩٦/٢)، حل: (١٠٨/٤)، [«ص.ج» (٥٤٥)].
(٤) حسن: ت: (٢١٣٣)، ع: (٤٣٣/١٠)، [«ص.ت» (١٧٣٢)].

١ ـ من يخوض في القدر بالباطل بلا علم ولا دليل.

٢ ـ على من يعتمد في معرفة القدر على العقل البشري بعيداً عن هدي الكتاب والسنة.

٣ ـ على من يخوض ويبحث عن الجانب الخفي في القدر الذي هو سرُ الله في خلقه، والذي لم يَطَّلِعْ عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته.

٤ ـ على الذي يُنازع في القدر ويؤدي إلى اختلاف الناس فيه، وافتراقهم في شأنه.

**والخلاصة**: أَن الحديث عن القدر لا يُفْتَحُ على إطلاقه ـ لكل من هب ودب بعلم وبدون علم ـ ولا يغلق على الإطلاق، فإن كان الحديث بحق فلا يُمْنَعُ ولا يُنهى عنه، بل قد يجب في بعض الأحيان، وإن كان بباطل فيمنع وينهى عنه.

***عباد الله!*** الإيمان بالقضاء والقدر له ثمراتٌ عظيمةٌ تعود على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة فمنها:

**أولاً**: أن يشعر الإنسان بحلاوة الإيمان: لأن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان، والإيمان الصادق له حلاوةٌ يشعر بها المؤمن، كما قال ﷺ: «**ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»[(١)]. وكما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لولده: (يا بني: إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره)[(٢)].

**ثانياً**: من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر طمأنينة القلب وارتياحه،

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وعدم القلق في هذه الحياة خصوصاً عندما يتعرض الإنسان لمشاق الحياة.

لأن العبد إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن باله، بخلاف من لا يؤمن بالقدر فإنه عندما تصيبه مصيبة أو يفوته شيء مما يحب يجزع ويسخط ويقلق ويضيق من حياته ويحاول الخلاص منها، وربما ٱنتحر وقتل نفسه.

وقد أخبر الله ﷻ أن الذي يؤمن بالقضاء والقدر يثبت عند المصائب، ويصبرُ عند النوازل، ويحتسب الأجر والثواب على المصيبة، فتكون مصيبته خيراً له وتكون عاقبته حميدة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)[1]، ومعنى الآية الكريمة: أن من أصابته مصيبة فعلم أنها من عند الله، وأن الله قدرها فصبر واحتسب هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقيناً صادقاً في نفسه، وقد يُخْلِفُ عليه ما كان أُخذَ منه أو ما هو خيراً منه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]. فأخبر سبحانه أنه قدَّر ما يجري من المصائب في الأرض والأنفس وكتبه في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ثم بيَّن سبحانه أن الحكمة في إخباره لنا بذلك لأجل أن تطمئن النفوس فلا تجزع ولا تأسف عند

---

(١) هب: (١٩٦/٧)، هق: (٦٦/٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨١).

المصائب، ولا تفرح عند حصول النِعَم فرحاً ينسيها العواقب ويجعلها تأمن من مكر الله.

فعلينا أن نصبر عند الشدائد والضراء، وعلينا أن نشكر عند الرخاء والسراء، قال عكرمة: (ليس أحدٌ إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً)(١).

ولذلك قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٢).

**ثالثاً:** ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أن يحفظ الإنسان نفسه من الشرك والخرافات والأباطيل. فإذا علم العبد أن الأمور كلها بيد الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الناس لا ينفعوه ولا يضروه إلا بإذن الله تعلق قلبه بالله وحده، فلا يدعو غير الله، ولا يتمسح بالقبور، ولا يذبح لغير الله، ولا يذهب إلى الكهنة والسحرة والمشعوذين، قال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»(٣).

**رابعاً:** من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أنه يدفع بصاحبه إلى الأعمال الصالحة دائماً، وإلى الابتعاد عن المعاصي، وذلك لأن المؤمن بالقضاء والقدر تجده دائماً على خوف من الله وعلى حذر من سوء الخاتمة.

---

(١) ك: (٢/ ٥٢١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٤)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

فهو يحرص على الأعمال الصالحة دائماً ولا يأمن مكر الله.

قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل**»(١).

**خامساً:** من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: الشجاعة، والإقدام، وعزة النفس. لأن المؤمن يعلم أنَّ الموت لا بد منه، وأن المقدر لا بد أن يقع، وأن الأجل لا يؤخر ولا يمنع منه حصون ولا جنود، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

**اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً**

* * *

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٦٤).



# القضاء والقدر (٢)

***عباد الله!*** تكلمنا في الجمعة الماضية عن الإيمان بالقضاء والقدر وتبيَّن لنا.

**أولاً**: أن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان لقوله ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

**ثانياً**: أن الإيمان بالقضاء والقدر من دين الإسلام، لقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[٢].

**ثالثاً**: أن من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام، قال الحسن البصري رحمه الله: (من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام).

**رابعاً**: أن من كذب بالقضاء والقدر فقد كذب بالقرآن، قال الحسن البصري أيضاً: (فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق).

**خامساً**: أن من كذب بالقدر دخل النار، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لولده: (يا بُني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره... ... ثم قال له: يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار)[٣]، فالإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أهم أركان الإيمان.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٨). (٢) **صحيح**: م: (٨).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه ص(٣٧٥).

***عباد الله!*** الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بها، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض، فمن أقر بها جميعاً اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص إيمانه بواحدٍ منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر وهذه الأركان هي:

١ ـ العلم.

٢ ـ الكتابة.

٣ ـ المشيئة.

٤ ـ الخلق.

**الركن الأول ـ العلم:**

* وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيءٍ جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواءٌ كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده، فعلمه محيط بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

* فالله ﷻ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

* فالله ﷻ قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم وأهل الجنة منهم وأهل النار.

***عباد الله!*** والدليل على ذلك من القرآن، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى؛ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

والدليل على ذلك من السنة: قال ﷺ: «**ما منكم من نفس إلا وقد**

**عُلم منزلها من الجنة والنار»**، قالوا: يا رسول الله فَلِمَ نعمل، أفلا نتكلُ؟ فقال ﷺ: «**لا، اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له ثم قرأ** ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾»(١) [الليل: ٥ ـ ١٠].

وسُئلَ ﷺ عن أولاد المشركين: فقال ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(٢).

**الركن الثاني ـ الكتابة:**

وهي الإيمان بأن الله ﷻ كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

***عباد الله!*** والدليل على ذلك من القرآن: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

والدليل على ذلك من السنة: قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»(٣)، وقال ﷺ: «**ما من نفس منفوسةٍ إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**»(٤)، وقال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: أكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر. فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد**»(٥).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٦١)، م: (٢٦٤٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٢٢٤)، م: (٢٦٥٩).
(٣) **صحيح**: م: (٢٦٥٣).
(٤) **صحيح**: ج: (١٢٩٦)، م: (٢٦٤٧).
(٥) **صحيح**: ت: (٢١٥٥)، لس: (٥٧٧)، هق: (١٠/ ٢٠٤)، حل: (٥/ ٢٤٨)، [«ص. ت» (٢٦٤٥)].

**الركن الثالث ـ المشيئة:**

وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون، ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته.

الدليل على ذلك من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُۚ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٩٩].

والدليل من السنة: قال ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلبٍ واحدٍ، يصرفه حيث شاء**»[١]، وقال ﷺ لأصحابه عندما ناموا في الوادي: «**إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء**»[٢].

**الركن الرابع ـ الخلق:**

وهو الإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكونهم وأوجدهم، فهو سبحانه الخالق وما سواه مخلوق مربوب.

***عباد الله!*** الدليل على ذلك من القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [لقمان: ١١].

والدليل على ذلك من السنة: قال ﷺ: «**إن الله صانع** ـ وفي رواية «**خالق**» ـ **كل صانع وصنعته**»[٣].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٥٤). (٢) **صحيح**: خ: (٥٧٠).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ٨٥)، [«ص.ج» (١٧٧٧)].

***عباد الله!*** هذه هي أركان الإيمان بالقدر ولا يتم الإيمان بالقدر، إلا بها، فالواجب على العبد المؤمن في هذا الباب ـ أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأن يؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر.

فإذا أحسن، حمد الله تعالى، وإذا أساء، استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره.

فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصرَّ واحتجَّ فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدمياً، ومن أصر واحتج بالقدر صار إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس.

***عباد الله!*** الناس مع الإيمان بالقدر طرفان ووسط.

● الطرفان هما: «الجبرية والقدرية»، نظر كلٌ منهما إلى جزءٍ من الحقيقة وعمي عن جزء منها.

**فالجبرية:** نظروا إلى قدر الله فقط ولم ينظروا إلى قدرة العبد واختياره ومشيئته، فقالوا: الإنسان مجبور وهو كالريشة في مهب الريح ليس له اختيارٌ في أعماله، وهذا ضلال مبين يخالف كلام رب العالمين، لأن الله عز وجل أخبرنا في كتابه بأن الإنسان له مشيئة واختيار وإرادة وقدرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]. وكل إنسان يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والإجباري في الحقيقة والحكم.

أما **القدرية:** نظروا إلى فعل العبد من المعاصي والطاعات ولم ينظروا إلى قدر الله.

فقالوا: العبد مستقل بعمله، ليس لله فيه إرادة، ولا قدرة، ولا خلق، وهذا ضلال مبين يخالف كلام رب العالمين، لأن الله عز وجل أخبرنا في كتابه أنه خلق العبد وعمله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

***عباد الله!*** وأما الوسط فنظروا إلى السببين معاً، نظروا إلى عموم قدر الله تعالى وإلى اختيار العبد فقالوا: إن فعل العبد كائنٌ بقدر الله تعالى وباختيار العبد، وقالوا: إن للإنسان مشيئةً وقدرةً واختياراً لكن كل ذلك لا يقع إلا بمشيئة الله وإرادته.

**والدليل:** قال ـ تعالى ـ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

***عباد الله!*** فمن الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله جعل للعبد مشيئة، وقدرةً، واختياراً وتمييزاً بين الضار والنافع، فهو يعرف الخير ويستطيع أن يفعله بإرادته واختياره، ويعرف الشر ويستطيع أن يتركه بإرادته واختياره، ولذلك صار يُثابُ على فعل الخير، ويعاقب على فعل الشر لأن الكل فعله وكسبه بإرادته واختياره، والعاجز والناسي لا يؤاخذان، إما لعدم القدرة وإما لعدم الإرادة.

***عباد الله!*** ومشيئة العبد وإرادته لا تخرجان عن مشيئة الله وإرادته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

- وقد أمر الله ﷻ بالأعمال الصالحة التي هي سبب للسعادة، ونهى عن الأعمال السيئة التي هي سبب للشقاوة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

- والله ﷻ رتب الجزاء في الآخرة على العمل لا على القدر الذي قدره للعبد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٩ ـ ٩٠].

***عباد الله!*** فالذين يتركون ما أمرهم الله به، ويفعلون ما نهاهم عنه أي: الذين يفعلون المعاصي، ويتركون الأعمال الصالحة ويقولون: إن

كان الله قدر أننا من أهل السعادة فسنكون من أهلها، وإن كان الله قدر أننا من أهل الشقاوة فسنكون من أهلها!! فهؤلاء دفعهم هذا الفهم الخاطىء إلى ترك العمل، فهم لا يفعلون أسباب السعادة، ولا يتركون أسباب الشقاوة فهؤلاء من أجهل الناس، وذلك لأن الله ﷻ قد جعل لكل شيءٍ سبباً، وربط النتائج بأسبابها، فإذا لم تعمل هذه الأسباب لم تحصل النتائج، فجعل الطاعة سبباً للثواب، وجعل المعصية سبباً للعقاب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

***عباد الله!*** وهؤلاء الذين يعطلون الأسباب النافعة، ويحتجون بالقدر يتناقضون مع أنفسهم، فإنه لو قيل لأحدهم: اترك الأكل والشرب لأن الله ﷻ إن كان كتب لك أن تعيش فستعيش بلا أكل ولا شرب!! واترك الزواج لأن الله إن كان كتب لك ذرية فستحصل لك بلا زواج!! فإنه سيستنكر هذا القول. فكيف إذاً يترك الطاعة ويقول: إن كان الله قدر لي السعادة، فسأحصل عليها بدون طاعة؟! إن الواجب على المسلم أن يباشر الأسباب النافعة ويترك الأسباب الضارة، كما أنه يأكل ويشرب ويتداوى ليعيش ويسلم من الأمراض، وكما أنه يتجنب المخاطر ليسلم من الهلاك ويعترف بأن هذه المقاصد لا تحصل إلا بتعاطي أسبابها، فكذلك يجب عليه أن يتعاطى أسباب السعادة ليحصل عليها ويتجنب أسباب الشقاوة ليسلم منها.

***عباد الله!*** الواجب على المسلم العاقل في مسألة القدر أن يسلك سبيل الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال لهم رسول الله ﷺ يوماً: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة**». **ثم قرأ** ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ

﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[(١)] [الليل: ٥ ـ ١٠]. وقال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»[(٢)].

***عباد الله!*** الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان ولن يجد الإنسان طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله.

فالمسلم إذا نزلت به نعمةٌ علم أنها من الله فيشكر، وإذا نزلت به مصيبةٌ علم أنها بتقدير الله فيصبر، وإذا اقترف معصيةً تاب منها إلى الله واستغفر، فالسعيد هو الذي يستغفر من الذنوب، ويصبر على المصائب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] أما الشقيُ فهو الذي يجزع عند المصائب ويحتج بالقدر عند المعائب ـ أي: الذنوب.

***عباد الله!*** حتى لا نضل في مسألة القدر فعلينا ما يلي:

**أولاً**: أن نؤمن بالقدر بأركانه الأربعة: (العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق).

**ثانياً**: أن نعتمد في معرفة القدر وفهمه على الكتاب والسنة فقط.

**ثالثاً**: أن نترك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل البشري أن يستوعبها، ولذلك قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يَطَّلعْ على ذلك ملكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مُرامه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾)[(٣)] [الأنبياء: ٢٣].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من السنة اللازمةِ الإيمانُ بالقدر خيره

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٦٦)، م: (٢٦٤٧).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٦٤).
(٣) تخريج الطحاوية: (٤٩).

وشره، والتصديقُ بالأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بها، لا يُقال لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها).

**عبادَ الله!** بفضل الله وَمَنِّه وكرمه نكون ـ بهذا ـ قد ٱنتهينا من الحديث عن سلسلة (العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون)، ونعيش بعدها مع سلسلةً جديدةٍ بعنوان: (ثمرات الإيمان: مواقف إيمانية فيها دروس، وعظات، وعبر).

والله نَسْأَلُ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبل منا أَعمالنا إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.



# الفهارس

* فهرس الآيات.

* فهرس الأحاديث.

* فهرس الموضوعات.

# فهرس الآيات

## سورة النساء

### سورة الأنعام

### سورة الإسراء

## سورة مريم

سورة الأنبياء

## سورة الحج

### سورة المؤمنون

**سورة النمل**

## سورة السجدة

## سورة يس

## سورة ص

## سورة الزمر

## سورة غافر

## سورة فصلت

## سورة الدخان



## سورة الجاثية

## سورة الأحقاف



## سورة محمد

## سورة الفتح

### سورة الذاريات

**سورة المجادلة**

## سورة المزمل



## سورة المدثر

## سورة القيامة



## سورة الإنسان

## سورة المطففين



## سورة الانشقاق



## سورة البروج

# فهرس الأحاديث

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|
| ـ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. . . | ٢/ ٢٠١ |
| ـ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده | ٤/ ٣٣٤ |
| ـ المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء | ٢/ ١٧٨ |
| ـ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه | ٢/ ٣٦٥ |
| ـ المهدي منا أهل البيت | ٣/ ٥٩ |
| ـ المهدي من عترتي من ولد فاطمة | ٣/ ٥٩ |
| ـ المهدي مني أجلى الجبهة. . . | ٣/ ٦٠ |
| ـ الميت يعذب في قبره بما نيح عليه | ٢/ ٤٩٥، ٣/ ٢٨ |
| ـ النجوم أمنة السماء | ٤/ ٢٣٢ |
| ـ آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح. . . | ٣/ ٢٣٨ |
| ـ اقرأ عليك وعليك أُنزل | ٣/ ٤٤٧ |
| ـ آكل الربا وموكله وشاهداه | ٤/ ٢٣٨ |
| ـ آمين، آمين، آمين. . . | ٤/ ١٥٢ |
| ـ آية الإيمان حب الأنصار. . . | ٤/ ٢٣٣ |
| ـ آية المنافق ثلاث. . . | ٢/ ٨٣، ١١٢، ٣/ ٣١١، ٤/ ٤٢، ١١٩، ٢٤٩، ٣٨٠ |
| ـ أبشروا هذا ربكم قد فتح باباً | ٢/ ٢٩٣ |
| ـ أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟. . . | ٤/ ٤٠٣ |
| ـ أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة. . . | ٤/ ٢٣٣ |
| ـ أتاني جبريل عليه السلام فقال: إني كنت أتيتك البارحة. . . | ٤/ ١٣٠ |
| ـ أتاني داعي الجن | ١/ ٢٣٦، ٢٦٦ |
| ـ أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئاً. . . | ٤/ ٣٣٩ |
| ـ أتدرون ما الغيبة؟. . . | ٢/ ٣٣٧، ٤/ ١٠٥ |
| ـ أتدرون ما المفلس؟. . . | ٢/ ٨٩، ٢٠٨، ٢٨٥، ٣٣٨، ٣٨٠، ٣/ ٢١٠، ٤/ ١٠٤، ٢٥٠، ٣٤٣، ٣٩٥ |
| ـ أتدرون ما هذه الريح؟. . . | ٤/ ١٠٧ |
| ـ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟. . . | ٤/ ٣٥٧ |
| ـ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَيْن من قبلكم. . . | ٣/ ٣٠٢ |
| ـ أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء | ١/ ٢٠٦، ٣/ ٢٦١ |
| ـ أتشفع في حد من حدود الله؟. . . | ٣/ ٢١٨، ٤/ ٣٤٢ |
| ـ أتعطين زكاة هذا؟. . . | ٢/ ٢٣٥ |
| ـ أثقل شيء في ميزان المؤمن | ٣/ ٢٢٤ |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|
| ـ أجعلتني لله نداً! | ١/ ٦٥ |
| ـ أجعلتني مع الله عدلاً؟. . . | ٤/ ٣٢ |
| ـ أجل إني أوعك كما يُوْعَكُ رجلان منكم | ١/ ٣١٩ |
| ـ أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس. . . | ٢/ ١٩١، ٢٠٠، ٣/ ٤٩٠ |
| ـ أحبب حبيبك هوناً ما. . . | ٢/ ٤٣٨، ٣/ ٣٦٤ |
| ـ أحسنهم خلقاً | ٢/ ١٨٢ |
| ـ أحيٌّ والداك؟ | ٢/ ١٣٤، ٤/ ١٥٤، ٣٩٦ |
| ـ أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا ننوح | ٢/ ٤٩٥ |
| ـ أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال | ١/ ١٣٣ |
| ـ أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك. . . | ٢/ ١٠٧، ٤/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥ |
| ـ أدنِ اليتيم منك وألطفه وامسح برأسه. . . | ٤/ ٣٩٤ |
| ـ أُذكر الموت في صلاتك. . . | ٣/ ٤٤٣ |
| ـ أُذن لي أن أحدث عن مَلَك. . . | ١/ ١٩٨ |
| ـ أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر. . . | ٤/ ٢٣٣ |
| ـ أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم. . . | ٢/ ٢٩٥، ٣/ ١٩٣، ٣٣٣، ٤/ ١٠٠ |
| ـ أربع بقين في أمتي | ٢/ ٤٩٤ |
| ـ أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة. . . | ٤/ ١٥١ |
| ـ أربع من السعادة. . . | ٤/ ٢٨٥ |
| ـ أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً. . . | ٣/ ١٥١، ٣١١، ٤/ ١١٣، ٢٤٩ |
| ـ أربعة لا يجزين في الأضاحي. . . | ٢/ ٣٣٢ |
| ـ أربعون. . . | ٢/ ٣٠٣ |
| ـ أرخوا اللحى | ٢/ ١٧١ |
| ـ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة. . . | ١/ ١٣٧، ٣/ ١٦٢ |
| ـ أسماء رجال صالحين من قوم نوح. . . | ١/ ٣٦٦ |
| ـ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل. . . | ١/ ٤٠٧ |
| ـ أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون. . . | ٢/ ٤٧٢، ٣/ ١٤٩ |
| ـ أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى | ٤/ ١٢٩ |
| ـ أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة | ٤/ ١٨٣ |
| ـ أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول. . . | ١/ ١٣٥ |
| ـ أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له. . . | ٢/ ٢٨٩، ٣/ ٤٧٥ |
| ـ أطت السماء ويحق لها أن تئط. . . | ٢/ ٢٧٣ |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|
| ـ أطعموا الجائع وعودوا المريض. . . | ٢/ ١٩٧ |
| ـ أعتقها فإنها مؤمنة | ١/ ١٩١ |
| ـ أعجز الناس من عجز عن الدعاء | ١/ ١٥٤ |
| ـ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت. . . | ٣/ ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٨ |
| ـ أعطيت سائر ولدك مثل هذا. . . | ٢/ ٢٦٨ |
| ـ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان. . . | ١/ ٢٩٢ |
| ـ أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم. . . | ١/ ٢٩٦ |
| ـ أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت. . . | ١/ ٢٢٩ |
| ـ أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان. . . | ١/ ١٢١، ٣٠٠ |
| ـ أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة | ٢/ ٢١١ |
| ـ أفضل الصيام بعد رمضان. . . | ٣/ ٣٥٧ |
| ـ أفصل العبادة الدعاء | ١/ ١٥٥، ٣/ ٢٨٥ |
| ـ أفلا أكون عبداً شكوراً | ٢/ ٢٧٧، ٣/ ٣٥٥ |
| ـ أقرب ما يكون الرب من العبد | ٢/ ٢١٠، ٣/ ٣٥٧ |
| ـ أقرب ما يكون العبد من ربه. . . | ١/ ١٦٠، ٢/ ٢٤٣، ٣/ ٢٨٩ |
| ـ أقرهما السلام وأخبرهما أنهما قد ائتدما. . . | ٤/ ١٠٦ |
| ـ أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس. . . | ٤/ ٢٠٥ |
| ـ أكثروا من ذكر هاذم اللذات. . . | ٢/ ١٧٣، ١٨٥، ٣/ ١٩ |
| ـ أكل ولدك نحلت مثله. . . | ٢/ ٢٦٨ |
| ـ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً | ٢/ ١٣٨، ١٨٣، ٤/ ٣٩١ |
| ـ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟. . . | ٤/ ١٢٨ |
| ـ ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟. . . | ٢/ ٣٣٨ |
| ـ ألا أخبركم بأهل النار؟ | ٢/ ٤٨٦، ٣/ ٣٤٨، ٤/ ١٤٥ |
| ـ ألا أُخبركم بالتيس المستعار؟. . . | ٤/ ٢٤٦ |
| ـ ألا أُخبركم برجالكم في الجنة؟. . . | ٤/ ٢٢٥ |
| ـ ألا أخبركم بشراركم؟. . . | ٢/ ٣٧٥، ٤٣٩، ٤/ ٣٣٤ |
| ـ ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال. . . | ١/ ١٦٣، ٣/ ١٨٨، ٤/ ٥٢ |
| ـ ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا. . . | ٢/ ٢٨٦، ٢٩٢، ٣/ ٣٣٣، ٤/ ١٠٠ |
| ـ ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة | ١/ ١٩٩ |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|

طرف الحديث | الجزء/ الصفحة

[ ق ]

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|
| ـ قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني... | ٣/ ٤٥٠ |
| ـ قتلوه قتلهم الله | ٤/ ٣٦٨ |
| ـ قد أفلح من أسلم | ٢/ ٤١٧ |
| ـ قد ائتدما | ٤/ ١٠٨ |
| ـ قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها... | ٤/ ٧٥ |
| ـ قد جمح الله لك ذلك كله | ١/ ٨٠ |
| ـ قد غُفر له قد غفر له... | ٣/ ٢٨٩ |
| ـ قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له... | ١/ ٧٢، ٣٦١، ٤١١، ٢/ ٧٠، ٣/ ٣٢٤، ٤/ ٣١٢ |
| ـ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين... | ٢/ ٢٤١، ٣/ ٣٣١، ٤٤٥، ٤/ ٩٨ |
| ـ قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتُك | ١/ ٨٣ |
| ـ قل: آمنت بالله، ثم استقم | ١/ ١٠٧، ١٢٧، ٢/ ٧٣، ٣/ ٥٠٨، ٥١٣ |
| ـ قل: ربي الله ثم استقم | ٢/ ٧٣، ٤/ ١٠٨، ١٢٤ |
| ـ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي | ١/ ٢٩٧ |
| ـ قمت على باب الجنة فكان | ٣/ ٢٣٩ |
| ـ قم يا أنس: فأهرقها... | ٢/ ١٦١ |
| ـ قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو | ٢/ ٢٤٣ |
| **[ ك ]** | |
| ـ كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب | ١/ ٢٢٠ |
| ـ كأني به أسود أفحج | ٣/ ٩٦ |
| ـ كالغيث استدبرته الريح | ٣/ ٦٩ |
| ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء... | ٢/ ١٦٦ |
| ـ كانت الأَمَة من إماء المدينة... | ٢/ ٢٠١ |
| ـ كان بين آدم ونوح عشرة قرون... | ١/ ٣٤٦ |
| ـ كان خلقه القرآن | ٤/ ٢٨٠ |
| ـ كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين... | ٤/ ٣٧٣ |
| ـ كان رجل فيمن كان قبلكم متعبداً زاهداً... | ٤/ ٨٩ |
| ـ كان رجل يُسرف على نفسه فلما حضره الموت | ٤/ ٣٧٧ |
| ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه | ٢/ ٣٧٣ |
| ـ كان صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه... | ١/ ٢٩٩ |
| ـ كان عند حفصة رضي الله عنها جارية لها فسحرت | ٢/ ٤٥٦ |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
| --- | --- |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
| --- | --- |

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|

| طرف الحديث | الجزء/ الصفحة |
|---|---|
| ـ يا محمد، ارفع رأسك... | ١/ ١٨٦ |
| ـ يا محمد عش ما شئت فإنك ميت... | ٢/ ١٨٥، ٢١٦، ٣/ ١٤، ٣٥٦، ٣٦٤ |
| ـ يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟... | ١/ ١٢٩ |
| ـ يا معاذ هل تدري حق الله على عباده... | ٣/ ٣٨٩ |
| ـ يا معشر التجار!... | ٢/ ٤١٢ |
| ـ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج | ٣/ ٤١٣، ٤٧٩ |
| ـ يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن... | ١/ ٤٧٧، ٢/ ١٧٥، ٢٣٦، ٣/ ٣٩٨، ٤٨٣، ٤/ ٦٧، ٤/ ١٧٠ |
| ـ يا معشر من آمن بلسانه... | ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٦٣، ٤/ ١٠٥، ٤/ ١١٤ |
| ـ يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها... | ٤/ ٢٨٢ |
| ـ يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب... | ٤/ ٣٢٢ |
| ـ يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً... | ٣/ ٧١ |
| ـ يتبع الميت ثلاثة... | ٢/ ٩٤، ٣/ ٢٣، ٣/ ٣٥، ٤/ ٥٣، ١٩٣، ٢٦٤ |
| ـ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار... | ١/ ٢١٨، ٣/ ١٧٣ |
| ـ يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل | ٣/ ٢١٦ |
| ـ يجيء القاتل والمقتول يوم القيامة... | ٢/ ٤٦٩، ٣/ ٢١٥ |
| ـ يجيء متعلقاً بالقاتل تشخب أوداجه دماً... | ٤/ ٢٠٦ |
| ـ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب | ٢/ ٤١٥ |
| ـ يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر... | ٢/ ٢٣، ٣/ ١٥٠، ٣٤٩، ٤/ ١٤٦ |
| ـ يُحشر الناس على ثلاث طرائق... | ٣/ ١٠٥ |
| ـ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً... | ٣/ ١٢٥ |
| ـ يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة | ٣/ ٩٦ |
| ـ يخرج الدجال فيتوجه قِبلهُ رجل من المؤمنين... | ٣/ ٧٤ |
| ـ يخرج عنق من النار يوم القيامة... | ١/ ٣٦٧، ٢/ ٤٧٥، ٣/ ١٤٩، ٤/ ١٢٧ |
| ـ يخرج في آخر أمتي المهدي... | ٣/ ٦٠ |
| ـ يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير | ٣/ ١٥٧، ٤/ ٢٠٠ |
| ـ يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب... | ٣/ ٩٥، ٩٨ |
| ـ يدعى نوح يوم القيامة... | ٣/ ١٦٩ |
| ـ يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى... | ٤/ ٣٥٩ |
| ـ يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل... | ٣/ ٣٠٤ |

# فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

الموضوع الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

## كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.